THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

NOV 7 1974

وزارة الثقافة والإرشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الثقافة العامة
٥

الدين والحياة

تأليف
الشيخ محمود البرشومي

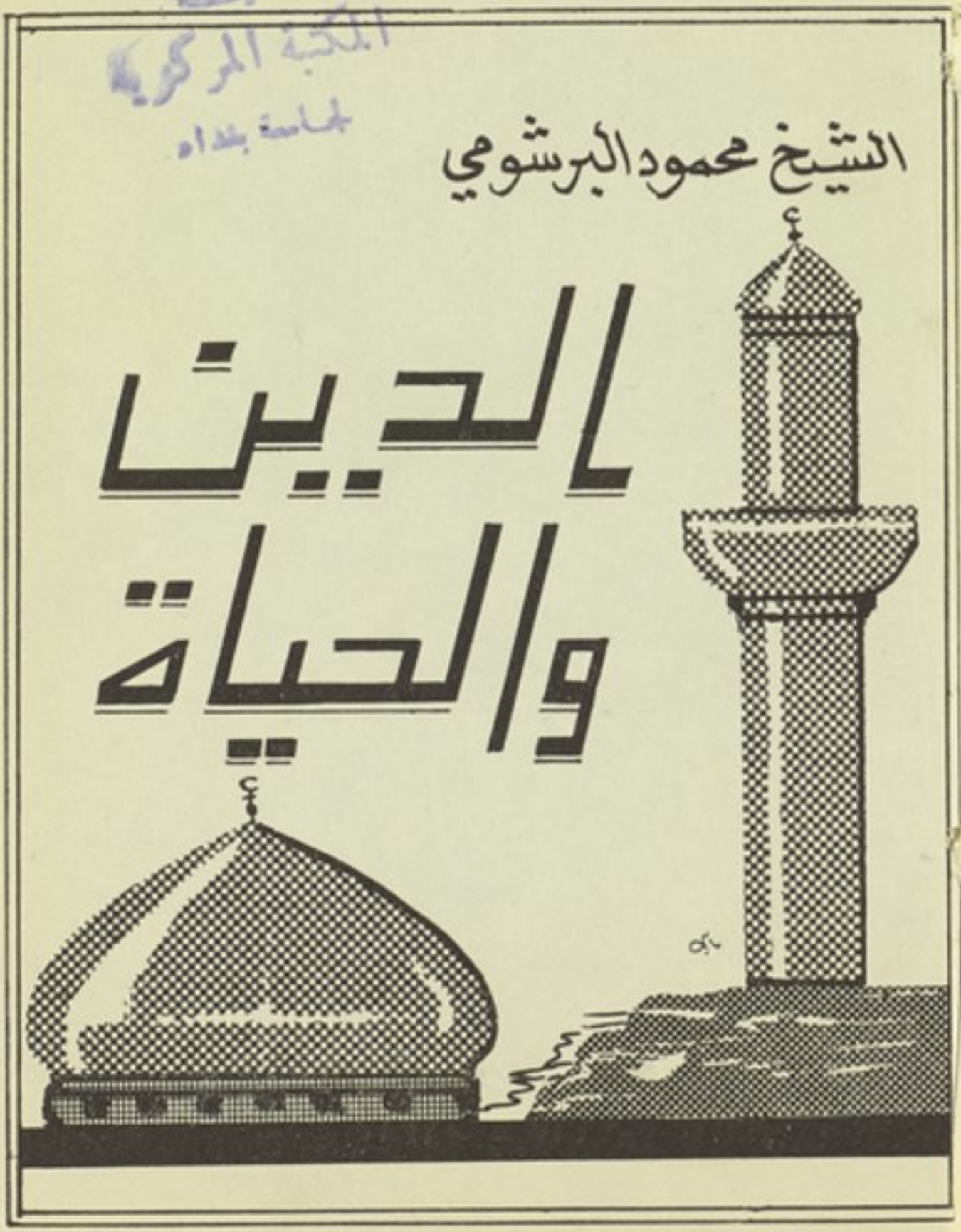
وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الثقافة العامة
٥

المكتبة المركزية
الجامعة بغداد

الشيخ محمود البرشومي

الدين والحياة



956
Ir24
5

دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام قيم ومبادىء

في هذا القرن الذي نعيش فيه طبقت نظريات ومبادىء اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وسحر بعض الناس بها في شرقنا وبلادنا لان هذه المبادىء والنظريات قابلت فراغا ، فحاولت ملآه ، وثقافة ضحلة وتعليما مبتورا ، فرمت بكلكلها كله في سوقنا ، فانبهر بها أنصاف المتعلمين الذين لا يتمتعون بالاصالة الفكرية ، والذين انقطع ما بينهم وبين قيمهم وحضارتهم القديمة الحديثة والذين نسوا التعاليم التي جاءت بها الاديان لترفع الضير عن الانسان ، وترتفع به الى أعلا عليين ، واستمعنا الى صيحات محمومة تقول ان الدين كان ضرورة في الماضي ، وفقد ضرورته مع النظم الاقتصادية الحديثة ، ومع التشريعات والافكار الجديدة ، ونظر المتصايحون من خلال اتصالهم ببعض الجامدين من علمائه ولم ينظروا الى الدين نفسه كحقيقة واقعة تطور الحياة وتتقدم بها ، ولم ينظروا

اليه كمصباح هداية ينير سبيل الحياة بما يقدم من أسس للفرد والجماعة ، ولم ينظروا اليه على انه مطهر للقلوب والنفوس من الادران والخبائث ، ولم ينظروا اليه كصرخات لاهبة ضد الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وضد مساوىء الجهل والفقر والاسراف والترف ، وضد الاستغلال والحروب ·

لم ينظروا اليه كمبادىء تهدف الى التنظيم في كل شيء ، تنظيم العلاقات بين الافراد والجماعات ، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين القاضي والمتقاضين ، بل بين الحياة والأحياء عموما · وانما نظر هؤلاء الى الدين من خلال العبادة ، فنظروا اليه كصلاة وصيام وتسبيح وتقديس واستغفار ، وأكدوا نظرتهم على هذه الاشياء وهي جزء من الدين وليست الدين كله ·

ان الدين في حقيقته وواقعه دعوة اصلاحية تقدمية معبرة عن ارادة الناس كل الناس ، مؤكدة على حق الجميع في الحياة الأفضل والأكرم ، عاملة على تحقيق أماني الشعوب وآمالها ، وهذا هو الطريق القويم الذي يريده الاسلام · واقرءوا ان شئتم حديث رسول الله (ص) اذ يقول : « الناس عيال الله ، وأحب الخلق اليه أنفعهم لعياله » ·

ان ايماننا بالله كمسلمين لا ينفك بأي حال من الاحوال عن الايمان بالانسان وكرامته واصلاحه لان معنى الايمان بالله الايمان بالعدالة والخير والمحبة والمساواة ·

فمن حاد عن هذا الطـــريق لم يعرف الايمان طريقه الى قلبه ، ومن فصل بين الايمان بالله واصلاح الانسان ورجاء الخير له وتكريمه كانسان فقد أخرج الاسلام عن طبيعته. ولقد قال الله في كتابه العزيز « ولقد كرمنا بني آدم » . فما معنى هذا التكريم اذا كان الانسان منسحقا وضائعا ؟! وما معنى هـــذا التـكريم اذا أصيب الانســان بالاذلال والضياع ؟! وما معنى هذا التكريم اذا عاش كالسائمـة والبهيمه بلا قيم ولا أهداف ولا غايات ! وما معنى هـذا التكريم اذا أصيب الانسان بالضرر من قبـــل الفرد أو الجماعة واذا اعتوره الفساد في أخلاقه ! ولقد بعث محمد لكي يتمم مكارم الاخلاق . يقول : (ص) « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ».

وتعالوا بنا للقيم الحديثة التي جاء بها الغرب فخدع بها بعض الناس .

لقد قامت حضارة هؤلاء على المنفعة وعلى الرفاهية المادية . وارتبطت ماديتهم بالربح والسيطرة بلا قوانين أخلاقية . فمفهوم السلم عندهم مرادف للافلاس وهبوط الاسعار وانتشار البطالة . ومفهوم الحرية عندهم احتكار واعتداء على الآخرين وسلب أقواتهم وأرزاقهم وخاماتهم وموادهم الاولية . ومفهوم الحكـم عندهم السيطرة كي يثروا من ورائها على حساب الضعفاء المساكين . ومفهوم العدالة مرتبط أشد الارتباط بالقوى المدية . فالعادل هو القوى ولو كان ظالما ، والعدالة في نظرهم بغى واستئثار

وظلم · وتقدمهم المادي لم يستعمل في رفاهيـة الانسان وانما استعمل في دماره واهلاكه ·

لقد اكتشفوا الذرة فماذا صنعوا بها ؟ ضربوا بها الآمنين وأهلكوا بها البشر ، ولم يستعملوها كقوة للخير تنفع في رفع الضير عن الانسان ، وتعطيه الحياه الأرقى فتولد الكهرباء بطاقتها العظيمة الرخيصة ويأتي الرخاء ·

ولقد اخترعوا المبادىء التي تقوم على الظلم وتسحق الانسان وتثير البغي والعدوان · فهذه الفاشستية وتلك النازية وقد اكتوى العالم منهما بحرب ضروس أتت على الاخضر واليابس وأشاعت الفساد · وهذه الديموقراطية التي لهج بهـا الانجليز والامريكان وهـم يتشدقون بهـا ويستعمرون الشعوب ، فاذا جـارت بالشكوى تسـلطوا عليها بأدوات الدمـار والهلاك · وهذه الديموقراطية في أمريكا وقد مزقوها بمبـدأ التمييز العنصري والتفـرقة بسبب الالوان · وهذا السلام الذي يريدونه استسلاما ، وهذه الحـرية التي مزقوا وجهها ولطخوه بالسواد · الحرية التي يفهمها الاسلام فهما آخر ·

لقد سئل رسول الله (ص) عن أفضل الاعمال فقال « بذل السلام للعـالم » · ان الحـرية في نظر الاسلام لا تتجزأ « فمن قتل نفسـا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ·

فمن يعتدي على حرية الآخرين انما يعتدي على حريته

أولا ، وكيف يكون حرا من يعتقد ألا سبيل لحياته الا بانتاج الاسلحة وتكديس القنابل ، والا التدخل في شئون الشعوب وسلب أرزاقها ومقدراتها ، اللهم الا أن يكون معنى الحرية السلب والنهب ٠

ان لنا قيما لابد وأن ترجع اليها ، وهي جديدة ومتجددة ما دامت السموات والارض ، وعقولنا تحتاج الى التفتح والموازنة ، تحتاج الى المعرفة الحقة والى الرجوع الى اصالتها الفكرية والحضارية ٠ علينا ان نجتهد لا أن نقلد ، وأن نحرر عقولنا من الجمود، وألا نحصر اهتماماتنا بالحرفيات أو الشكليات ٠

لقد أفلست حضارة الغرب ، وكان من الواجب أن نبذل جهودنا وتفكيرنا في البحث عن كنوزنا الحضارية التي أثبتت وتثبت دائما أنها الكفيلة بتقدمنا ، الكفيلة بانقاذ العالم من كبوته والسير به نحو الخير والكمال لو أحسنا عرضها بتفتح وبفهم ، ولو آمنا بها ايماننا بالخير والانسانية ٠

الاخاء أساس حضارتنا

ألف الله بين قلوب عباده المؤمنين بالاسلام ، وجعلهم أمة واحدة لا فرق بين عربي وعجمي الا بالتقوى ، وقال الله في كتابه الكريم : « هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم • يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » •

ومن اللحظة الاولى التي بعث فيها محمد بن عبدالله (ص) عمل على توحيد القلوب على الهدف الواحد وعلى الغاية الواحدة ، فكانت قبلة المسلمين واحدة ، وعبادتهم واحدة ، يصلون جميعا في وقت واحد ، ويصومون في شهر واحد ، ويؤدون فريضة الحج في مكان واحد وفي زمان واحد • هدف الاسلام دائما أن يتجمع المسلمون على الخير وعلى المحبة ووحدانية الله •

لا يعرف الاسلام التفرقة سبيلا لانه دين اسلامي قام على قول رسول الله (ص) : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد • كلكم لآدم وآدم من تراب • لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى • لا فرق بين أبيض وأسود ،

ولا فرق بين أسود وأبيض » ولقد عمل الرسول الكريم على تثبيت هذه الحقيقة في أذهان المسلمين ، فهو يقرب اليه سلمان الفارسي (رضى الله عنه) ويقول عنه : « سلمان منا آل البيت » . وعندما أسلم سلمان (رضى الله عنه) قال (ص) : « ان سلمان أول ثمار الفرس » . ولقد جعل الرسول الأذان من اختصاص « بلال بن رباح » العبد الاسود الحبشي ، فهو يعلو الكعبة ليؤذن،والمسلمون بقبائلهم وعشائرهم المختلفة جلوس بجوار الكعبة يسمعون الى داعي السماء وهو يدعوهم الى الصلاة والفلاح ، ولم يشعروا بالغضاضة لذلك لان الاسلام علمهم بالآية الكريمة « انما المؤمنون اخوة » وعلمهم رسول الله (ص) بقوله : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . ولبلال سابقة في الاسلام فهو أفضل من كثير من أشراف قريش ، ولم يصل بلال بن رباح (رض) الى ما وصل اليه من مكانة بين المسلمين الا باخلاصه لهذا الدين وكفايته في الذود عنه ، وتحمله الاذى في سبيل أن يبقى على عقيدته التي آمن بها والتي تنكر الاصنام والطواغيت والمثل الجاهلية الزائفة . ومن هذا المنطلق عرف المسلمون معنى العزة والكرامة لانهم ثابوا الى اله واحد تعنو له جباه الناس كل الناس ، فهو القاهر فوق عباده . ومن هذا المنطلق علموا أن الامر لله وأنهم اخوة بكلمة الله يتفاضلون بالتقوى وبالعمل الصالح لا بالدماء النبيلة والاصول الرفيعة .

ولقدكان محمد بن عبدالله (ص) من قريش، وكان يرى

امتيازات قريش على سائر العرب ، فهم يفرضون لانفسهم حقوقا وتقاليد ليست لسائر العرب ، فالحجيج جميعا يقفون بعرفات ، وقريش تقف في الحج بالمزدلفة ، وهم يصطفون لانفسهم منافع على سائر الحجيج فيحتمون عليهم الا يطوفوا بالبيت الا في ملابس يشترونها من قريش والا طافوا عراة . فلما جاء الاسلام قضى على هذه الامتيازات لان البيت بيت الله ، والكعبة كعبته ، والجميع يقصدون وجه الله ويرجون غفرانه ، وأنهم يقفون في عرفات لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم ، رئيسهم ومرءوسهم لانهم يتعبدون الى اله احد هم متآخون بكلمة الله « لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » . وتنزل الآية تقول لقريش خاصة « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » . فلا امتياز في العبادة ، ولا وقوف لقريش وحدها في المزدلفة ولسائر الناس عرفات لا بل ان الامر مبنى على التساوى ، ولابد من افاضة واحدة حتى يتحقق معنى الاخاء عمليا ويشعر الناس أن التقوى هي السبيل الى التفاضل ، وأن العمل الصالح هو الطريق الى الرقي والسمو .

ان بيوت الله ومساجده في جميع بقاع الارض تقوم على هذا المعنى ، فالمسلمون يقفون صفوفا متراصة وراء امام واحد ، وليس هناك في بيوت الله أماكن خاصة لاصحاب المناصب والرتب ، وانما الاماكن الامامية وراء الامام للمبكرين بالحضور الى المسجد .

ان الناس بخير ما تآخوا وتعاونوا على البر والتقوى ، وان حضارة المسلمين أساسها المؤاخاة ، وان الاسلام صمد في وجه أعدائه لانه قضى على العصبيات والعنصريات ، وقد مزج الجميع مزجا واحدا على أساس هذا الدين الجديد الذي لم يعط امتيازا لاحد بسبب لونه أو جنسه أو عروبته أو سابقة من أجل المغنم .

كان محمد بحاجة الى المناصرين في أول دعوته ، وعندما اشتد به وبأصحابه الاذى ذهب الى بنى عامر بن صعصعة وعرض عليهم الاسلام فقال رجل منهم : «لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب » . ثم قال له : « أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الامر من بعدك ؟ » فقال (ص) : « الامر لله يضعه حث يشاء » . فقال له الرجل : « أفتهدف نحورنا للعرب ، فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك » . فأبوا عليه .

رفض الرسول هذا الايمان المشروط لان جزاء الايمان من الله لا من الناس ، ولانه لم يدع الى مجد دنيوي أو الى ملك عضوض ، ولم يكن محمد (ص) يعمل من أجل السيطرة على العرب ، وانما ن أجل هدايتهم ، فاذا كونت الدولة بعد ذلك فذاك أمر ثانوي بالنسبة لهداية الناس وسيرهم صفوفا متراصة وراء معنى الاخاء والتعاون والترابط وعبادة الله . من أجل ذلك رفض اسلام بنى عامر بن صعصعة المشروط كما رفض من قبل تاج قريش

عندما عرضوا عليه أن يترك دعوته ودينه ، ويملكوه عليهم فقال لهم : « لن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

بالاخاء قامت حضارتنا ، وبالاخاء تعود تلك الحضارة مرة أخرى سامقة قوية هادية قائدة . فهلا حققناها من جديد حتى يعود الغد المشرق السعيد . ما ذلك على الله ببعيـد .

اختــر صديقك

يقول رسول الله (ص) : « انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المســك ، ونافخ الكير ، اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه ، واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد منه ريحا منتنة » .

المرء في هــذه الحيــاة لا يعيش وحده لانه خلق اجتماعيا بالطبع ، ولابد له من صحبــة ، ولابد لــه من أصدقاء. وأحسن الاصدقاء من رعى الله في صحبتك فنصحك بالمعروف ، ودلك على الخير ، ومنحك اخاءه الصافي بــلا غرض من أغراض هذه الدنيا الزائلة . ان رآك على صواب ساعدك عليه ، وان رأى منك خطأ نصحك بلين وبلطف لانه يؤمن بقول الله تعالى : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » . وصحبة مثل هذه الصحبة تكون دائمة لانها لله والى الله تعود . ولقد روى ان رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : « أين تريد ؟ » قال : « أريد أخا لي في هذه القرية » . قال : « هل لك عليه من نعمــة تربّهــا

عليه ؟ » قال : « لا .. غير أنى أحببته في الله تعالى » .
قال : « فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

ولقد علمنا الاسلام أن نختار الاصدقاء ، وأن ندقق في اختيارهم لانهم ينفعون في الدنيا باستقامتهم وشرفهم وامانتهم في النصح ، ولانهم يقطعون رحلة الحياة معنا في سهولة ويسر وخير ، وهم يبعثون يوم القيامة معنا على ما كانوا عليه في الدنيا والمرء مع من أحب . جاء رجل الى رسول الله (ص) ؟ وسأله : « متى الساعة ؟ » قال (ص) : « وما أعددت لها ؟ » . فقال الرجل : « حب الله ورسوله » فقال (ص) : « أنت مع من أحببت » .

ولقد قيل في الامثال « لا تسأل عن المرء واسأل عن قرينه » . فان رأيت رجلا يصاحب الاشرار ويستجيب لهم ويأتمر بأمرهم ويسير وراء مشورتهم فاعلم أن فساده من فسادهم ، وأنهم كما شبههم الرسول (ص) بنافخ الكير الذي يحرق الثياب ، وتجد منه ريحا منتنة .

أولم عقبة بن أبى معيط وليمة وكان جارا لرسول الله (ص) فدعاه الى وليمته ، فاشترط الرسول لاجابة الوليمة أن ينطق عقبة بالشهادتين ، فاجاب عقبة رسول الله لذلك ، فقابله أبى بن خلف الجمحى وقال لعقبة : « وجهي من وجهك حرام حتى تكفر بمحمد وترد دعوته وتبصق في وجهه » ، ففعل عقبة ما أشار به عليه أبى بن خلف ، فنزلت الآية « ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول

يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا » . فلولا صحبة أبي بن خلف لعقبة ، ولولا هذه الصداقة الخاسرة ما تحول عقبة ولا تبدل ، ولما بصق في وجه الرسول الكريم (ص) ، ولكن التاثير هو الذي أودى به ودفعه الى فعلته الشنعاء ، وضيع عليه الهدى والنور والجنة .

والانسان في هذه الدنيا اما أن يستجيب للغواية وللشيطان ووسائل الشيطان الاصدقاء الذين يضلون بالهوى والفساد وتزيين الباطل وجعله حقا .

من السهل أن يستجيب الانسان للاهواء الا من عصم الله واعتصم باليقين والايمان ، ولذلك يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور » .

ولقد نصح الرسول (ص) صحابيا فقال : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقي » .

ما يفسد الرجل الا رجل مثله ، ولا تفسد المرأة الا امرأة مثلها ، وكثيرا ما رأينا شابا صالحا انقلب الى شيطان مريد ، ولو بحثنا لوجدنا ان الصحبة الفاسدة هي

السبب ، وكثيرا ما رأينا طالبا مجتهدا في دروسه ، ثم نجده بعـــد ذلك مهملا في دراسته والسبب واضح ·· أصدقاء السوء الذين يعايشونه هـــم الذين يفسدونه ، ولقلـة تجربته في الحياة ينصاع الى لهوها وعبثها وتخسر الامـة فردا صالحا · ولابد من الرقابة ـ رقابة الاهل ، والوالدين حتى لا يضل الابناء ويضيعوا في زحمة الحياة · ولابد من توجيه من المدرسة والمجتمع ومن تركيز لقيم سليمة معينة في مجتمعنا الذي يؤمن بالقيم الفاضلة · ولابد من نظرة أخرى للذين يعيشون بلا مبالاة للمعصية ، فاذا نظر اليهم المجتمع نظرة غير كريمة أمكن أن يغيروا من أسلوبهم الى أسلوب آخر كريم ·

ان المجتمع اذا صلح أفراده صلح مجموعه · انـه كالجسد الواحد اذا اشتكى منـه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى · فلنعمل على اختيار الاصدقاء الصلحاء الذين تزدان بهـم الحياة والذين يساعدون في رقيها وتقدمها · ولنحقق فيمـا بيننا حديث رسول الله (ص) : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ·

في المعـاملات

خلق الله الناس وجعل بينهم التعامل ، فكل انسان محتاج الى أخيه في البيع والشراء • وقد ألهم الله الناس أن يتبادلوا السلع والمنافع حتى تستقيم حياتهم بلا ضـرر ولا ضرار • ولقـد بعث رسول الله (ص) فوجد الناس يتعاملون مع بعضهم البعض على أنواع من البيع والشراء والمبادلات ، فأقرهم على بعضها مما لا يتنـافى ومبـادىء الشريعة التي جاء بها ، ونهاهم عن البعض الآخر ممـا لا يتفق وأهداف الاسلام • وهذا النهي يدور على أشياء منها الاستغلال والظلم لاحد المتعاقدين ، ومنها الاعانة على معصية أو الضرر أو الاحتكار والتلاعب بالاسعار الى غير ذلـك •

وقد منع الاسلام ان يقتني المسلمون الخمر لانهـا حرام • من أجل ذلك حرم تعاطيها واعتبرها مالا غـير متقوم ، فلا يحل لمسلم أن يشربها أو يبيعها أو يتجر فيها ولو كان الاتجار فيها بين المسلم وغير المسلم ، كما حرم الاسلام أن يبيع المسلم الخنزير أو الميتة أو الاصنام • ذلك لان في اجـازة بيعها والاتجار فيهـا تنويها بتلك

المعاصي ، وحملا للناس عليها وتسهيلا لهم في اتخاذها وتقريبا لهم منها ، وفي تحريم بيعها اهمال لها واخمال لذكرها ، وابعاد للناس عن مباشرتها كما يقول الفقهاء ويقول رسول الله (ص) : « ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميته والخنزير والاصنام » ويقول : « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » كما روى أحمد وأبو داوود ٠

وكثيرا ما يتنازع الناس اذا كانت في عقودهم ثغرات بسبب جهالة في المبيع أو غرر يؤدي الى الخصومة أو غبن يؤدي الى الظلم ٠ وقد نهى الرسول عن كل عقد يؤدى الى ذلك سدا للذرائع ٠ فلا يجوز بيع ما في صلب الفحل أو بطن الناقة أو السمك في الماء أو الطير في الهواء لان في كل ذلك غرر يؤدي الى التنازع ـ والغرر جهالة لان فيه عدم تحديد للمعقود عليه ٠ وقد نهى الرسول (ص) في زمنه الناس أن يبيعوا الثمار في الحقول قبل أن يبدو صلاحها ، وبعد التعاقد عليها يحدث أن تصيبها آفة سماوية فتهلك الثمار ويختصم البائع والمشترى ، يقول البائع قد بعت وتم البيع ويقول المشترى انما بعت لي ثمرا ولم أجده ، ويحدث ما لا تحمد عقباه من التنازع والتخاصم ٠ من أجل ذلك نهى الرسول عن هذا البيع الا أن يشترط القطع في الحال ، ونهى أيضا عن بيع السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة ٠ يروى البخارى قولا لرسول الله (ص) قال : أرأيت اذا منع الله الثمرة ثم يستحل أحدكم مال أخيه » ٠

اذا تعامل الناس تعاملا اسلاميا أمنوا من التخاصم والتنازع ، وعاشوا في المجتمع الفاضل الذي لا ضرر فيه ولا ضرار ، وعاشوا في سعادة ويسر وبلا كراهية لان الشعور بالظلم في أي تعامل يؤدي الى المفسدة والى الاختلاف والتفرق والله يقول : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وقد حرص الرسول الرسول على الا يغبن انسان في بيع ولا شراء . جاء اليه (ص) رجل يغبنه الناس كثيرا في الشراء ، فقال له (ص) : « اذا اشتريت فقل لا خلابة ولي الخيار ثلاثة أيام حتى يعطيه الفرصة الكاملة والخيار الكامل وحتى يطمئن الى ما اشتراه » ، والمؤمنون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » كما يقول (ص) ، وفي النفس الانسانية شره وجشع وطمع وفي الناس من تدفعه أنانيته الفردية وطمعه الشخصي الى الاثراء على حساب الافراد والجماعات ، فهو يحتكر التجارات ويخفيها حتى تمتنع من السوق ثم يخرج القليل منها حتى يربح فيه كثيرا ، فاذا ما انتهى من السوق أخرج غيره وهكذا رجاء الربح الوفير والاثراء السريع . وقد نهى الرسول عن الاحتكار ومنعه بعبارات شديدة زاجرة فقال « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » . وقال (ص) : « لا يحتكر الا خاطىء » . وليست كلمة « خاطىء » كلمة هينة فقد دمغ الله بها العتاة من أمثال فرعون وهامان وجنودهما

فقال سبحانه : « ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين » ٠

ونفسية المحتكر نفسية بشعة فردية أظهرها رسول الله (ص) بقوله : « بئس العبد المحتكر ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح » ٠ ذلك أنه يرجو الربح دائما ولو على حساب الضعفاء ، ولو على حساب المستهلكين الفقراء لا يهمه الا أن يرغد ولو جاع الناس ، ولا يفرح الا بالمال يأتيه ولو من حرام ، ولو امتص دماء الناس ، ولو افتعل الازمات الاقتصادية وأوجدها ، ولو ضاع البلد بسبب تلاعبه أو احترق ، ولو مات الناس من فعله أو قتلوا بعضهم البعض ، ولقد لعن رسول الله (ص) المحتكر فقال : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ٠ لان الجالب يسعى لترويج التجارة وبيعها سريعا ولو بربح يسير ثم يأتي بغيرها فتتداول التجارات بين الناس والاموال ويصيب كل انسان حظه من البيع والشراء ، وتعم المصلحة الجميع ، وتزداد البركة والخير ، « يرزق الله الجانب النافع المنتفع » كما يقول (ص) ٠ أما المحتكر فقد تدخل في الاسعار ليغلبها ، وأخفى التجارة ليكسب ويربح كثيرا ٠ وقد قال (ص) : « من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة أي بمكان عظيم منها ٠

ما أحوجنا في معاملاتنا الى الرجوع للاسلام حتى نعيش على بصيرة ، وحتى تعرف المحبة طريقها نحو

الجميع في مجتمع مستنير ينير له الاسلام طريقه ويوضح له الرسول أسباب السعادة والخير .

اننا اذ فعلنا تقدمنا ووضح لنا الطـريق ـ طريق العزة والكرامة .

أدب المجالس

يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعلمون خبير » .

روى أن رسول الله (ص) كان في الصفة وكان المكان ضيقا واليوم جمعة وكان الرسول (ص) يحب ان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجلس ، فقاموا حيال النبى على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم ، وشق ذلك على رسول الله (ص) فقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يا فلان وأنت يا فلان ، فأقام من المجلس بعدد الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي (ص) الكراهية في وجوههم فقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس ؟ فوالله ما عدل مع هؤلاء . قوم اتخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من النبي يقيمهم ويجلس غيرهم فانزل الله هذه الآية السابقة .

لا شك أن ديننا جاء لينظم شؤون الحياة وجاء ليضع الأسس الكريمة لدنيا الناس ، والذين صاحبوا الرسول كانوا يحبونه حبا جما ولا بد من طاعة له « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . ولقد كان من صحابته(ص) من تعذب فى سبيل دينه ومنهم من ترك ماله وعياله في مكة اثناء هجرته بعقيدته ، ومنهم من أنفق كل ماله ، ومنهم من شهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا . هؤلاء جميعا لهم منزلة خاصة في الاسلام وعند رسول الله وهؤلاء لا بد أن يكونوا قريبين منه عليه السلام . والرسول يحب أن يعطي لكل انسان منزلته ، وأن يمنح أصحاب الفضل ما يستحقونه من تكريم وفي حديث الرسول (ص) ما معناه أنزلوا الناس منازلهم .

ولكن للجلوس أدب خاص ؛ أن يقوم الصغير للكبير وأن يتخلى عن مجلسه له وأن يعرف كل انسان موضعه الصحيح فلا يتجاوزه ، وأن يكون هذا باختيار الجالس وبالباعث الحقيقي من ضميره الحي . ولقد قال عليه السلام : « لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » وما طلبت الآية الكريمة من هؤلاء الا أن يتفسحوا ، ولكن لحرصهم الشديد على القرب من الرسول لم يوسعوا لاخوانهم في المجلس فاضطر الرسول الى طلبه هذا منهم حتى يتعلم الجميع النظام لان الحياة بلا نظام هي الفوضى بعينها والاسلام يحب النظام ويدعو اليه . ولقد وضع الرسول قواعد عامة لأدب المجالس فقال « اذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع اليه فهو

أحق به بل يلتزم هذا ايضا في المسجد ، فالمكان لمن سبق ولا يحق لاحد ان يتخطى الرقاب خصوصا اذا جاء متأخراً · يروى سلمان الفارسي (رضي الله عنه) عن رسول الله (ص) «لا يغتسل رجل يول الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » · ويقول عليه السلام : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين الا باذنهما » ، ويلعن الرسول من جلس في وسط الحلقة ·

وللمجالس دعاء كان يدعو به الرسول (ص) · فاذا قام من مجلس قال : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك » وكان يقول ذلك كفارة لما يكون في المجلس · والحديث الذى يدار في المجلس لا بد وأن يكون عفا فلا يغتاب الجالسون الناس ولا يأتون بسيرهم ولا يسخرون منهم ولا يكيدون لبعضهم البعض ولا يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول · ولقد كان الرسول حريصا على أن يتعلم الناس منه هذه الآداب فكان يحققها وكان يدعو الدعاء الشامل الذى يحمل معنى كريما عندما يقوم من مجلسه يقول :« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا · اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على

من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ·

نحن بحاجة الى الآداب الاسلامية التى تأدب بها الرسول · أدبه بها ربه فأحسن تأديبه · نحن بحاجة الى مجتمع يحترم الصغير فيه الكبير ، ويعطف الكبير فيه على الصغير نحن بحاجة الى التراحم والمحبة · نحن بحاجة الى عون الله وتأييده ولن نؤيد من اللهالا بالرجوع لتعاليمه السمحة الواضحة التي تجعل الحياة نورا وضياء ·

ما أحوج المسلمين الى خشية الله وما أحوجهم الى اليقين به حتى تهون الدنيا · ما أحوج المسلمين الى نصر الله وما يأتي النصر الا اذا ربطنا أسبابنا بربنا وتوكلنا عليه · اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا يا أرحم الراحمين ·

صراع بين الحق والباطل

كفرت قريش بدعوة محمد (ص) خوفا على أمجادها الزائفة ، وعلى تجاراتها الكثيرة ان يصيبها البوار من جراء رسالة محمد ، وأنفوا أن يتساووا مع المستضعفين من المسلمين والعبيد وقال المشركون كما يقص القرآن الكريم علينا « وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

فلما أن الرزق يأتيهم وأن الاسلام سيعظم البيت الحرام ولن يمنع الحجيج من زيارته أوجدوا حجة أخرى لينصرفوا عن الاسلام أو ليصرفوا رسول الله عن دعوته بالمساواة والمحبة والعدالة بين الجميع طلبوا منه أن يجعل لهم يوما وللمستضعفين يوما آخر فنزل القرآن ناصعا قويا في محبة يمنع الرسول عن ذلك فيقول له : « وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » . فلما علموا بعدم اجابة محمد لدعوتهم

تلك طلبوا منه ان يعبد آلهتهم يوما ويعبدوا الهه يوما ، فنزل القرآن يبطل هذه الدعوة أيضا بقوله : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » . فما كان منهم الا أن ناصبوه وأصحابه العداء واتخذوا منهم مواقف لا تليق بالاشراف من الرجال ، فعذبوا اصحابه من المستضعفين وآذوهم وسلطوا عليه وعلى أصحابه السفهاء منهم . بل فكروا في قتله تخلصا منه ومن دعوته حتى تمكن من الهجرة الى المدينة ، ولكنهم لم ينسوا له ذلك أبدا ولم يتركوا رسول الله يبشر بدعوته أو يستقر بدينه فكانت الجولة الاولى بينه وبينهم في غزوة بدر الكبرى فامكنه الله منهم ونصره عليهم وقتل منهم من قتل وأسر من أسر ، وطلب الفداء من الاسرى وفى مكة يلعب المال لعبته . ويجلس يوما عمير بن وهب الجمحى وهو شيطان من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله وأصحابه ويلقون عناء أى عناء . جلس يذكر ابنه وهب الذي أسره المسلمون أمام صفوان بن أمية وكان من أثرياء قريش ووجهائها فيقول عمير : « أما والله لو لا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت الى محمد حتى أقتله فان لي قبلهم علة : ابني أسير في أيديهم » . فأغتنمها صفوان بن أمية فقال : « علي دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم » . قال عمير : « فاكتم على شأني وشأنك » . قال : « أفعل » .

وهكذا تحول المال في يد صفوان الى قوة يضرب بها محمدا ودعوته ، ويحرك به عميرا ليقتل محمدا ويتخلص منه وأصحاب المال ممن لا أخلاق لهم ولا مباديء عندهم يفعلون ذلك دائما يحركون الاجرام ويدفعونه ثم يجلسون منتظرين النتائج · وهكذا سار عمير نحو المدينة وقد شحذ سيفه ووضع فيه السم فلما وصل المدينة ورآه بعض المسمين قالوا : « هذا عدو الله عمير بن وهب · ما جاء الا لشر وهو حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر » · وأخبروا بأمره الرسول · قال (ص) : « أدخلوه على » · فلما رآه الرسول قال : « أدن يا عمير فدنا » · ثم قال له : « ما جاء بك يا عمير ؟ » قال : « جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه » · قال الرسول : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال عمير : « قبحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئا ؟! » قال : « اصدقني بالذى جئت له» قال عمير : « ما جئت الا لذلك » · قال (ص) : « بلى · قعدت أنت وصفوان بن أميه في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : «لو لا دين على وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدا » · فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على ان تقتلني له ، والله عز وجل حائل بيني وبينك » · فقال عمير : « أشهد انك رسول الله · قد كنا نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لاعلم أنه ما أتاك به الا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وساقنى هذا المساق ، ثم تشهد شهادة الحق »·

فقال رسول الله (ص) : « فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه وعلموه القرآن واطلقوا أسيره » · ففعلوا ثم قال عمير : « يا رسول الله · اني كنت جاهدا في اطفاء نور الله ،شديد الأذى لمن كان على دين الله واني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فادعوهم الى الله والاسلام لعل الله ان يهديهم والا أذيتهم في دينهم كما كنت أوذى اصحابك في دينهم » · فاذن له الرسول فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش : « أبشروا بوقعة تأتيكم الان تنسيكم وقعة بدر » ، فلما قدم عمير معلنا اسلامه حلف صفوان الا يكلمه ولا ينفعه بنفع أبدا · ولكن عميرا لم يأبه له وظل يدعو الى الله فأسلم على يديه أناس كثير ·

ولم يستطع اغراء المال ان يثني عميرا عن عقيدته الجديدة ، ولا استطاعت الوجاهة ان تعقل معه شيئا ولا استطاع الارهاب ان يغير منه · ذلك ان الايمان اذا تغلغل في النفس كانت آثاره قوية واضحة ان ايمان أمثال عمير بن وهب الجمحي أكسب الاسلام أنصارا · ان العقيدة السليمة تفعل الاعاجيب ان الذين اتبعوا محمدا في أول دعوته كانوا النواة الاولى لحضارة زاخرة بالمعاني وبالعبر زاخرة بالفضائل وبكل كريم وعظيم في تقدم البشرية واخراجها من حضيض الشرك الى نور اليقين والحق · اننا نرجو ان ندرس هؤلاء دراسة مستفيضة فهم المثل العظيمة لشبابنا وأبنائنا · انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ·

استفت قلبك

يقول الله تعالى : « وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » .

بعض الناس يعيش في هذه الحياة لا يأبه لحلال ولا لحرام ، وبعضهم يستحل الحرام بفتوى يستفتى بها، يحاول أن يخفى بها شيئا ويظهر شيئا آخر من أجل استحلال غرض من أغراض هذه الحياة الزائلة . ضميره لا يرضى وقلبه لا يوافق وعقله يقف ، ولكنه يسكت هؤلاء جميعا وكأنه يقول مع القائلين : « دعها في رقبة العالم واخرج سالما » يحسب ان ذلك الامر هينا وهو عند الله عظيم .

ذهب وابصه بن معبد الى رسول الله (ص) فقال ما البر يا رسول الله ؟ فقال (ص) « جئت تسأل عن البر ؟ » قال وابصة : « نعم يا رسول الله » فقال (ص) : « استفت قلبك . البر ما أطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » . قاعدة ذهبية يدلنا عليها الرسول الاعظم (ص) أن المقياس للحلال والحرام هو الضمير فان اطمأن القلب

وارتاحت النفس فهذا هو البر وهذا هو الحلال ، فان تلجلج القلب ورفضت النفس فذاك هو الاثم وذاك هو الحرام ٠

بعض الناس يرتكب الحرام وضميره يعلم انه حرام ويفعله استنادا الى رأي من الآراء أو اجتهادا هو الذى دل عليه ٠ أخفى بعض الحقيقة وذهب للعالم أو المجتهد فحدثه ببعض الحقيقة وبكثير من الكذب ، والعالم يفتيه والمجتهد يبين له تبعا لما قال ، فيفرح بالفتوى ويبنى عليها أشياء وأشياء ، وضميره يصرخ أن هذا حرام ، ولكنه يسكته ويقنعه « ان العالم أفتانى اذن فهو حلال » ٠

ان النعمان بن بشير (رض الله عنه) يقول : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » ٠

عمل الاسلام أن يوقظ في المسلم قلبه وضميره ، وان يرتفع بانسانيته ، فلا قيمة للانسان الا بارتفاعه عن مرحلة الحيوانية والبهيمية ، ولا قيمة للانسان الا بالقلب الحي والضمير اليقظ ، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه ٠ وفي الحديث القدسي : « ما وسعتني أرضى ولا سمائيوانما وسعني قلب عبد مؤمن ٠ اذا صلح القلب صلح الجسد ،

وصلح الشخص وصار عضوا نافعا في المجتمع ، واذا فسد القلب فسد الانسان ، وفسد المجتمع وانحل · والمحرمات قليلة بالنسبة لما أحله الله · وما حرم الله شيئا الا كان من أجل الفرد والجماعة ، ومن أجل الا ينحل الفرد أو تنحل الجماعة ، أو ينحط الفرد أو الجماعة ، أو تسقط الامة بأسرها في هاوية الفساد والانحلال ، أى شبهة تعرض للانسان فليتقيها لان الشيطان لا يدخل على الانسان جملة واحدة ، وانما يدخل عليه من أضيق المسارب ، ولقد مثل الرسول من يقع في الشبهات بالراعى الذى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وان يرتع وفي ذلك من المخالفة ما فيه · ولقد كان صحابة رسول الله (ص) يتحرزون · فهذا صحابى جليل يأتيه غلامه بطعام فيأكله ، فلما سأله عن مصدره علم أن الطعام جاء لغلامه بسبب كهانة قام بها هذا الغلام في جاهليته ، فادخل الصحابي يده فقاء كل شيء في بطنه وقال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به » · وقد تزوج عقبة بن الحارث بابنة لابى اهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت : « انى قد أرضعت عقبة والتى قد تزوج بها » · فقال لها عقبة : « ما أعلم انك أرضعتيني ولا أخبرتنى · فركب الى رسول الله (ص) بالمدينة فسأله في ذلك · فقال رسول الله (ص) : « كيف وقد قيل ؟! » ففارقها عقبة وتزوجت بغيره · استبرأ عقبة لدينه وسأل فلما عرف الجواب أرضى دينه وعقيدته وترك تلك التي تزوج بها · وكذا الامر

بالنسبة للمسلم الذى يحب شريعته ويعمل من أجل عقيدته ويحب الآخرة ويريدها ويسعى لها سعيها وهو مؤمـــن ، وكذلك بالنسبة لصاحب الضمير الحي يعمل بقول الرسول (ص) : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » .

استفت قلبك وانّ افتاك الناس وأفتوك ، فالحـلال بين والحرام بين وفقنا الله جميعا للحلال وأعمى عيوننـــا عن الحرام .

لا معنى للتعصب

الفهم الخاطىء لاى شىء يؤدى الى فساد كبير ، والنظرة المتعصبة للامور لا تعطى الفرصة للسماحة والمحبة، وانما تشيع العداوة والبغضاء بين الناس ، ولقد كان رسول الله (ص) سمحا في أموره كلها وهو القائل : « المؤمن سمح اذا باع ، سمح اذا اشترى ، سمح اذا تقاضى أو اقتضى » . وقد اعتبر الاسلام الناس جميعا أمة واحدة الانسانية تجمعها مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم . وقد صرح القرآن الكريم بهذا : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام . ان الله كان عليكم رقيبا » .

وبين القرآن الكريم أن الاهواء هي السبب في التعصب الذميم ، وفي التفرقة بين أبيض وأسود ، وبين جنس وجنس . لذلك بعث الله الانبياء من أجل أن يرجع الناس الى أصلهم الواحد ، والى ربهم الذى خلقهم : يقول الله : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين

الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيابينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ». • والله قد خلق الناس شعوبا وقبائل لتتعارف لا لتتقاتل وتختلف ، ولتتعاون وتأتلف لا لتتنازع وتذهب ريحها • من أجل ذلك يقول الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » • وهذا التعارف يقرب بين الناس فيتبادلون المنافع والثقافات ، ويتعايشون بسلم ومحبة ، وهدفهم انّ الخير كل الخير للانسان بصرف النظر عن لونه وجنسه ، وفي سبيل هذا التعارف المثمر يحث القرآن الكريم على السعي والضرب في الارض طلبا للرزق وللمعرفة « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » « أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان ذلك ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » •

ولقد حارب الرسول (ص) التفرقة في المعاملة بسبب الالوانّ ، وصرح بذلك وشدد النكير على من يعمل على هذه التفرقة • وقال (ص) : « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبدا حبشيا ، والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا » • والناس في نظر الاسلام يتفاوتون بالعمل لا باللون أو الجنس أو الاسرة ، والرسول يقول : « من أبطأ به عمله

لم يسرع به نسبه » . واذا كان الناس يتفاوتون في العلم والجهل ، فليس من حق العالم أن يستبد بالجاهل أو يتحكم فيه ، وانما الواجب على العالم أن يعلم الجاهل وأن ينتشله من حمأة الجهل الى نور المعرفة والعلم . ولقد قال أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) لا يسأل الجهلاء لِمَ لم يتعلموا حتى يسأل العلماء لم لم يعلموا » .

ولقد ثبت هذه الحقيقة وقررها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) اذ كان يقدم المؤمن ذى السبق في الاسلام على غيره ، وبصرف النظر عن لونه وقبيلته . يروى انه قد استأذن عليه بلال الحبشي وأبو سفيان القرشي، فدخل الآذن يقول : « بالباب أبو سفيان وبلال » ، فغضب عمر لتقديم اسم أبي سفيان على بلال وقال لآذنه : « قل بالباب بلال وأبو سفيان » ، واذن لبلال ولم يأذن لابي سفيان ، وطأطأ لها القرشي لان ذلك مبدأ من مباديء الايمان .

ولقد قضى الاسلام على العصبية القومية وعلى الفخر الكاذب بالانساب . قضى على العصبية الظالمة التي لاتنشد العدل والتي توقظ العداوة والبغضاء بين الناس يقول (ص) : « ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية » . فليس من الايمان أن يتعصب المؤمن لقومه تعصبا يؤدى الى الظلم . وليس معنى هذا أن نمحو الوطنية وأن ننسى قومنا وأن نذوب في الآخرين ، وانما معناه أن نحب قومنا بلا ظلم للآخرين ، وأن ندافع عن

أرضنا ضد بغى الآخرين ، ولقد سأل أبى بن كعب رسول الله (ص) فقال له : « أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ » فقال النبي (ص) : « لا . ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم » . ولقد شبه الرسول (ص) من ينصر قومه وهم ظالمون بجمل يتردى في ركية من النار فقال : « مثل الذى يعين قومه على الظلم مثل البعير المتردى في الركى فهو ينزع بذنبه » .

ان في عصرنا كثيرا من الفهم الخاطىء للكثير من الامور ، فهناك دعوات للسلام على أساس ضياع الشخصية، وهناك دعاة الحرب الذين يغلفون دعوتهم باسم السلام والحرية وتكافؤ الفرص وبالشعارات المختلفة ، وهناك من يتصايحون بالقومية وهم عن حقيقتها غافلون ، وهناك من يكرهون القومية وهم جاهلون بحقيقة أمرها . لقد كان رسول الله (ص) يحب قومه ووطنه ، ولم تدفعه هذه المحبة الى ظلم الآخرين أو البغى عليهم . يكفى ان نعرف أن الرسول (ص) في هجرته وقف على صخرة تجاه مكة وقال : والله يا مكة اني لاعلم انك أحب بلاد الله الى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت أبدا » . والقرآن ينزل عليه وهو مهاجر يبشره بالعودة فيقول له : « انّ الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » . وعندما فتح مكة أمر قواده ألا يعملوا السيف في قومه ، وأراد أن يدخل مكة بسلام . لذلك أعلن أن من أغلق عليه بابه فهو آمن ،

ومن دخل البيت فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمـن ٠

ولقد اختار الرسول الفداء من الاسرى في غزوة بدر على اباداتهم وقتلهم ٠ ومنع أصحابه من قتل بنى هاشـم فيمعركة بدر ٠ كل ذلك يعطينا الصورة الحقيقية لحقيقة نظرة الاسلام الى القومية ٠ فليس في محبة قومنا عيب انما العيب ألا نعترف للآخرين بهذا الحق أو نعتدى والله لايحب المعتـدين ٠

نحو البناء

لاشك أن الحياة الجديدة امتلأت بالتعقيدات ، وفقدت البساطة المطلوبة لتكوين جيل ناجح ، ولا شك أن الامر في الماضى كان مليئا بالبساطة واليسر ، وآية ذلك أن الشاب في عصرنا هذا الذى نعيش فيه يحتاج الى الكثير حتى يستطيع أن يكون أسرة ويفتح بيتا . هو يحتاج الى المال أولا ليستطيع أن يمهر زوجته ، وهو يحتاج للمال ثانيا ليستطيع أن يشترى أثاثا ومتاعا لبيت الزوجية ، وهو يحتاج الى المال ثالثا من أجل استمرار الزوجية السعيدة ، والشاب في مستهل حياته لا يملك ، خصوصا اذا كان من أسرة دون المتوسط ، ولم يكن لاهله مال كى يساعدوه ولم يكن لوالده عقار يساعد به في سكنه . ومن أجل ذلك نرى سن الزواج يتأخر بين الشباب والشابات ، وقد يؤدي ذلك الىفساد الشباب وعنوسة الفتيات . وبعض الشباب ينشد الزواج المبكر ويدفعه الشباب وحماسته أن يتقدم الى من ارتضاها لنفسه ، يتقدم الى أهلها يطلب منهم يدها ، ولكنه يصطدم بصخرة التقاليد المقيتة ، ويصادف عنتا وارهاقا يدفعه الى أن يطلق ساقيه

للريح وينكص على عقبيه ناسيا أو متناسيا التفكير في الزواج لوجود صخرة التقاليد المرعبة ٠

وبكل حماس الشباب واخلاصه يفكر تفكيرا جديا في الزواج ، ولكن والد الفتاة يطالب بمبلغ خيالى من الشاب مهرا لابنته ، ولكن والدة الفتاة تطلب بيتا كالاساطير وكالاحلام كي تتمتع فيه ابنتها ، فاذا انتقلنا الى الفتيات وجدنا أن الغالبية منهن قد تأثرن بالقصة التي قرأنها ، والفيلم السينمائي الذى شاهدن ٠ فالفتاة تريد من فتى أحلامها أن يكون غنيا وسيما ، وأن يملك السيارة ذات الطول والعرض ، وأن يتدفق عليه المال تدفقا ينفقه بغير حساب على أسعادها ، وما كل شاب غنى وليس بالاستطاعة أن نجد لكل الفتيات الغنى الذى يملك السيارة والقصر والمال الوفير ٠

وقديما قالوا أن الحياة كفاح ، وليس في استعداد بعض الفتيات أن يكافحن في سلم الحياة الزوجية ، وليس في استعداد بعضهن أن يذقن حلو الحياة ومرها مع شاب مكافح في سبيل مستقبل افضل ، فالفتاة تريد في الفتى المظهر والغنى والمال والسيارة والقصر ، والفتى لا يستطيع أن يحقق هذه الاحلام الوردية ، فيبتعد عن الزواج وينفر منه ويعيش في قلق دائم ، والفتاة لا تطامن من غرورها وغلوائها فتعيش في انتظار دائم حتى يفوتها سن الزواج ويفوتها قطار الزواج السعيد ، والاب لا يرضى الا بالتقاليد التى ما أنزل الله بها من سلطان ، فابنته ليست أقل من

فلانة ، وفلانة هذه دفع فيها مهر كبير · فلاجل الافتخار الكاذب بين الاهل والاقران لابد من مهر كبير لابنته · لم يفكر في اسعادها السعادة الحقة ، وما كانت السعادة في المال وحده · ولكن السعادة في المعنى الكبير الذي يكون في زواج موفق ، وانما السعادة في البساطة ، والسعادة الحقة في الكفاح ، ولذة العيش في الامل في حياة أفضل ، وفي تطلع الى مستقبل كريم ·

كثير من الاغنياء بالوراثة يصابون بالملل لانهم وجدوا حياتهم ميسرة ومطالبهم مجابة ، يتأخر هؤلاء ويتقدم غيرهم لان حياتهم أصيبت بالعقم وفقدت لذة التطلع والامل ، والشاب الميسر يصيبه الملل السريع · وباحصائية بسيطة نجد ان حوادث الانتحار والامراض النفسية التي لا شفاء منها نجدها بين الذين يعانون فراغا أو تبطلا عن العمل بسبب الغنى واليسار ، فالرجل الذى يبحث لابنته عن الغنى انما يبحث لها عن الشقاء الدائم ، والنزاع الدائم الذي يؤدي الى الانفصال أو الطلاق الذي هو أبغض الحلال الى الله ·

وتعالوا بنا الى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، وتعالوا بنا نرجع مرة أخرى الى التعاليم الاسلامية الصحيحة التي أخذ المسلمون الاولون أنفسهم بها فسعدوا وأسعدوا غيرهم وكونوا الجيل الصالح الذى أشاع الخير والفضيلة في العالمين · وقد حدد الرسول (ص) ما يطلبه الرجل في المرأة · فبعض الرجال يتزوج من أجل المال ،

يود أن يثرى على حساب المرأة ، وذلك مطلب غير كريم لان الرجل دائما هو اليد العليا ، فاذا انقلبت الموازين فسدت الحياة واعطى الرجل المرأة فرصة للطغيان والاستبداد، واعطاها الفرصة لقيادة الحياة قيادة غير صالحة لانها لم تعتمد على معنى فيها وانما تستند الى سلطة المال الذى تملكه المرأة ، يخنع الرجل في هذه الحالة ويذل ويرضى بأوضاع ما كان ليرضى بها لو كان هو اليد العليا ».

وقد تدل المرأة بمالها وبما تملكه ، وقد تعيره بفقره وبحاجته اليها ، وهى في قرارة نفسها لا تحترمه ولا تكن له أي تبجيل ، وعندئذ تنقلب الحياة الزوجية الى شقاء ما بعده شقاء ، وعندها يطل شيطان الفرقة برأسه وتنفصم الحياة الزوجية ، فاذا صبر الرجل على هذا الهوان من أجل ما يسر له من رفاهية ومن حياة مادية بغيضة فلا شك أنه نفسيا يشعر بالفضاضة والهوان والشقاء ، ولم يتمتع بحياة زوجية هانئة سعيدة لانه خالف السنن الكونية التي وضعها الله للحياة .

وقد يطلب الرجل في المرأة الجمال ، لا يبحث عن ثقافة أو تعليم أو ينظر الى أصل كريم قائم على الدين والخلق . فالمرأة في هذه الحالة تمثال لا حياة فيه ، وقد تصاب المرأة بالغرور من أجل جمالها فتسىء الى الرجل وتطلب منه مطالب خيالية من أجل المحافظة على جمالها وأناقتها ، وقد يضعف الرجل أمام جمالها فتفسد عليه حياته ، وقد يجاملها على حساب كرامته وأمانته ، وقد يستدين من أجلها فيركبه هم كبير بسبب مطالبها ، وقد

تطغى وتتردى بسبب هذا الجمال ، وقد تطلب منه كثرة الخروج والاتصال بالمجتمعات من أجل كلمة ثناء تسمعها من رجل آخر أو تخرج من أجل أن تثير حسرات في نفوس الرجال ، أو تثير حقدا بين النساء لها وحسدا في زعمها من أجل جمالها وقديما قيل « والغواني يغرهن الثناء » ٠

وقد يطلب الرجل في المرأة الحسب والنسب والجاه، الجاه الدينوى فهى ابنة فلان وأبوها موظف كبير في الدولة أو تاجر عظيم في السوق ، واخوتها فيهم الطبيب والمهندس والضابط الكبير ، وأخوالها كذا وأعمامها كذا ٠ ان مثل هذا الرجل لم يتزوج امرأة وانما تزوج جاها يرفع به خسيسته ٠ وقد تنظر اليه المرأة باحتقار لانه لم يتزوجها من أجلها وانما تزوجها من أجل مناصب أهلها ، وقد تشعر بضعفها ولكى تؤكد سيطرتها عليه لابد وأن تتحدث معه دائما عن أهلها وذويها ، وينقلب البيت في تلك الحالة الى ديوان من الدواوين الحديث فيه عن المناصب والرتب وعن الجاه والحسب ٠ وتتضاءل معاني الزوجية حتى تصير الى علاقة مادية بحتة ٠ الحب في هذه الحياة يتبع ما يغدقه هذا الزواج غير المبارك من علو سببه المصاهرة من أجل الجاه ، وانما الزواج في تلك الحالة تجارة من التجارات تتدخل فيها مقاييس الربح والخسارة ومقاييس المنافع العاجلة والآجلة ٠ وقليلا ما يطلب الرجل في المرأة الدين والخلق وهما أرفع ما يتطلبه رجل في امرأة ، فالدين يشعر الانسان بمسئوليته الكاملة ، والخلق شرف ومحافظة ،

والمرأة المتدينة ذات الاخلاق ترتفع بالزواج الى أعلا عليين تحافظ على شرفها وعلى مال زوجها ، وتحافظ على تنشئه الجيل الفاضل ، والجيل الصالح وتدفع بالحياة الى أهداف نبيلة سامية .

كل ذلك تحدث عنه الرسول (ص) فقال : « تنكح المرأة لاربع : لمالها ولجمالها ولحسبها ونسبها ولدينها ، فاختر ذات الدين تربت يداك » . أو « فظفر بذات الدين تربت يداك » . فاختيار ذات الدين أساس في حياة زوجية موفقة ، ولا مانع أن تكون المرأة ذات جمال ومال وحسب ونسب ودين لكن الاساس الاول الدين لانه يدعو الى التفاهم الكامل بين الرجل والمرأة على أساس الحقوق والواجبات وعلى أساس أن تمر الحياة أنشودة عذبة ولحنا جميلا .

واذا كنا نطالب بالمرأة ذات الدين ، فأولى بنا ان نطالب أيضا بالرجل صاحب الدين ، حتى اذا قام البيت على دعائم وطيدة وعلى أسس سليمة تتبع تعاليم السماء وتشعر بمسئولية الضمير وتؤدي للمجتمع حقه الكامل . ولذلك يقول (ص) : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » . فقالوا : « يا رسول الله وان كان فيه فكررها ثلاثا » فقال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفسادا » . فهو عليه السلام يطلب منا أن نختار لبناتنا الشاب المتدين والشاب الذى يعرف

مسؤليته تجاه ربه الذي خلقه فيؤدي لـه حقه ، ويؤدي للناس حقوقهم · وكم سعد كثير من الناس بهذا الاختيار ، وكم سعدوا بهذا الاسلوب الكريم في انتقـاء الزوجـة واختيار الزوج ·

الشباب فورة وغليان ولابد لهما من مهديء ، ولذلك ينصح الرسول الشاب القادر المستطيع الانفاق وعلى بـدء حياة زوجية موفقة ينصحهم بالزواج فيقول : « من استطاع منكم الباءة ـ أى القدرة على نفقات الزواج ـ فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ـ أى وقاية ـ » ·

فاذا تقدم الشاب المتدين صاحب الخـلق ، أو اذا تقدم الشاب أى شاب للزواج فلا نقف حجـر عثـرة في سبيل زواجه ، لان الشاب الذى يقدم على الزواج المبـكر فيه دلائل خير كثير ، ومثله ينبغي ألا نصده أو نقف في طريق اتمام زواجه لاي سبب من الاسباب ، وأعتقـد أن أكثر الاسباب مادى · ان هدى الاسلام يطالبنا بأن نقلل من المهور والرسول (ص) يقول « أقهن مهورا أكثرهن بركة» وجاء اليه رجل يريد الزواج فطلب الرسول من هذا الرجل أن يدفع مهرا لمن يريد الزواج منها فلم يجد الرجل شيئا ، فقال عليـه السـلام : « التمس ولو خاتما من حديد · فذهب الرجل وعاد وقال : « والله لا أجد حتى الخاتم من حديد » فقال له عليه السلام : « هل تحفظ شيئا مـن القرآن ؟ » قال : « أحفظ البقرة وآل عمران » فقال عليه

السلام : « اذهب وحفظها البقرة وآل عمران وقد زوجتك بهما » .

وعندما جاء اليه آخر وأخبره أنه دفع أربعمائة درهم في زواجه مهرا غضب الرسول الكريم وقال للرجل : « كانكم تنحتون المال من عرض هذا الجبل » .

فهدف الاسلام تكوين البيت الكريم على أساس من عدم الضرر والضرار . فلا يتزوج الشاب وينظر الى زوجته على أنها كانت السبب في ضيقه واستدانته ، ولا يجب أن تنظر المرأة على أن زواجها كان سببا في فقر والديها بسبب تجهيزهم لها . والحياة الان تتجه الى التعاون الكامل والى التبسيط والتسهيل والتيسير ، وانتقال المجتمعات العربية من مجتمعات زراعية الى صناعية كفيل بان يقضى على تعقيدات المجتمع الزراعى . ومع العلم والثقافة والحضارة حتما ستنقضى الشكليات وستضيع ، وسنرجع مرة أخرى الى مثل الاسلام وتعاليمه السمحة في انشاء البيوت السعيدة ، ومع اتساع الافق لن يفخر الاب بأنه حصل لابنته على زوج دفع مهرا غاليا ، وانما حصل لابنته على شاب مستقيم بقدر الحياة الزوجية ويحافظ عليها ويشعر بمسئوليته الكاملة تجاه زوجته وحياته الجديدة . واتجاه الناس الى الاسراع بتزويج الفتيات والفتيان في سن مبكرة سيقضى على اضطراب كثير وعلى فساد في الارض كبير ، وسيقضى على العزوبة الكئيبة والعنوسة القاتلة ، وسيمنح البسمة لحياة مشرقة كلها أمل وعمل وكفاح . اذا تخلى الشاب عن خيالاته وأوهامه

وأسعد غيره ، واذا وضعت الفتاة في حسبانها أن الكفاح لذة وان الصعود حياة وأنها بمساعدتها لزوجها سيصلان معا الى خير ما في الحياة من سعادة ورفاهية ، واذا وضع الآباء والامهات نصب أعينهم اسعاد الشباب والفتيات انقلبت الدنيا الى دنيا مشرقة يعيش فيها المجتمع بأمل وبرغد وأمان • ان هناك خطرا لابد وان ننبه له ، فيأس بعض الشباب من الزواج قد يدفعهم الى الانحراف والى السلوك غير الطبيعي ، وفي ذلك ما فيه من الخطر على مجتمعنا من جميع النواحي •

الشرود الذى نلقاه من بعض الشباب ، واللامبالاة من بعضهم وسوء الانتاج من البعض الآخر وعدم الشعور بالمسئولية • كل ذلك خطر على الامة يقضى على خيرها ويشيع فيها الاضطراب • ويأس الفتاة من الزواج أيضا قد يدفعها الى الرذيلة أو قد يرمى بها الى الكآبة المميتة ، ويعيش المجتمع بين يأس الشباب وضياع الفتيات فيتقلص الخير من المجتمع •

وفي يدنا أن نفعل شيئا • في يدنا أن نزيح سحائب الكآبة وان نجعل شمس الامل تضيء للجميع دربهم ، بالرجوع الى الفطرة السليمة ، وبالتصرف الذى جاء به الاسلام ، ودل عليه محمد بن عبدالله عليه السلام ، بالحكمة والعقل وترك التقاليد البالية العتيقة نفتح السبيل لتكوين الامة الكريمة المبنية على بيت وأسرة سعيدة • وعلى الاباء والمربين أن يفتحوا عيونهم على هذا الخطر وأن يتنبهوا له حتى لا يستفحل ويأتى من بعده الطوفان •

هل يراها ؟

مجتمعنا على طرفي نقيض ، فهـــو ينقبض في شيء لدرجة التزمت ، وينبسط في شيء آخـــر الى درجـــة التفريط • ومسائل الزواج مسائل حيوية ينبغى أن نلجأ فيها الى الفطرة السليمة ، والى التقاليد التى أوجـــدها الاسلام حتى نحافظ على الحياة الزوجية سليمة وبعيدة عن المخاطر • وقد يكون من الطبيعي أن يـــرى الخاطـــب مخطوبته حتى تستديم العشرة فيما لو تزوجها • ولـكن البعض منا يرفض ذلك كل الرفض ويأبى ذلك كل الاباء ، وهو لا يدرى أنه بعمله هذا قد يتسبب مستقبلا في سوء العشرة بين الزوجين وفي فساد البيوت وانحلالها •

الفتاة الآن تخرج الى السوق وحدها أو الى المدرسة أو الجامعة أو العمل أو زيارة أهلها وصديقاتها ، وقـــد تستعمل في كل هذه الاشياء السيارة العامة ، وقد تجلس في السيارة العامة بجوار رجل غريب أو شاب لا تعرفه ، وهى في تنقلاتها يراها الجميع ولكنها لو خطبت منعهـــا ذووها من رؤية الذى قد يصير زوجا لها في المستقبل • تناقض في التقاليد ، وفي أبسط حقوقها وحقوق الخاطب

بل وحقوق المجتمع الذي ينبغى أن يبنى على قواعد سليمة وعلى أسس قويمة . ودين الله الذى اختاره الله لنا يلجأ دائما الى البساطة واليسر في تلك المسائل حتى تستمر العشرة ويسعد الرجل والمرأة معا . من أجل ذلك يشرع للمسلم اذا عزم على الزواج ، واتجهت نيته اليه ان ينظر الى تلك التى ستكون زوجته مستقبلا حتى لا يصدم بعد ذلك ، وحتى لا يشعر بالاسى أو يمضى في طريق مسدود تقف التقاليد التى ما انزل الله بها من سلطان حجر عثرة في سبيل حياة زوجية كريمة ، وفي سبيل مستقبل أفضل للرجل والمرأة معا . وكم أصيبت الحياة الزوجية بالتصدع بسبب هذا ، وكم عانى كثير من الرجال والنساء بسبب هذا الخطأ ، لانهم سلكوا سبيل التقاليد الفارغة فتورطوا في الخطأ ، وعاشوا بعد ذلك اما على كره الطلاق أفضل منه ، واما الى انفصال يؤدى الى كراهية ومشاكل بين الاسر وعداوات .

خطب رجل امرأة وأخبر النبي (ص) بذلك فسأله الرسول الكريم : « أنظرت اليها ؟ » فقال الرجل : « لا » فقال له عليه السلام : « اذهب وأنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » أي فانه أحرى ان تستمر العشرة والموافقة والملاءمة بينكما . وهذا هو المشروع في مثل تلك الحاله . ان أحدنا لو اشترى ثوبا أو شيئا يستهلكه لابد أن يراه ويتعرف الى مزاياه حتى اذا أعجبه اشتراه ، وهذا الذى يشتريه لا يبقى طوال العمر وانما هو لسنة أو سنوات

ثم يبلى . اذا كان هذا هو شأننا في الاشياء المستهلكة، فأولى بنا ثم أولى أن ننظر بأمر الله ورسوله الى التى سنتزوجها من أجل استدامة العشرة والموافقة ، وليست المرأة سلعة وانما هى مخلوق جدير بالاحترام لانها أمنا أو أختنا أو زوجتنا أو بنتنا « وما أكرم النساء الا كريم وما أهانهن الا لئيم » كما يقول (ص) .

وعندما نصح رسول الله (ص) رجلا بأن ينظر الى مخطوبته ويراها ذهب الخاطب الى أبويها وأخبرهما بقول رسول الله فكأنهما كرها ذلك فسمعت المرأة وهى في خدرها فقالت : « ان كان رسول الله (ص) أمرك أن تنظر فأنظر ، قال الرجل فنظرت اليها فتزوجتها . ولم يحدد الرسول عليه السلام المقدار الذى يتاح له رؤيته من المخطوبة . قال بعض العلماء : هو الوجه والكفان ، ولكن الوجه والكفين تجوز رؤيتهما بدون شهوة في غير الخطبة ، وما دام ظرف الخطبة مستثنى فلا بد أنه يجوز له أن يرى منها أكثر مما يجوز في الظروف المعتادة الاخرى . وقد جاء في الحديث الشريف : « اذا خطب أحدكم امرأة فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » . والمسألة تتبع العرف الذى ينبغى أن يتحلى به الناس بلا افراط أو تفريط . وللخاطب أن يراها في الملابس التى تظهر بها لابيها أو أخيها ومحارمها بلا حرج ، وله أن ينظر اليها بعلمها وعلم أهلها ما دام ذلك بنية الخطبة . وقد فعل ذلك جابر بن عبدالله الانصارى (رضى الله عنه) قال : كنت أتخبأ لها تحت شجرة لاراها » .

ورؤية الخاطب لمخطوبته تاتى في المرحلة الثالثة من التفكير في الزواج ، ففى المرحلة الاولى يسأل عنها وعن أخلاقها وثقافتها من الذين يعرفونها ، ويسأل عن كل ما يدعوه الى زواجها ، فاذا اطمأن الى ذلك سأل عن ذويها وأخلاقهم وتصرفاتهم ممن يعرفونهم بسرية تامة وبلا احراج لاحد ، فاذا اطمأن لذلك اتصل بالاهل ليضع اللمسات الاخيرة في الصورة التي كونها عنها وعن أهلها ، ويستحسن أن يفعل كما فعل جابر بن عبدالله الانصاري (رضى) ، فان اطمأن الى الشكل واطمأن الى أنها قد تصير له زوجة صالحة فليحاول ان يكاشف أهلها بطلبه أن يراها في بيتهم كما أراد الاسلام حتى تستقيم له الحياة معها في مستقبل أيامهم .

وقد يفعل الرجل هذا ثم يصطدم بأشياء لم تكن في حسبانه كأن تكون مخطوبة لغيره فلا يحل له عند ذلك أن يخطب على خطبة أخيه لأن الخاطب الاول قد اكتسب حقا يجب أن يصان رعاية للعلاقة وحسن المودة بين الناس ، وبعدا للمسلم عن سلوك يتنافى مع المروءة ويشبه الاختطاف والعدوان ، فاذا صرف الخاطب الاول نظره عن الخطبة أو اذن بنفسه للخاطب الثاني فلا حرج حينئذ عليه . روى عن رسول الله (ص) أنه قال : « المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه » ، وروى أيضا عنه (ص) انه قال : « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو

يأذن له ٠٠ » كما لا يحل للمسلم أيضا أن يتقدم لخطبة امرأة مطلقة أو متوفى عنها زوجها في عدتها لان وقت العدة حرم للزوجية السابقة فلا يجوز الاعتداء عليه ، وله أن يفهم المرأة المتوفى عنها زوجها (وهي في العدة) رغبته في زواجها بالتعريض والتلميح لا بالاظهار والتصريح ٠ يقول الله تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم ٠ علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » ٠ فاذا لم تكن هناك موانع ورآها بالطريقة المشروعة فلا يجوز له ولا لاهلها أن يتوسعوا في الرخصة التي رخص بها الشرع الحكيم ٠ فبعض الناس يلقى الحبل على الغارب للفتى والفتاة ، وباسم الخطبة يذهبان الى الملاهى والمتنزهات والاسواق بغير حضور أحد المحارم ، وفي ذلك من الضرر ما فيه على سمعة الفتاة وذويها ، وفي ذلك تقليد للحضارة الغربية والتقاليد التي لا يعرفها مجتمعنا الاسلامي ، وبهذا التطرف يأتى الضرر وليس هناك ارتباط ملزم للخاطب لو ترك !! وعندئذ ننحى على أنفسنا باللائمة ونندم ولات ساعة مندم ٠ وقد تحدثنا عن الرجل وموقفه وحقه في رؤية من قد تصير له زوجة ولم نتحدث عن المرأة أو الفتاة فهل أغفلها الشرع وتركها ولم يحسب لها حسابا ! أم أن المشرع الحكيم اعطاها هذا الحق أيضا كما اعطى الرجل ٠

في الواقع ان الاسلام أعطى المرأة ايضا حرية الاختيار بلا عنت من ذويها او اجبار منهم لانّ المرأة أو الفتاة هي صاحبة الشأن الاول في زواجها ، فلا يجوز لابيها أو وليها أن يهمل رأيها أو يغفل رضاها . يقول (ص) : الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن وأذنها صماتها » . جاءت فتاة الى النبى (ص) فاخبرته أن أباها زوجها من ابن أخيه وهى له كارهة ، فجعل النبي (ص) الامر اليها فقالت : « قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أنّ أعلم النساء ان ليس للاباء من الامر شيء » .

بعض الاباء يتصرف على هواه بلا شرع ولا دين ويجبر ابنته على شخص لا ترضاه لنفسها بعلا لانه يعتقد أن من الرجولة أن يتصرف في ابنته كما يشتهى ويحب ، ولم ينظر للعواقب التى تاتى من جراء عمله . فالكراهية في حالته تلك التى ارتضاها لنفسه أساس ، والمرأة تعيش مع هذا الذى اختاره لها والدها بغير رضاها بعنت ومشقة وكراهية ، والبيت لايقوم على سعادة وانما على شقاء ، ولن تتحقق حكمة الله في مثل هذا الزواج ، فلن يكون سكنا ولن تشعر المرأة فيه بالدفء ولا بالحنان ، ولن تشعر بكيانها كانثى لها رأيها في أخص خصائصها ، ولها حريتها واختيارها .

انّ الاسلام ينشد دائما المجتمع السليم القائم على تفاهم تام ، وأساس المجتمع رجل وامرأة فان كان بينهما اضطراب في العلاقة الزوجية اضطرب المحتمع وفقد الهدوء

المطلوب من أجل الانتاج والحياة المستقرة · وكثير من الاباء يتدخل فيما لا يعنيه ، وكثير منهم يتسلط بلا مبرر لتسلطه ، وكثير منهم من يختار لابنته بمقاييسه وبمنطقه المادى أو التجارى أو المصلحى لا يهمه سعادة ابنته في قليل أو كثير ، وانما يهمه بالدرجة الاولى أن يثبت لنفسه أنه رجل يتصرف كما يحب ويشتهى ، وانما يهمه أن يثبت ذاته على حساب سعادة ابنته ، وعلى حساب حياتها التى لا تلبث قليلا حتى تنهار وتتقوض ثم يسأل نفسه بعد ذلك : لقد اخترت لها أحسن الازواج ومع ذلك فشل الزواج · انه لم يختر لها أحسن الازواج وانما اختار لنفسه أحسن الاصهار ·

ان المقاييس تختلف والاذواق تختلف أيضا ، ومنطق المرأة غير منطق الرجل ونظرتها غير نظرة أبيها · من أجل ذلك أعطاها الاسلام حرية الاختيار · وقد تختار الفتاة فيكبر على أبيها ذلك ويقف حجر عثرة في سبيل اتمام الزواج لان اختيارها لم يصادف هوى في نفسه ، ولانها خالفت التقاليد التى ما أنزل الله بها من سلطان · ولو رجع الاب الى حياة الرسول (ص) لوجد أن السيدة خديجة (رضى) قد اختارت الرسول عليه السلام لها زوجا وخطبته لنفسها ، وأرسلت له خاطبة كي يتزوجها · وتزوجها رسول الله وكان أعظم زواج في حياته · أنجب منها البنين والبنات وصدقته حين كذبه الناس ، وأعطته مالها حين منعه الناس ، وواسته ووقفت بجواره حين جاءته

النبوة وآمنت به وظلت معه الى اللحظة الاخيرة من حياتها ، كان يهش لذكراها ويتذكر ايامها بحنان رطيب · ولم يعب هذا الزواج أن المرأة هي التي اختارت فأحسنت الاختيار ، وكان زواجا موفقا لانه قام على تفاهم تام بين أم المؤمنين خديجة (رضي) وبين رسول الله محمد (ص) · صحيح ان من حق الاب أن يتدخل اذا كانت تجربة الفتاة ضئيلة ، واختيارها لا لمعان في الشاب وانما لشكله ومظهره· وقد يكون ساقط المروءة والرجولة ، والفتاة لا تعرف هذا عنه · عند ذلك على الاب أن يناقش ابنته بلين ولطف مبينا لها الاخطاء تاركا لها الحكم الاخير ·

ولا يحل للاب أن يؤخر زواج ابنته اذا خطبها كفء ذو خلق ودين لقول رسول الله (ص) : « ثلاث لا يؤخرن : الصلاة اذا أتت ، والجنازة اذا حضرت ، والايم اذا وجدت لها كفئا » ويقول (ص) أيضا : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » · ان الحياة بحاجة الى الفهم الشديد وبحاجة الى السباطة والسهولة واليسر ، وبحاجة الى التفكير بعقلية سليمة حتى تشيع المحبة بين الجميع ، وحتى تستقيم أمور المجتمع · الفتاة لها كيان ولها رأى ، والشاب له كيان ورأى ، ولن تستقيم الحياة الا بالتفاهم الكامل بين الرجل والمرأة · ان مجتمع رسول الله (ص) تقدم عندما نظر الى المرأة نظرة فيها احترام وفيها تقدير ، عندما رفع الاسلام الضير والعنت عنها ، عندما اعتبرها

انسانا وقدر انسانيتها ، عندما نزل القرآن الكريم يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ٠

لا حياة الا بهذا ، ولا تقدم الا اذا وضعنا في اعتبارنا ان تقدم المجتمع والحياة يكون بالمرأة والرجل معا ، وان تأخر الحياة وانحطاطها يكون بالنظرة غير السليمة للمرأة ومنعها من أبسط حقوقها في اختيارها لزوجها ٠

فلنجرب حياة المجتمع الاسلامي الاول لنرى النتيجة، وسنراها تقدما ورفعة وعزة ٠ المجتمع أمانة في أيدى الآباء والامهات ووديعة غالية ، فلنيسر ولا نعسر ولا نقف في سبيل ايجاد المجتمع النظيف الذى تسوده العدالة والالفة والمحبة ٠

محمد (ص) النموذج الكامل للانسان

لكل أمة نموذج في حياتها تحتذيه وتتخذه مثالا ، فبعض الامم تعجب بالقادة العسكريين ، وبعضها ينظر الى فلاسفته نظرة الاكبار والاجلال ، وبعضها ينظر الى العلماء والمفكرين نظرة التقدير والاحترام ٠

تنظر الامم دائما الى جانب واحد من جوانب الشخصية الانسانية ، ولكن المثل الكامل للانسان الذي يجمع بين جوانبه انسانية الانسان والاخلاق القويمة والقيادة الحكيمة واحترام البشرية والاسوة الحسنة قلما نجد الامم تفتش عنه كثيرا ٠ ولو رجعنا الى تاريخنا والى نموذجنا الكامل في الحياة كمسلمين لوجدنا هذا النموذج متحققا في شخصية الرسول (محمد) (ص) التي هي من مبدئها الى نهايتها أنموذجا فذا في كل شيء ٠ ولو درسنا تعاليمه التي جاء بها من عند ربه ثم طبقنا هذه التعاليم على شخصيته لوجدنا التعاليم وشخصيته شيئا واحدا ، ولذلك تقول احدى زوجاته عندما سئلت عن خلقه (كان خلقه القرآن) ، وكان (ص) يقول : « تخلقوا بأخلاق الله ٠ ان ربي على صراط مستقيم » ٠

تعالوا بنا نرى هذا الانسان في عظمته .. نرى هذا اليتيم الذي غير العالم وبدله وهو الامي الذي ما درس فلسفة ولا علما ، والذي ما قرأ كتابا أو جلس الى معلم (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ، الا الى الله تصير الامور) وصدق الله العظيم اذ يقول : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » . نذكر العوامل التي مرت به في طفولته التي لم تكن سعيدة اذ يأتي الى الحياة وقد فارق والده دنيا الناس ، وما يتنبه قليلا حتى يصاب بفقد أمه وهو في السادسة من عمره ، وينتقل جده الى رحمة مولاه وهو في الثامنة . وقد ركز محمد (ص) محبته في جده حتى لقد شوهد وهو في الثامنة يبكي أحر بكاء على هذا الجد العظيم ، ولكن عناية الله تضعه في يد أرحم أعمامه وهو أبو طالب . يحدب عليه كولده ويحبه أكثر من بنيه ، ويعوضه عن فقدان الام والآب والجد .

ويعرف محمد شظف الحياة والكفاح في سبيل لقمة العيش وهو صغير . صحيح أن أبا طالب أعطاه الحنان والمحبة لكنه كان فقيرا فكان على محمد أن يسعى في سن مبكرة يرعى الغنم ويتنقل بها من مكان الى مكان طلبا

للرعى ، ولم ينقم محمد على البشرية ان كان حظه منها هذا الضياع ، وانما نراه في مستقبل ايامه قبل النبوة وبعدها رحمة مهداة كما يقول عن نفسه : « انما أنا رحمة مهداة » أو كما يقول القرآن الكريم عنه « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

ولقد كان رحمة للعالمين . فالعالم في عهوده كلها يعيش على التعصب الاعمى وعلى الحقد الدفين وعلى تفضيل الاجناس والالوان ، والعالم يعيش بعقلية ضيقة ، فاللون الابيض أفضل من اللون الاسود في زعم بعض الحضارات ، ويأتي محمد فيقول : « أيها الناس ... ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » . يقول هذا ويحققه عمليا بين الرعيل الاول الذي أسلم معه ، فبلال العبد الحبشي في نظره أول ثمار الحبشة ، وبلال هذا يصعد الى ارفع مكان في الكعبة لكي يؤذن ، ويدعو الى الصلاة والمسلمون يجلسون أسفلها يستمعون الى النداء الرطيب من فم هذا العبد الحبشي الاسود وكلهم راضٍ لان الاسلام لم يقم على تفضيل الالوان والاجناس وانما قام ليعلي من شأن الانسان وليضعه موضعه الصحيح بسابقته وبايمانه وبعمل الصالحات . وسلمان الفارسي له دور عظيم في التعجيل بالنصر على الاحزاب في غزوة الخندق اذ يشير على المسلمين بحفر الخندق حول المدينة ، وينتصر جند الله بسبب فكرته هذه ، حتى استحق من الرسول أن

يقول عنه « سلمان منا آل البيت » . بل أكثر من هـذا يزوج الرسول (ص) عبده زيد بن حارثة من بنت عمته زينب بنت جحش (فلما قضى زيد منها وطرا) تزوجها الرسول حتى لا يشعر العرب بالانفة والعزة الفارغة عندما يرون عبدا يتزوج بشريفة قرشية بعد تحريره ثم يتزوجها أعظم انسان وهو محمد بن عبدالله . ويحطم ابن عبدالله القيود والاغلال ويقضي على التقاليد الفارغة الآثمـة ، ويضع الانسان موضعه الصحيح ، فكرامة الانسان أغلى شيء في الوجود (ولقد كرمنا بني آدم) .

عبودية الانسان للانسان لا قيمة لها في نظر محمد ، ولابد من القضاء عليها من أجل ذلك يتبنى الرسول زيد ابن حارثة ويعطيه اسمه ، ثم يزوجه بعد ذلك من شريفة قرشية ، ثم عندما يطلقها زيد يتزوجها محمد (ص) ايمانا منه عليه السلام بالانسان بصرف النظر عن عبوديته ومـا مر به من قيود واغلال وضعها الطمع الموجود في الانسان . والمادية البغيضة التي ركبت في طبيعته .

تقوم دعوة محمد اذن على تكريم الانسان والاعتراف ببشريته وقيمته بلا تعصب لجنس أو لون أو قبيلة ، ولم تكن دعوته كلاما وانما كانت عملا وأسوة حسنة كريمة . عندما دخل المدينة وجد أن الأوس والخزرج يتنازعـان نزاعا يكاد يفني القبيلتين ، ووجد أن سبب تأخرهـم وضياعهم تعصبهم الاعمى للقبيلة تركوا الزراعة والتجارة جانبا وجلسوا للتفاخر ، وفرح اليهود بعملهم هذا فاشعلوا

نار العداوة والبغضاء فيما بينهم .

كسب اليهود المال وسيطروا على العرب بهذا ، فلما جاء محمد (ص) الى المدينة قضى على التعصب وسمى الاوس والخزرج باسم الانصار ونزل القرآن الكريم يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها .

وسارت المدينة بلا اغراض أو تعصب فكانت النواة الاولى لحضارة زاهرة شملت الدنيا وأثرت في العالمين . ان وحى الله ينزل فيقول « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » . ان محمدا (ص) يقول لابنته فاطمة (رض) : « يا فاطمة بنت محمد . اعملي لن أغني عنك من الله شيئا »، ويقول لعمه العباس : « يا عباس بن عبدالمطلب . سلني من مالي ما شئت لن أغني عنك من الله شيئا » .

واذا كانت دعوة محمد تقوم على هذا فهي اذن لا تعرف الا العدالة تشيعها بين الجميع وأحكام الله تعالى على العالمين بلا تفرقة بين انسان وانسان بصرف النظر عن دينه ولونه وعنصريته . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله

ان الله خبير بما تعملون » ٠

عندما سرقت امرأة من بني مخزوم وهي قبيلة شريفة في العرب ذهب قومها الى أسامة بن زيد حِبّ رسول الله (ص) وطلبوا منه أنْ يشفع لهم عند رسول الله فلما حدث اسامة الرسول الاعظم في ذلك غضب عليه السلام غضبا شديدا وقال : « أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟! » ثم نادى الى الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس خطبهم فقال : « أيها الناس ، كان الناس من قبلكم اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وان سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ٠

بهذا الاسلوب الحكيم كان يقضي بين الناس ، وبالعدالة المطلقة استمر الاسلام الى وقتنا هذا الذي نعيش فيه ٠ كان يطبق العدالة على نفسه أولا وقبيل أن ينتقل الى الرفيق الاعلى قال للناس : « من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليقتص منه ، ومن كنت أخذت منه مالا فهذا مالي فليأخذ منه » ٠ ولقد أغلظ رجل من اليهود له القول لانه عليه السلام تأخر في دين له عليه ، فكاد أحد المسلمين أن يفتك بهذا اليهودي فرفض الرسول منه ذلك وقال له : « دعه فان لصاحب الحق مقالا » ، ووفاه دينه ٠

لقد كانت عدالة السماء محققة بين الجميع ٠ من أجل ذلك نجحت دعوة محمد (ص) لانها وضعت العدالة موضع التطبيق بلا محاباة من أجل دين أو عنصرية أو لون

أو جنس . وقصة طعمة بن ابريق شاهد على ذلك ، ان طعمة عربي سرق واتهم يهوديا بذلك فحقق الرسول الأمر فوجد أن طعمة هو السارق ، فأراد أن يقيم عليه الحد فهرب الى مكة ونقب جدارا ومات هناك ونزلت الآية تقول : « ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما » .

يجب ألا ننسى أيضا أن وحدة العرب والمسلمين كانت سببا في حضارتهم ورقيهم ، فاذا عزّ العرب عزّ الاسلام ، وأن تفرّق كلمتهم هو الذي أضاعهم وجعلهم نهبا للاستعمار يعبث بهم ويستولي على خيرات بلادهم ويضربهم ببعضهم البعض ، فاذا عرف المسلمون والعرب هذا فتوحدوا فيما بينهم عادت لهم عزتهم وكرامتهم .

لقد جاء محمد (ص) بدين خالد من عند الله كي يرفع من شأن الانسان وكي يدفع به دفعا نحو الخير والنور واحترام البشرية ولابد من علم بالله ومعرفة به فكان القرآن دليل المؤمن الى ربه ، وكانت أقوال رسول الله هي النبراس الذي يضيء للناس دربهم ، ويبين لهم الحق من الباطل والنور من الضلال ، ويوضح لهم أن قيمة الانسان بقدر ما يقدم للبشرية ، وبقدر شعوره بالاخاء والرحمة والمودة ، وبقدر ألمه لضعف الضعفا ومؤاساته لهم والتفكير في شأنهم « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » كما يقول (ص) .

الاسلام يحارب في المسلم الضعف البشري والعزة

الفارغة ، والانانية البغيضة · من أجل هذا طبق الرسول هذه المعاني على نفسه فكان بالمؤمنين رحيما ، وكان زاهدا في دنيا الناس ، كان يألف الناس ويألفونه ، وكان يهش لهم ويعترف بضعفهم ، فيعالج هذا الضعف بأناة وحلم ، ويضرب المثل للناس في تصرفاته ، فيقتدى به أصحابه ويسيرون على نهجه ، فكانوا أمثلة مضيئة للبشرية · لقد بُعث عليه السلام في أمة أميّة · الجهل أساسها والخرافات تعشش في عقول الناس ، والاوهام والاباطيل يعيشـــون عليها ، ولا مُشاحة أن العلم النافع يطهر الامة ويزكيها ويرفعها الى أعلا الدرجات ، فكانت أول آية تنزل عليه (ص) « اقرأ باسم ربك الذي خلق · خلق الانسان من علق · اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم · علم الانسان ما لم يعلم » · فوسيلة العلم القراءة والكتابة · لذلك عندما وقع أسرى بدر في يد الرسول (ص) كان فداء بعضهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة· فكان العلم يساوي الحرية لأنّ العلم يبني للناس مجدهم ، ولم يُبن مجد على جهل وفساد في التخيل، وخرافات تعيث فساداً في روح الامة ومقوماتها · عندما عرف المسلمون العلم واتخذوه وسيلتهم الى الله ، سادوا العالم وتقدموا به، وعندما رجعوا القهقرى انتهت حضارتهم وغلبتهم أضعف الامم وسيطرت على خيراتهم ومقدراتهم ·

علينا دواما أن نتذكر هذا ونحاول أن نطبقه عمليا على انفسنا فتشعر بالاخاء للجميع « انما المؤمنون اخوة ،

فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » ، ونشعر انه لا فضل لاحدنا على الآخر الا بالتقوى والعمل الصالح، ونستشعر العدالة فيما بيننا ونحققها عمليا على أنفسنا وعلى أهلنا ومجتمعنا حتى نشعر بالسعادة الحقة ، سعادة الانسان الذي زادته المعرفة صقلا وارتفعت به عن مرحلة الحيوانية الى مرحلة الانسانية الفاضلة · نتذكر العطف والمساواة والرحمة ونتذكر الضعفاء الذين جاء من أجلهم محمد بن عبدالله لكي يرفع عنهم الضير ويأسو جراحهم بيده الحانية وببسمته الرحيمة وبذوب قلبه الذي يضيء بنور ربه · نتذكر النبي الأمين الذي كان العلم شعاره في الحياة ، فنحاول أن نرتفع بأنفسنا بالعلم وأن نعيد حضارتنا على أسس من العلم والمعرفة ·

عليك صلوات الله يا رسول الله ، لقد بنيت الانسان من جديد ·

لن نيأس

الحياة صدام بين الخير والشر · صراع بين قوى مختلفة بعضها يريد السلام للبشرية والخير لها ويعمل جاهدا من أجل اقرار العدل والحرية لتسير الحياة الى الافضل والاكرم وليبقى الوجود تحميه المبادىء الفاضلة والقواعد التي وضعتها السماء لتكون شريعة الانسان · وبعضها يريد الشر ويحاول جاهدا أن يقف في وجه كل خير وتقدم ، ويضع العراقيل والعقبات حتى لا تتقدم الانسانية ، وحتى تزول القيم وحتى يعيش الناس في قلاقل دائمة فتهوى الانسانية ، وينحرف البشر عن غاياتهم واهدافهم · ويحدث الصراع دائما بين قوى الخير والشر · وعلى طول طريق الانسانية حدث الصدام بصور وباشكال متعددة ، فما من دعوة من الدعوات لخير الانسانية ورفاهيتها وتطورها الا واعترض طريقها المعترضون ، يحاولون ايقاف الزحف نحو النور والخير ثم يحاولون بعد ذلك القضاء الاخير على تلك الدعوة حتى تباد من الوجود ·

وخلال الصدام بين الخير والشر تكون الهزيمة

ويكون النصر ، وبقدر ما يكتب للخير من انتصار بقدر ما يواجه من هزائم ، ولم تكن الهزيمة أبدا بقادرة على ان توقف اضطراد الخير وسير الحياة ، ولن يكون أصحاب المبادىء من المستضعفين لانهم لايعرفون الهوان ولا يرضون به ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » . وسنة الحياة أن تقوم على النصر والهزيمة ، وعلى الخير والشر وعلى الصعود والهبوط ، وعلى الغنى والفقر ، وعلى القوة والضعف ، وأصحاب المبادىء والعقائد يعرفون ذلك جيدا لانهم يقرءون قول الله تعالى : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » .

ولقد جاء رسل الله جميعا برسالات من السماء لخير البشرية واخراجها من ظلمات الشرك الى نور اليقين والعلم والعدالة ، فما وجد الانبياء الطريق أمامهم ممهدا ، وانما ساروا على الاشواك ودميت أقدامهم « وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب » . ونصر الله يأتي مع الصمود والصبر والتقوى « بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .

لقد كان الصدام بين رسل الله وبين أعدائهم متعدد الاساليب والاشكال ، ونجح الاعداء مرة ونجح رسل الله مرات ، لكن غلبة الاعداء لم تثن أصحاب المبـــادىء عن عزائمهم الصادقة ، ولم يتزعزع ايمانهم ولم يفقدوا الثقة في انفسهم ، وانما اتخذوا من الهزيمة سبيلا الى الانتصار ، وكانت النكسات وسائل لجمع الشمل والسير قدما نحو الغاية ، والهدف بصبر واحتمال وقوة وأمل ، فكان النصر الاخير للخير على الشر « بل نقذف بالحق على الباطـــل فيدفعه فاذا هو زاهق » • ولقد تعرض الاسلام للتضييق واعترض سبيله أصحاب المصالح ، وحاولوا اطفاء نور الله بالفتنة والتعذيب ، وبالوقوف في وجه الدعوة وصاحبها ،

واستمرت الدعوة في تقدمها وسيرها ، واستمر الشر في مقاومتها حتى بلغ الصدام ذروته بالصدام المسلح بين المسلمين وقريش وبين المسلمين واليهود ، وبين المسلمين والروم ، وبين المسلمين والفرس • ولم تكن كفة الفوز في جانب المسلمين بصفة دائمة ، فقد تعرضـــوا لهزائم وأصابتهم نكسات ، ولكنهم صبروا ولم يستسلموا بل جمعوا شتات أنفسهم ووقفوا صفا واحدا تجاه اعدائهم ، فضاعت آثار الهزائم ، وانكسرت حدة النكسات ، وانطلق المسلمون من جديد نحو اهدافهم وغاياتهم • ففي غزوة أحد انتصر المسلمون في أول المعركة ، وخالف الرماة أمر رسول الله فتركوا أماكنهم من أجل الغنائم ، فالتف المشركون حولهم وحصروهم وحاقت بهم الهزيمة في آخر المعركة ،

وأصابت حجارة قريش الرسول فاصيبت رباعيته وشج في وجهه ، ودخلت حلقتان من المغفر في وجنتيه وسقط في حفرة كان قد احتفرها أبو عامر الوهاب · ولم يستسلم المسلمون للهزيمة وإنما جمعوا صفوفهم من جديد ، ولحقوا باعدائهم ففر الاعداء نحو مكة ، وفي غزوة مؤته كان عدد الروم عظيما بالنسبة لاعداد المسلمين ، واستشهد ثلاثة من قواد المسلمين وهم زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحه ، وتلفت المسلمون حولهم يبحثون عن مخرج مما هم فيه من كرب وهم ، فتولى قيادتهم خالد ابن الوليد وانسحب بهم انسحابا منظما ، ولم يكن هذا الانسحاب نهاية للمسلمين في حربهم للروم ، وانما كان البداية للقاءات أخرى قضت على الروم قضاء نهائيا بقيادة خالد بن الوليد ·

وفي موقعة الجسر بالعراق فقد المسلمون عددا لا يستهان به من الجنود والقادة · ومن شدة هزيمة المسلمين فيها بكى الناس وبكى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني ، ودخل بعض الفارين الى المدينة منكسى الرؤوس حزنا وأسى ، ونزل بعض المسلمين البوادي حياء وخجلا وخوفا ، وعيّرهم الناس حتى رق عمر لحالهم وقال : « اللهم كل مسلم في حل مني · أنا فئة كل مسلم · يا معشر المسلمين لا تجزعوا أنا فئتكم وانما انحزتم الي · »

ويحدثنا التاريخ ان المسلمين جمعوا صفوفهم من جديد ، وترابطوا واعتصموا بايمانهم وصبروا وصمدوا

وواجهوا الفرس وانتصروا عليهم وقضوا على دولة الأكاسرة .

ليكن لنا في تاريخنا عبرة . ان الهزيمة ليست عارا الا في حالة واحدة هي حالة الاستسلام والخضوع ، ولم نركع بعد ولم نسجد ولن نسجد للمستبدين الذين استحلوا أرضنا ، ولكن شيئا واحدا ينبغي أن يكون نصب أعيننا جميعا . أن نؤمن بالله ونعتقد أن النصر منه سبحانه ، وأن نرجع الى قيمنا من جديد ، والى مبادئنا الفاضلة . وبالعقيدة والايمان والصبر والامل في الله يأتي النصر وما ذلك على الله ببعيد .

عالم المستضعفين

يقول الله تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض » ٠

تعرضت الانسانية فيما تعرضت له في تاريخها الطويل الى الحط من قيمة الانسان من افراد من بني الانسان ؛ قسموا الحياة الى اقوياء وضعفاء ، وأغنياء وفقراء ، فتصرف الاقوياء في حق البسطاء والضعفاء ، وسخروهم لغاياتهم ومطامعهم ، وتأتي الاديان لتعمل على رفع الضير عن هؤلاء الضعفاء الذين اتبعوا دعوة الانبياء وعملوا من اجلها واستجابوا لربهم ٠ ويذكر لنا القرآن الكريم كيف وقف الاقوياء من الدعاة والانبياء ، وكيف دعوهم بصراحة لا التواء فيها أن يبعدوا عنهم هؤلاء المستضعفين أو على الاقل يجعل لهم النبي يوما وللضعفاء والعبيد يوما آخر ٠ قالوا لمحمد (ص) ذلك عندما رأوه جالسا يوما مع صهيب وبلال وعمار وخباب وقالوا له : « يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ! أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا ! ألا تجعل لهم يوما ولنا يوما ، فانا

نستحي أنّ ترانا العرب مع هؤلاء الضعفة والعبيد » .

وتنزل الآيات تدمدم أهواءهم وتخطف أوهامهم تقول للنبي (ص) « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » . تلك محاولة حاولها كل الاقوياء والاغنياء مع رسول ونبي ، فهذا نوح عليه السلام عيّره قومه بأن اتباعه من المستضعفين فقالوا له : « وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » .

وألح عليه قومه كي ينحي عنه هؤلاء الفقراء الذين آمنوا به وعززوه ونصروه ، فما كان جوابه كما اخبر القرآن الكريم الا أن قال لهم « وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ، ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون » .

لقد اصطلح الناس في كل زمان ومكان على تمجيد أهل الثراء والحظوة ، وعلى أن ينظروا اليهم نظرة ملؤها التوقير والاحترام ، بينما ينظرون الى أهل الخصاصة والفقر نظرات ملؤها الرثاء والازدراء ، والاديان جاءت لتقوض هذه الموازين المختلة ، ولتضع الانسان موضعه الصحيح ، موضعه الذي اختاره له ليكون خليفته « اني جاعل في الارض خليفة » وليحقق سيادته على الارض ، وان

الانسانية بأسرها ينبغي أن تتحرك صفا واحدا داخل صفوف متكافئة من القدرة والسيادة والكفاية » . فلا يتقرر مصير الانسان بغناه وفقره ولا بقوته وضعفه ، وانما بجوهره وحقيقته وعمله الدائب لخير الانسانية وكمالها ، ولتحقيق سعادة البشرية « ومن أبطأ به عمله لم يرفعه نسبه » كما يقول عليه السلام . فالذين يضعون ثروتهم ، والذين يضعون طاقتهم في خدمة البشرية والخير العام ، هم المثل العليا الطيبة في هذه الحياة . أما الذين يتخلون عن تبعاتهم تجاه البشرية وخيرها فاولئك هم العاجزون البعيدون عن الخير سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، ضعفاء أو أقوياء . ذلك هو ما يرفع أقدار الناس في نظر القرآن الكريم .

ان القرآن الكريم ليصحح مفاهيم الناس في معنى التفوق ، فيقول سبحانه وتعالى : « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » . وهكذا يأمرنا الله أن نستبق الى الخيرات ، وأن نعمل الخير من أجل الفلاح والرقي والصعود الى كل كمال ميسور والى كل رفعة مأمولة . وبهذا وحده يأخذ الانسان فرصته العادلة في مضمار الحياة . لقد عمل الاسلام على أن يحرر الفرد من الدونية والانحطاط ، والاستغلال وأن يرتفع به « لقد كرمنا بني آدم » ، وعلى الانسان ألا يحس بالضآلة أو بأنه همل . ان القرآن الكريم يهتف هتافا قدسيا بكل

حقوق الفرد العادي ، وبجميع حقوق الناس ينفخ فيهم من روحه عزة وكرامة ويدعوهم لينهضوا مرفوعي الرؤوس ويقول لهم « ولا تهنوا و لاتحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » ويذكرهم سبحانه بأنهم على موعد معه دائما فيقول : « ولقد صدقكم الله وعده » ويرفع أقداركم الى أعلى غاية مرجوة فيقول سبحانه « وهو جعلكم خلائف الارض » .

ثم يرفع مستوياتهم الى مستويات القيادة مع رسول الله الذي اختاره الله لرسالته والذي لا ينطق عن الهوى ، أمره ربه ألا يبرم أرا الا بعد استشارة الناس كل الناس « شاورهم في الامر » .

هؤلاء الفقراء والبسطاء ، وهؤلاء العبيد والمستضعفون يستشيرهم رسول الله (ص) ليرفع أقدارهم أمام انفسهم وليشعرهم بسيادتهم الكاملة وبأنهم الأعلون ، وليمنحهم المسؤولية الكاملة التي لا تقل عن مسؤوليته لينشىء بذلك عالم الخير والبر ، عالم الموازين الحقيقية التي تمجد الانسان وترفع من قدره وتبشر بعالم المستضعفين الذين يقول الله فيهم « ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض .

أمثلة من الايثار

يقول الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ان الاسلام جاء ليوحد المجتمع الفاضل . المجتمع المثالي في كل شيء . وافظع ما يصاب به مجتمع من المجتمعات الفردية والانانية البغيضة والطمع والجشع . وما جاءت الاديان الا من أجل أن يتعلم الناس الايثار والمحبة . ومن أجل أن يعيش الجميع في كنف الله ورعايته بلا بطر ولا استعلاء ، وبلا جمود ولا كراهية .

ورسل الله جميعا أمثلة مضيئة للناس في سلوكهم وأحوالهم ، وفي الامثلة يضربونها للناس بافعالهم . ولقد كان رسول الله (ص) يأتيه الرجل وقد ربط الرسول (ص) على بطنه حجرين من الجوع فيسأله احساناً فيقول (ص) والله ما عندي شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه ، فيقول له أحد الاصحاب : يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تطيق ، فيظهر الغضب في وجهه (ص) فيقول صحابي آخر : يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش

اقلالا ، فيظهر البشر في وجهه (ص) ويقول « بهذا أمرت ». او يأتيه الرجل فيقول اني مجهود ، فيرسل الى نسائه فيقلن جميعا : « والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء » ، فيطرق الرسول قليلا ثم يقول لاصحابه : « من يضيف هذا الليلة ؟ فينبري أحد الانصار قائلا : « أنا يا رسول الله » ، وينطلق بالضيف الى امرأته قائلا : « أكرمي ضيف رسول الله » ، فتقول : ما عندي الا قوت صبيانك » ، فيقول لها : فعلليهم بشيء ، واذا ارادوا العشاء فنوميهم واذا دخل ضيفنا فأطفيء السراج وأريه أنا نأكل ، فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا على النبي فقال له (ص) : « لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » وتنزل الآية الكريمة : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

ولقد هاجر أصحاب محمد (ص) من مكة الى المدينة فاستقبلهم أهلها بالاخاء والمودة والمشاركة التامة في أرضهم وأموالهم وبيوتهم ويؤاخي الرسول بين المهاجرين والانصار ، وقد فعلت العقيدة السليمة والايمان العظيم بالله ورسوله فعلها الحسن بهم ، فآثروهم بالمحبة والتكريم ومنحوهم كل شيء ، وساعدوهم في حياتهم هذه الجديدة بلا حرج ولا خوف لانه يثقون في ربهم الذى رزقهم ومنحهم فبارك الله لهم جميعا .

وتنزل الآية الشريفة تمدحهم فتقول : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ٠

أمثلة يضربها رسول الله (ص) وأمثلة يضربها صحابة الرسول (ص) ٠

لذا لا نعجب اذا وجدنا مجتمعا مثاليا يقود عالم الناس ودنياهم الى الحق والفضل والنبل ، والى الاخلاق التي تغزو الدنيا وتفتح القلوب والنفوس ٠

ان الناس اذا فهموا ان طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة ، وطعام الاربعة يكفي الثمانية كما يقول (ص) ٠ اذا فهموا هذا وفهموا حاجات الانسان بلا تعقيد وبلا أنانية لعاشوا سعداء ، ولكن الشيطان يغلبهم ، فلو كان لهم واديان من ذهب لانتخبوا لهما ثالثا ، ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب ٠٠ كما يقول عليه السلام ٠

ان كثيرا من الحروب التي قامت بين بني الانسان سببها الفردية البغيضة ، فالكلمة يقولها بعض الناس « أنا وبعدى الطوفان » ٠ هذه الكلمة وأمثالها زادت من فقر الفقراء وبطر الاغنياء ، وزادت من تعقيدات الحياة وجعلت الناس بعضهم لبعض عدو الا المتقين ٠

هذا علي (كرم الله وجهه) وزوجته الطاهرة فاطمة بنت رسول الله (ص) يمرض لهما الحسن والحسين عليهما السلام فينذران ومعهما جاريتهما فضة ان شفى الله المريض ليصومون ثلاثة ايام ٠ ويجيب الله الدعاء ويبدءون بالصيام ، ويقترضون لافطارهم في الايام الثلاثة ٠ ويأتي

اليوم الاول من افطارهم فيمر عليهم مسكين يطلب منهم رفدا وعطاء ، فيدفعون اليه بالقرصة الاولى ، ويفطرون على الماء ، وينوون الصيام لليوم الثاني ، وفي غروب اليوم الثاني يمر عليهم يتيم يطلب الطعام فيدفعون اليه بالقرصة الثانية ويفطرون على الماء وينوون الصيام لليوم الثالث ، فيمر عليهم أسير جائع يود اللقمة يبتلع بها ، فيدفعون اليه بالقرصة الثالثة ويفطرون على الماء . وتنزل آيات كريمات في حقهم تعلم الناس ان الايثار يرفع من انسانية الانسان ، ويمنحه الجزاء الاوفى يوم لا ينفع مال ولا يتون الا من أتى الله بقلب سليم . تنزل الآيات تقول : « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

مثل كريم يضربه امام عظيم من بيت رسول الله (ص) ، وتضربه بنت رسول الله عليها السلام والرضوان . وما احوجنا في مجتمعاتنا الى الاقتداء بهم ، وما أحوجنا الى فهم روح الاسلام وتعاليمه السمحة . ما أحوج الجميع الى اللمسة الرحيمة والقلب الكبير والمعنى العظيم يجتمع عليه الناس حتى يسير المجتمع نحو النور والخير والمحبة . ما أحوجنا الى هذه الامثلة في حياتنا .

اننا لو طبقناها عمليا لعشنا في سعادة وخير .

ضمان للاستقرار

عن أبي سعيد الحذرى (رضى الله عنه) قال : بينما نحن في سفر اذ جاء رجل على راحلة له يصرف بصره يمينا وشمالا فقال رسول الله (ص) من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، فذكر من أصناف المال ما ذكره حتى رأينا أنه لاحق لاحد منا في فضل » .

ان دنيا الناس بخير ما تعاونوا على البر والتقوى ، ودنياهم بشر اذا أصيبوا بالجحود واتفقوا على الاثم والعدوان ، وتاريخ البشرية شاهد على ذلك فاذا ما تحاب الناس ، وتعاونوا فيما بينهم ضمنوا الاستقرار والأمن « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الامن وهم مهتدون » .

ولقد مرت بالبشرية عهود مظلمة استعبد الانسان فيها الانسان من اجل لقمة العيش . حرم أخاه منها واستذله بها وباعه واشتراه ، وجلده بالسياط ، وضربه بالظلم ، وجعله يبلع الحسرات ويشكو لباري السموات أخاه الانسان، ومرت بالبشرية عهود استيقظ فيها الضمير الانساني فشعر

بالانسان وشعر بقيمته وعلم اننا كلنا لآدم ، وآدم من تراب وانه لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح ، وان الناس لا يتفاضلون بما يملكون أو يحتكرون ، وانما يتفاضلون بانسانيتهم وبما فيهم من خير وبما فيهم من ضمير .

مرت على البشرية عهود مظلمة انقلب فيها الانسان الى حيوان وأحقر من الحيوان ، وعهود ذهبية انقلب فيها الانسان الى ملك كريم .

في العهود الذهبية للانسان ظهر الفلاسفة والحكماء الذين يعطفون على البشرية ويعتقدون أن أسمى ما في الانسان انسانيته ، وظهر الانبياء ومعهم وحى السماء يبشرون بالمحبة والتعاطف والاخاء اخاء الانسان لاخيه الانسان ، ووضعوا ما أوحى به اليهم ربهم موضع التنفيذ ، فكانوا مثلا عاليا ونبراسا مضيئا ، فالمسيح عليه السلام مثلا يقول للغنى (دع مالك واتبعنى) بل يشترك الجميع في الفقر والغنى ، في العبادة والتقرب الى الله ، والاسلام ليس بدعا من الاديان وانما جاء ليقرر تلك المعاني ويركزها في النفوس ، وبطريقة عملية جاء ليقول كلمته الخالدة « انما المؤمنون أخوة » وجاء ليضع المعنى فوق المادة ، وان الانسان لا بماله ولا بما يحتكره ، ولا بشكله ، وانما الانسان بعمله الصالح وبتقواه « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، والانسانية كلها جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . هذا هو ما

نفهمه من ديننا ، وهذا ما كانّ يفعله الرسول (ص) عندما يرى رجلا على راحلة له يصرف بصره يمينا وشمالا يبحث عن انسانية الانسان وتعاطفه يبحث عن البر والحنان ، ويبحث عن الدفء الانساني ، يبحث عن الشعور والاحساس ، فيتجدث الرسول (ص) الى أصحابه ، واضعا نصب أعينهم ان حاجتهم أولا والفضل والعفو لابد من التصرف فيه من أجل المجتمع الفاضل الكريم فقال لهم : « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كانّ معه طعام زائد عن حاجته فليعد به على من لا طعام له ، وذكر لهم اصنافا من المال حتى رأى الناس ان لا حق لهم في الزيادة يحتكرونها ويدخرونها، بينما هناك من يتضور جوعا او يأكل التراب ، أو يعيش بذلة ومسكنة بين الناس ·

ذلك هدف فهمه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضى) حين قال : « لئن عشت الى قابل لآخذن من الاغنياء فضول أموالهم فأردها على فقرائهم » ·

ان مشكلة الناس في دنياهم الطمع والجشع والاحتكار ، وكم قامت حروب وحروب بسبب الجشع والطمع والاحتكار واستعباد الانسان واذلاله » ·

فهلا اهتدى الناس بهدى محمد (ص) حتى يأمنوا الهزات الخطيرة في حياتهم هلا استجابوا لهدى الله ورسوله الكريم ، انهم لو فعلوا لعاشوا جميعا سعداء في كنف الله ورعايته ومن فضله وعنايته · هلا نظر الانسان الى اخيه الانسان نظرة يكتنفها عطف ومودة ومحبة ·

ان الناس بحاجة الى اليد الحانية الرقيقة ، والناس بحاجة الى الشعور بالمؤاخاة الحقة ، وما نجحت دعوة محمد (ص) الا بالمؤاخاة الحقة وبتطبيقها عمليا بين المهاجرين والانصار • بالتعاون والتضامن نجحت دعوة محمد (ص) • بانكار الذات وبالمثل العليا سارت سيرتها الطبيعية ، وبالعمل لا بالكلام قضى الرسول (ص) على أسباب التخلف والفقر ، وعلى استعباد الانسان لاخيه الانسان واذلاله من أجل لقمة العيش •

من أجل الانسان وكرامته ورفعته قامت الاديان • لتأخذ بيد الضعيف ، ولتقول للمطأطىء ارفع رأسك واترك الذلة والخنوع والخضوع ، واعلم أن الانسان هو أثمن ما في الحياة وأن في الاخاء والايثار والمحبة والتعاون ضمان للجميع وضمان للاستقرار •

التعامل بسماحة

عن أبي مسعود البدري (رضى الله عنه) قال قال رسول الله (ص) : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسرا ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه . تجاوزوا عنه » . رواه مسلم .

الاسلام يقوم على العلاقات الحسنة بين الناس ، وعلى التعامل الكريم بينهم ، وكثير من الناس يفهمون الاسلام فهما شكليا ، ولا يفهمون حقائق الاسلام وما تؤدى اليه من شعور طيب نحو الجميع ونحو الكون الذي نعيش فيه . وكثيرا ما يؤدى هذا الفهم الخاطىء الى بعد عن جوهر الدين ، ولقد ذكروا لرسول الله امرأة تصوم كثيرا وتصلي كثيرا غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال (ص) : « لا خير فيها .. انها من أهل النار » . وذكروا له امرأة أخرى تصوم فرضها وتصلي وقتها فقط غير أنها تتصدق بالاقط من الجبن فقال (ص) : « فيها كل الخير .. انها من أهل الجنة » .

فالاسلام ليس منفصلا عن حياة الناس ، والعبادة فيه مرتبطة بالعمل ، وغايات العبادة في الاسلام أن تؤثر في سلوك الانسان حتى تجعله صادقا مع نفسه ومع الجماعة التي يعيش فيها . يقول (ص) : « ليس الايمان بالتمنى ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

بعض الناس يصلي كثيرا ويصوم كثيرا غير ان سلوكه مع المجتمع سلوك فيه اعوجاج والتواء ، فاذا اشترى استوفى حقه كاملا وزاد عليه ، واذا باع بخس المكيال والميزان ، واذا تعامل فبأنانية وبكراهية وببغض شديد . مثل هذا غير صادق لا مع نفسه ولا مع ربه ودينه ، وبعمله هذا يعطي صورة غير مشرفة لما يعتقد . يقول الله تعالى : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

اذا فهمنا ن غاية الدين ايجاد المجتمع الفاضل الذي يقوم على أفراد صالحين عرفنا الحكمة من جعل الصلوات الخمس متفرقة وفي أوقات متعددة ، حتى يكون الانسان على مراقبة دائمة لله تعالى ، وحتى يتربى على الشعور بالمسئولية الكاملة تجاه الله والمجتمع ، فاذا أدى الصلوات وفي سلوكه اعوجاج فلا خير في صلاته ولا في عبادته . يقول عليه الصلاة والسلام : « من لم يكن عنده ورع يحجزه عن معاصي الله اذا خلا لا يعبأ الله به » . ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر في سلوك الناس ، في بيعهم

وشرائهم ، هل يتميزون بالسماحة واللطف واللين ؟ أم ان الطمع والجشع ديدنهم في تصرفاتهم · هل ينظرون للمعسر ويتجاوزون عن غير القادر ؟ أم يغلظون له القول ويتتبعونه بالفضيحة ويسيؤون الى سمعته ·

ان القرآن الكريم يعلمنا التجاوز فيقول سبحانه : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » · والرسول (ص) يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر » ·

والدنيا ليست على وتيرة واحدة ، فقد يضطر الانسان الى الاستدانة لمرض ألم به أو بأحد أفراد أسرته ، او لضائقة مالية نزلت به ، أو لحاجة · والمال غاد ورائح ·

والناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فاذا لم تكن السماحة شائعة بين الناس أو اذا ضاعت المروءة من المجتمع أصيب المجتمع بالتفكك والجحود ، واذا وجد الرجل السمح السهل الذي يشعر بالضائقة تحل بالناس ، وبالازمة تعصرهم فمنحهم ولم يمنع رفده عنهم · اذا وجد هذا الرجل فبشعوره النبيل وبعمله الطيب وبفضله ومروءته يرقى المجتمع ويترابط واذا زاد الى فضله ومروءته النظرة الى ميسرة كان في ذلك كل الخير ·

يقول رسول الله (ص) : « كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه : اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله

أن يتجاوز عنا · فلقى الله فتجاوز عنه » ·

ولقد استدان رسول الله (ص) من أجل طعام أهله الى أجل محدود ، فلما جاء الاجل أتاه الدائن فأغلظ له القول ، فهم به أصحابه · فقال لهم (ص) : دعوه فان لصاحب الحق مقالا » ثم قال : أعطوه سنا مثل سنه ، قالوا يا رسول الله لا نجد الا أمثل من سنه · قال أعطوه فان خيركم أحسنكم قضاء ·

خلق كريم من نبي عظيم · يطلب من أصحابه الذين هموا بالدائن أن يعطوه حقه أو أكثر من حقه ويترضاه بقوله : « ان لصاحب الحق مقالا » · ويعلم أصحابه أن السماحة دليل الايمان فيقول : « المؤمن سمح اذا باع ، سمح اذا اشترى ، سمح اذا تقاضى أو اقتضى » ·

ولقد كان رسول الله (ص) يمشى في الاسواق ويبيع ويشتري ويعطي المثل الصالح للبائع والمشتري على السواء · هذا جابر بن عبدالله الانصاري (رض) يشتري منه الرسول (ص) بعيرا فاذا وزن له الرسول ثمن البعير أرجح له في الثمن · وعن أبي صفوان سويد بن قيس (رضى) قال : جلبت أنا ومخرمة العبدي بزاً من هجر فجاءنا النبي (ص) فساومنا على سراويل وعندي وزان بالاجر ، فقال النبي للوزان : زن وأرجح ·

ان المجتمع بحاجة الى السماحة في كل شيء حتى نعيش بمحبة · اذا شعر الناس بضعف بعضهم فأزالوا أسبابه وساعدوا اخوانهم وأقالوهم من عثراتهم ساعدهم الله عنده ومنحهم رضاه وأظلهم في ظله يوم لا ظل الا

ظله . يقول (ص) : « من انظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت عرشه يوم لا ظل الا ظله » .

منحنا الله رقة القلوب ، والسماحة في الخلق والسهولة في المعاملة ، والتيسير على المعسرين .

صلاح الفرد صلاح للجماعة

يقول الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » ٠

من اللحظة الاولى التي دعا فيهـــا الرسول (ص) بدعوته الى الله حرص على ايجاد المجتمع الفاضل ـ المجتمع المتماسك ، ولن يكون المجتمع فاضلا الا اذا سمت أخلاق أفراده ، فرعوا حق الآخرين وشعورهم ، وأمسكوا ألسنتهم عن الطعن والسب واللعن وأحبـوا لغيرهم ما يحبـونه لانفسهم ٠ فالمؤمن الحق في نظر الاسلام من آمن بالله ثم استقام على الجادة وعلى الطريق المستقيم ٠ يقول رسول الله (ص) : « وقل آمنت بالله ثم استقم » ٠ والاستقامة الحقـة أن يشتغل الانسان بعيوبه عن عيـوب الناس ، والاستقامة في المؤمن ألا يحقد أو يحسد وأن يحاول اصلاح نفسه أولا ، وألا يتغلب هواه عليه فيفسد الهوى نفسه ، ويجعل قلبه أشد سوادا من الليل البهيم ٠ واذا فسدت النفس وأظلم القلب أساء الانسان الى نفسه فعاش في تعاسة ، وعاش بالحقد على الافراد والجماعات ، ثم انقلب في تصرفاته الى انسان كريه حقود ظالم يسيء الى الناس

بلسانه فينفخ فيه الشيطان فيتمادى ثم يلتفت فيجد الناس قد انصرفوا من حوله وقد تجنبوه لافعاله ولاقواله ، فيعيش منفردا ويصاب بخبال الحقد والحسد شقيا بانصياعه لهواه • وما أجمل قول الامام البوصيري رضى الله عنه :

وخالف النفس والشَيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهم

واحذر هواها وحاذر أن توليه
وان هما محضاك النصح فاتهم

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

بعض الناس لا هم له الا أن يتتبع عورات الخلق مضخما لها متحدثا بالباطل عنهم • يعطى نفسه حق الاستعلاء عليهم معيرا لهم مشنعا عليهم ، حديثه أعراض الناس وهدفه تعريتهم من الفضائل ، وغايته الشر ، لا يحلو له في الدنيا الا الاساءة الى الآخرين • فقد الايمان ففقد الحياء « ومن لا حياء فيه لا خير فيه » و « الحياء من الايمان » كما يقول (ص) •

وبعض الناس ايمانهم بالله وبرسوله وبالفضائل باللسان فقط • يتحدثون بالآية وبالحديث • لا يتجاوز ايمانهم الافواه ، أما أعمالهم فيبرأ منها رب السماء أما علاقاتهم بالناس فعلاقات مصلحية نفعية مادية دنيوية « فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم

يسخطون » يحسبون أن الخير فيما يفعلون ، وان الناس تحبهم كما يزعمون ، وعلم الله أنهم محتقرون · صدق رسول الله (ص) اذ يقول : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه ، لا تعيروا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف رحله » · لا يعصم الانسان من الشر الا الايمان بالله ورسوله ، ولا يمنعه من الزيغ والزلل الا العقيدة السليمة ، فاذا فقد الانسان الايمان والعقيدة صار لعبة في يد الشيطان والهوى فتحركت أحقاده وسمومه · من أجل ذلك عمل رسول الله (ص) على تركيز الايمان في النفوس ، والعقيدة في القلوب حتى لا ينحرف الفرد فيسوط المجتمع بلسانه ويتناوله بالزور والبهتان ، وما من انحراف في النفس الا سببه فقر القلب من الايمان واجدابه من العقيدة السليمة وخلو النفس من الفضائل · وعقوبة الله لمثل هذا الانسان آتية لا ريب فيها · يقول رسول الله (ص) : « لا يرمي رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت اليه ان لم يكن صاحبه كذلك » · ولقد علمنا من الآية الكريمة التي ذكرناها في أول الحديث « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » علمنا أن الذين يتناولون الناس بالايذاء يتحملون اثم ما رموهم به ويتحملون البهتان بسبب ايذائهم لهم ·

والله دائما يبرىء المظلومين ويحميهم ويرعاهم ، ويجعل براءتهم واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ·

هؤلاء أتباع موسى عليه السلام عندما رموه بتهمة هو منها بريء ، وعندما آذوه في نفسه وسخروا منه برأه الله وأنزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها · يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » ·

في بعض أقوال الرسول العظيم « سباب المسلم فسوق » أي خروج عن المألوف وعن طاعة الله ، وليس المسلم بسباب ولا بشتام ولا بطعان كما يقول (ص) · الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، وصدق الله (ص) في أقواله وتوجيهاته وارشاداته · فالحسود مريض ومرضه في قلبه وكذا الحقود ، وتأثيرات مرضه تظهر على جوارحه وعلى وجهه وفي تصرفاته ، وبتصرفاته يحرق نفسه ويمرض مرضا جسميا ويصبح كالاجرب يتجنبه السليم ·

اذا رجعنا الى الايمان والى العقيدة السليمة ، واذا اشتغلنا باصلاح عيوبنا وأحببنا لغيرنا ما نحب لانفسنا ، واذا أردنا الخير لانفسنا والزحزحة عن النار والقرب من الجنة فلنصلح عقيدتنا أولا وقلوبنا ، ولنظن بالناس الظن الحسن لكي نرتفع كأفراد وليرتفع المجموع بعد ذلك ·

مسؤولية المسلم اتجاه العمل

يقول رسول الله (ص) : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ٠

الناس بالنسبة الى أداء العمل والقيام بالواجب صنفان : صنف يقوم به وهو راض به مؤمن بالجزاء عليه فيؤديه بجد واجتهاد ، ويتمه على أفضل وجه ٠ وصنف آخر يؤدي عمله وهو غير راض به وغير مقتنع لما يقوم به من الواجب ، فيؤدي عمله بكسل وفتور ٠ لا يبذل جهدا ، ولا يعمل من أجل تحسين انتاجه ٠

الصنف الاول يؤمن بالله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ويشعر بالجزاء العادل من الله ومن الناس ، ويقدر مسئولية نفسه ووطنه ، ويشعر ويحس بواجبه تجاه المجتمع الذي يعيش فيه ٠

أما الصنف الثاني فضائع لانه لا يشعر بهدف ولا بغاية ، وليس عنده الحافز الذي يدفعه لاتقان العمل لانه لا يقدر المسئولية ولا يشعر بها ، وليس عنده الاحساس بقيمة المجتمع وحقه ٠ فاذا عن له أن يعمل باشر عمله بروح تواكلية متكاسلة ، وهبط انتاجه ،

وتولاه الاعياء والتعب والارهاق السريع ، ذلك لان ايمانه مفقود وحوافزه ضائعة · لم يرسم لنفسه مخططا في الحياة ، ولم يعمل من أجل أن يجدد نمط حياته ، فهو واقف في محله لا يريم ، ولا يريد ان يصعد الى أعلا ، وانما ارتضى السلبية اسلوبا لحياته · والذي ينظر الى المجتمعات في جميع أدوار التاريخ يرى أن تقدمها ورقيها مرتبط بالايجابيين من الناس الذين يعرفون أهدافهم جيدا ، والذين يشعرون بقيمة الحياة وبتطورها الى أحسن · ان المؤمنين بأداء الواجب على أتم وجه تقوم على اكتافهم حضارة بلادهم ، لانهم باخلاصهم وتفانيهم يكونون قدوة حسنة ومثلا أعلى للذين يقدرون المسئولية ـ مسئولية المجتمع والوطن ـ ·

واسلامنا الذي ندين به لا يرضى للمسلم أن يؤدي واجبه في أدنى الصور وأضعف الاحوال · بل يدعونا هذا الاسلام الى طلب الكمال في كل شيء ، ويدفعنا دفعا الى بذل الجهد ومضاعفة النشاط لنصل الى أعظم غاية مرجوة · ولقد حث رسول الله (ص) على اتقان العمل فقال : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » · والله يمنح الثواب الجزيل والاجر العظيم للذين يؤمنون ويعملون الصالحات فيقول سبحانه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ·

والناس يتفاوتون في الاخلاص ، وفي الطريقة التي يؤدون بها أعمالهم ، والاسلام لا يغمط حق أحد ما دام الذي يعمل يبذل جهده ويؤديه على قدر طاقته « لايكلف الله نفسا

الا وسعها » . وحتى يبعث الاسلام الهمة في الناس ليجتهدوا وليتفوقوا على أنفسهم وليتنافسوا في الاجادة يقول تعالى : « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون» . ويقول سبحانه « ويؤتى كل ذى فضل فضله » .

فاذا قرأ المسلم الحق هذه الآيات حرص على ما ينفع به نفسه ومجتمعه ، واستهان بكل العقبات التي تعترض طريقه ، وحاول الوصول الى هدفه . ان الرسول الاعظم (ص) يقول : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

ان أخطر شيء على تفكير المسلم أن يعيش في الاماني والخيالات ، وأن ينظر الى الماضى متحسرا يظن انه لو فعل كذا لكان كذا . ان الماضى لن يعود أبدا ، والمستقبل بيد الله دائما ، والانسان عليه ان يعمل وليس عليه ادراك النجاح ، وعليه أن يؤمن بما قدر الله ، وعليه ألا يضيع الوقت في التحسر على ما فات ، ولينظر الى الامام والى المستقبل ببشر واطمئنان متذكرا قول رسول الله (ص) : « وان أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » . ان أعظم مصيبة تصيب أي مجتمع من المجتمعات أن يكون فيه من لا يقدر المسؤولية ويستهين بها ويكسل في أداء الواجب فيؤديه بفتور وكسل وتثاقل . لا يصدر عمله عن عقيدة قوية أو ايمان راسخ ، بل يصدر عن خوف أو رياء ونفاق أو تغطية ، ومثل هؤلاء يجازيهم الله على نفاقهم ورياءهم بعدم قبول أعمالهم واحباط ثوابها ،

فيخسرون الدنيا والآخرة . والله يقول : « وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون .

من أجل ذلك يحب الاسلام في المسلم أن يعمل وأن يكد وأن يجتهد وأن يكون له هدف ، وأن يتذكر أن العمل عبادة واداءه شـــرف والله يقول : « فاذا قضيت الصـلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . » ويقرن الله العاملين بالمجاهدين فيقول سبحانه : « وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله . »

أيها المسلم . اندفع باذن الله الى ميادين العمل والجهاد بهمة ونشاط ، باذلا أقصى ما تستطيع من الجهد ، وأعلم أن اسلافك العظام كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ، اذا وكل اليهم عمل اتقنوه بايمان واخـلاص . شعور عظيـم بالمسؤولية ـ مسؤوليتهم تجاه وطنهم ومجتمعهم ودينهـم لانهم يريدون المجتمع الاقوى ، المجتمع المثالي ومن حـق وطننا علينا أن نضاعف جهدنا وأن نخلص في أداء واجبنا ، ولا نعجز او نكسل او نستهين . الله مع العاملين المخلصين والمحسنين « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم

روى أن امرأة بشير بن سعد الانصاري طلبت اليه ان يخص ولدها النعمان بن بشير بمنحة مالية كحديقة أو عبد ، وارادت توثيق هذه الهبة ، فطلبت منه أن يشهد على ذلك رسول الله (ص) ، فذهب اليه فقال : « يا رسول الله .. ان بنت فلان ـ زوجتي ـ سألتني أن أنحل ابنها غلامي « او عبدي » . فقال (ص) : « له اخوة ؟ » قال «نعم» . قال : « فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته ؟» قال : «لا» . قال: «فليس يصلح هذا ، وانني لا أشهد الا على حق . لاتشهدني على زور . ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك عليهم من الحق أن يبروك . اتقوا الله واعدلوا في أولادكم . »

أولادنا هم أسرارنا وهم قرة اعيننا في حياتنا ، وذخر لنا بعد مماتنا ، هم نبضة قلوبنا وفلذات أكبادنا . نحن مسؤولون عنهم أمام الله وضمائرنا ، فينبغي أن نحافظ عليهم ونحمل مسؤولياتهم كاملة فنرعاهم ، ولا يجوز لنا اهمالهم واضاعتهم . يقول رسول الله (ص) : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت . »

من واجبهم علينا أن ننشئهم على الحب ، وألا نجعل الضغينة تعرف طريقها الى نفوسهم الرقيقة ، فاذا تصرفنا معهم التصرف الحسن كسبنا المواطن الصالح البار بوالديه وبالتالي بوطنه ، واذا سرنا مع الهوى وتخبطنا فيه ففضلنا بعض الابناء على بعض ، ومنحنا الحب بعضهم ومنعناه عن الآخرين ، أشعلنا البغضاء بين الابناء وفتحنا أبواب الشقاق والنزاع بينهم بسبب العواطف المنحرفة في التصرف الاخرق ، وضيعنا بذلك الامانة التي وضعها الله بين أيدينا . يقول عليه السلام : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته . »

ولقد حرص الاسلام على معنى الترابط في الاسرة ، ولم يسمح للنزاع أو الشقاق أن يعيش بين أفراد الاسرة الواحدة . لذلك عندما ذهب بشير بن سعد الانصاري ليشهد رسول الله على منحة أعطاها لولده النعمان سأله الرسول : « أكل أولادك نحلت ؟ أكل أولادك اعطيت ؟ » . فلما قال بشير: «لا» ، غضب الرسول (ص) وقال : «أشهد على هذا غيري . أنا لا أشهد على جور أبدا . اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم » . وبذلك وضع الرسول حدا لاسراف بعض الآباء على أنفسهم ومنعهم من تصرف قد يؤدي الى الكراهية والحقد بين الابناء ، واننا لنستمع كثيرا الى سورة يوسف ونقرؤها وفي أولها قوله تعالى : « لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين . اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من

بعده قوما صالحين ٠ » نقرأ هذه الآيات ونلم بأطراف من قصة يوسف عليه السلام ، ونرى ما مر به من متاعب ومصاعب ، وما ضُرب عليه من رق ، ومن معاملته كعبد وخادم ، ومن دخوله السجن ، ومن بُعده عن أبيه وأمه وهو في سن يحتاج فيها الى كثير من الرعاية والعناية ٠ نقرأ هذا ونرى أن كل ما عاناه يوسف وما رآه وما حدث له كان نتيجة لشعور اخوة يوسف بكراهيتهم له لانهم ظنوا أن أباهم يفضله عليهم ، وحسبوا أنهم ان قتلوه او ألقوه في غيابة الجب تنقلب محبة ابيهم لهم ويكونوا من بعده قوما صالحين ٠ وهكذا أتم اخوة يوسف مؤامرتهم وألقوه في غيابة الجب ٠

من أجل هذا ينبه القرآن الكريم الى تلك المعاني التي نجدها في قصة يوسف عليه السلام ، ومن هذا يمنع الرسول (ص) أن يتصرف الآباء مع أبنائهم تصرفات تثير الحفيظة أو تدفع بالضغينة ٠ بعض الآباء يحرم بعض أبنائه من الميراث بحجة من الحجج كأن تكون الوارثة بنتا ، فيمنح اخوتها ويمنعها جريا على عادات ما أنزل الله بها من سلطان ٠

والله قد حدد الحدود وبيّن للناس حقوقهم في الميراث ونص على ذلك في قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » ٠ وقد ذكر القرآن الكريم شئون الميراث في ثلاث آيات فقال سبحانه وتعالى في ختام الآية الاولى : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون

أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما» . وقال سبحانه وتعالى في ختام الآية الثانية : « غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم . تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » . وقال سبحانه وتعالى في ختام الآية الاخيرة من الميراث « يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » . فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . »

ليحذر أولئك الذين يخالفون شرع الله ويتعدون حدوده لتقاليد الاسلام أفضل منها وربنا تبارك وتعالى أمر بها .

من حق الاجيال القادمة أن تعيش بسعادة وبيسر ، ومن حق الابناء ألا يشعروا بالغبن يلحقهم أو بالظلم يتناولهم ويحيق بهم . فلنتق الله جميعا ولننفذ تعاليمه في الميراث وغيره ولنتذكر قوله تعالى دائما « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » . وفقنا الله لاشاعة الحب والعدل حتى نترك وراءنا السعادة للجميع ، وحتى يتذكرنا الابناء بالخير فيدعون لنا بقوله سبحانه وتعالى : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

بالكلمة الطيبة تقطع رحلة الحياة

يقول الله تعالى : « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » ٠

من رسول الله (ص) نتعلم ، ومن هديه نستفيد ، ومن الاقتداء به نقطع رحلة الحياة بسعادة وبيسر ٠ والذين تبهظهم الحياة وتتقطع أمامهم السبل لابد لهم من وقفة يرون فيها رسول الله مع أعداء الله وأعداء دعوته اليه ليروا أن الاسلوب الذي دعا به الى الله كان أنجح الاساليب وأعظمها ، والذين يعرفون الانسان يستطيعون أن يصلوا اليه ؛ فبالعنف نخسره ، وبالضراوة والشدة تضيع الحقائق ويظلم الرشد ، والذين يتتبعون رسول الله في دعوته يعرفون جميعا أنه دعا الى الله وحده بشجاعة ، ووقف ذات يوم على رابية من روابي مكة يدعو الناس كل الناس اليه ، فاذا ما اجتمعوا سألهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم ٠ أكنتم مصدقي ؟ » ، قالوا : « بلى ٠ ما جربنا عليك كذبا قط »٠ فقال : « اني رسول الله الى الناس كافة واليكم خاصة »

أو كما يقول القرآن الكريم : «انى رسول الله اليكم جميعا» .

ويبرز له الشر متمثلا في عمه أبى لهب فيقول له : « تبا لك يامحمد . ألهذا دعوتنا ؟! » ومن هذا اللقاء بين الشر والخير يحمل الرسول (ص) تبعات دعوته تجاه الحياة والاحياء جميعا ، وتتلقاه المصاعب والمتاعب ، وتتلقى الدين آمنوا به ، وتسلط قريش عليه أحقادها ، وتعذب أصحابه الذين آمنوا معه ، وتسخر من محمد (ص) ، وتؤذيه ، وتتهاوى عليه الحجارة في الطائف تدمي وجهه المحب الودود فلا يشكو الا الى الله ولا يهتف من أعماقه الا اليه : « اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري . ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العقبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك . »

وينزل جبريل وميكائيل يقولان له : « ان الله أمرنا أن نأتي بالاخشبين عليهما فيموتوا جميعا » (والاخشبين هما الجبلان العظيمان بين مكة والطائف) ، فيقول (ص): «لا .. لا .. اللهم أهد قومي فانهم لايعلمون ، وعسى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده » .

بهذا الامل في اسلامهم أو اسلام أبنائهم يلقي رسول الله الملكين فيقولان له : «صدق من سماك الرؤف الرحيم» .

وبهذا الامل العريض من رسول الله نتلقى الحياة ونتغلب على مصاعبها ومتاعبها ومشاكلها · لا نخشاها وانما نعيشها بحلوها وبمرها وصابها وعلقهما متذكرين دائما قول الله تعالى : « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا »·

في فترات الضعف في حياة الانسان يقاوم الذين أوتوا الصلابة والقوة فيذللون المصاعب والمتاعب ، ويقاومون الشر بالخير والصبر · وباللين والسماحة وبالكلمة الطيبة نكسب كثيرا في معركة الحياة · وفي كتابنا الكريم يذكرنا الله بهذا ، فالله حين أرسل موسى وهارون بآياته الى فرعون الذي طغى وبغى وقال انا ربكم الاعلى · يقول الله لموسى وهارون عليهما السلام (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ·

بالقول اللين يتحدث موسى وهارون الى فرعون وملئه آملين أن يتذكر ويخشى بالرغم من طغيانه وفساده · وهكذا الحياة تحتاج الى لين ولطف · تحتاج الى الكلمة الحانية الرقيقة نكسب بها الاعداء والاصدقاء على السواء· وكذلك كتاب ربنا يعلمنا هذا الاسلوب في الحياة فيقول سبحانه : « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا · ربكم أعلم بكم أن يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم · وما أرسلناك عليهم وكيلا » ·

ومن هنا كانت الكلمة الطيبة صدقة كما يقول الرسول الكريم · وقد نحتاج الى صبر شديد ومثابرة أشد ولكن النتائج العظيمة التي نحصل عليها من وراء

الصبر والمثابرة تتساوى مع هذا الكفاح ، ولنا في رسول الله (ص) القدوة الحسنة ، والاسوة الكريمة . ان الله تبارك وتعالى يقول له : « فاصبر على ما يقولون » ، ويقول: « واصبر وما صبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . ويقول له أيضا : « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » ، ويقول : « فاصبر ان وعد الله حق » . أو يبين له الاسلوب الحليم في معاملتهم فيقول : « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا . »

على النبي أن يصبر مع احتفاظه بشخصيته وبجوهر دعوته ، فلا يميل الى الهوى ولا يطيع منهم آثما أو كفورا . وعلى الانسان ايضا ان يتبع هذا الاسلوب في حياته غير متحيز وغير مضيع لشخصيته في زحمة المتاعب والاهوال والمشاكل .

ما اروع وأعظم الانسان اذا أخذ نفسه بالآية الكريمة التي تقول « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

ما أروع ان تقوم علاقات الناس عى الاحسان الى المسىء ، والعفو عن المذنبين ، وما أحسن النداء الرطيب من الله اذ يقول لنا : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض

عن الجاهلين » ·

لتدفع بالتي هي أحسن ، ولننظر الى أسلوب رسولنا العظيم في معالجة الناس ، فاذا تمثلناه (ص) في صبره وحلمه ولينه وتواضعه ، وطبقنا كل ذلك على حياتنا عرفنا الطريق الحق نحو السعادة الحقة ·

حق الفقراء في اموال الاغنياء

يقول الله تعالى : « الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

جاء الاسلام بالتكافل الاجتماعي لابناء المجتمع الواحد كى يعيش الجميع في سعادة ويسر يتفادون بذلك الهزات الاجتماعية التي تودي بالاستقرار وتضيع الطمأنينة وتدفع بالحيرة ، وتشيع العداوة والبغضاء بين الناس . وليس معنى ذلك ان الاسلام يدعو الى التكاسل والتواكل والقعود عن طلب الرزق .

هذا عمر بن الخطاب (رض) يقول : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ولكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » . فلا يحل لمسلم ان يعتمد على الصدقة ويعيش عليها وهو قادر على العمل ، يملك من أسباب القوة ما يعين به نفسه ويعول به أهله . وفي ذلك يقول (ص) : « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذي مرة (قوة) سوي » . ولقد حرم الرسول (ص) ان

يلجأ الناس الى السؤال وذله من غير ضرورة ملجئه الى ذلك لان سؤال الناس يؤدي الى ضياع المروءة والكرامة واراقة ماء الوجه . يقول (ص) : « الذي يسأل من غير حاجة كمثل الذى يلتقط الجمر » ويقول (ص) : « من سأل الناس ليثرى به ماله كان خموشا في وجهه يوم القيامة ورضفا يأكله من جهنم ، فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر » . والرضف هو الحجارة المحماة .

بمثل هذه الاحاديث كان يتحدث رسول الله (ص) صونا لكرامة المسلمين وتعويدا لهم على التعفف وبعدا بهم عن التكفف ، ولكن رسول الله يعرف الضرورات والحاجات الملجئة . « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » . ومن اضطر تحت ضغط الحاجة الى السؤال فانما يطالب بحقه من مجتمعه المتكافل المتضامن الذى يقول فيه (ص) : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » . او قوله (ص) : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . ولقد فهم المسلمون هذا .

يروى عن أبي بشر قبيصة بن المخارق (رض) قال : « تحملت حمالة فأتيت رسول الله (ص) أسأله فيها . فقال (ص) : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها . ثم قال : يا قبيصة ، ان المسألة لا تحل الا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت

له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، ورجل اصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : قد اصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش . فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً » . والحمالة ما يتحمله المصلح بين فئتين في ماله ليرتفع بينهم القتال ، والجائحة الآفة تصيب الانسان في ماله ، والقوام ما يقوم به حال الانسان من مال وغيره ، والحجى العقل و الرأي .

ان الا سلام لا يعرف الا العمل وسيلة للرزق ، « وان كثيرا من الذنوب لا يكفرها الا السعى على الاولاد والنفس كما يقول (ص) . وعلى المجتمع المتضامن المتكافل ان يوجد مجالات العمل والرزق للناس جميعا حتى لا تضيع الكرامات ويهون الانسان على نفسه ومجتمعه . ولقد أراد رجل أن يستكين الى الصدقة وفيه قوة ، فاشترى له رسول الله (ص) حبلا وفاسا وأمره ان يحتطب ليتعلم الكسب الشريف . فغاب الرجل ورجع وقد عرف قيمة الكسب من تعبه وكده وعمله وعرقه . فقال (ص) « لئن يأخذ احدكم حبله على ظهره ، فيأتى بحزمة من الحطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس اعطوه او منعوه » .

ورأى صحابة رسول الله (ص) شابا جلدا قويا قد بكر ليسعى ، فقالوا : لو كان جلاد هذا الرجل وكفاحه في سبيل الله « فقال (ص) : « لا تقولوا هذا ان كان

خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » . اعتبر رسول الله (ص) سعى الرجل على نفسه وأولاده ووالديه في سبيل الله ، واعتبر ذلك نوعا من الجهاد والكفاح .

وكرامة الانسان المحفوظة ، ورفعة رأس المسلم أساس في الامة التي تؤمن بالكرامة وتقدر الانسانية ، فاذا عجز المسلم عن تحصيل قوته وقوت أولاده لمرض أصابه أو جائحة حلت به لا يستطيع منها فكاكا ، أو شيخوخة فانية ، أو ترملت المرأة ولا عائل لها ، أو تيتم الطفل ولا مال له . فمن حق هؤلاء جميعا أن يعيشوا ومن حق مجتمعهم ن يكفلهم ولهم الحق كل الحق في مال الله الذي جعله الله في أيدي القادرين والاغنياء الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . اذا بات هؤلاء في مسغبة فالمجتمع كله مسئول عن جوعهم ومسغبتهم . يقول (ص) : « أيما أهل عرصه أصبح منهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » . ويقول (ص) : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » .

اننا بحاجة الى فهم الاسلام من جديد ، فهمه تضامنا وتكافلا وتعاطفا ومحبة . اننا بحاجة الى هذه القيم العظيمة التي جاء بها محمد (ص) وطبقها عمليا على مجتمعه فسعد المجتمع وأسعد غيره ، وسارت الحياة الى أفضل والى تقدم ورفعة لانها قامت على المرحمة والمحبة ، وعلى الشعور

باخاء الانسان للانسان وتعاون الجميع بهدي الله وبسنة رسوله ٠

ما أحوجنـــا في مجتمعنا الى دراسة جديدة لديننا الحنيف حتى تؤتى حيـــاتنا الفاضلة ثمارها الـكريمة للانسانية جميعا ٠

حق الفقراء في مجال التطبيق

بعث رسول الله (ص) في مجتمع تجاري صارخ يؤمن بالفردية المطلقة ، ويعمل من أجل استزادة الربح بالحرام والحلال • ومن سمات هذا المجتمع أنه لا تكافل فيه ولا تضامن ، ومن سماته أيضا الايمان بالسيطرة بطريق المال • والآيات الاولى التي نزلت على رسول الله (ص) تتحدث عن هذا فتقول : « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى » • وأغلب السور المكية التي نزلت على رسول الله (ص) تعيب هذا الوضع وتزدريه وتعلم الناس أن الغنى المفرط يؤدي بالمجتمع الى الانحلال والتفكك ، وأن الانسان اذا جمع المال تلذذاً وقعد اليه يحصيه لابد وأن يصاب بشر الاخلاق ، يصاب بالبطر ويصاب بالكبر والتعالي والغطرسة على عباد الله • واقرءوا ان شئتم قول الله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ، كلا لينبذن في الحطمة • » واقرءوا ان شئتم أيضا قصة قارون في سورة القصص وهي من السور المكية تجدوا فيها كما يقول الله تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى

عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبـــغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين ٠ » الى أن تتحدث الآيات أن الله خسف به وبداره الارض ٠ « فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » ٠ فقارون منحه الله المال فشح به وبخل وقال « انما أوتيته على علم عندي » ٠ انفصل عن مجتمعه وما شعر به ، وجعل من ماله سبيلا الى البغي على الناس والعلو عليهم ٠ لم يشعر بقومه ولم يشعر بحقوق الفقراء في أمواله « فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » ٠

في مجتمع مكة أرسل محمد بالتوحيد والعـــدل والمساواة والمحافظة على مصـــالح الضعفاء ٠ لم تسخط قريش على محمد (ص) لانه دعاها للتوحيد ، فما كانت قريش مؤمنة بأوثانها ايمانا خالصا ، وانما أوثانها وسيلة لاستهواء العرب واستغلالهم ، والاتيان بهم الى مكة كي ينتفعوا من ورائهم في موسم الحج ، وانما كرهت قريش دعوة محمد لانه بدعوته تلك سيسوى بين الحر والعبد ، وبين الغني والفقير ، وبين القوي والضعيف ، أقربهم جميعا الى الله أتقاهم ، وانما كرهت قريش دعوة محمد لانـــه سيتعرض لنظامهم الاجتماعي والاقتصادي ، سيلغى الربا وسيمنعه ، وسيمنع الاحتكار ويزدريه ، وسيأخذ حـق

الضعفاء والفقراء بسلطان الضمير الذي يربيه ، فان جمد الناس الضمير وأوامر السماء أخذ هذا الحق بالقوة كما فعل أبو بكر الصديق (رض) حينما حارب مانعي الزكاة وقال قولته المشهورة « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » . فالفقراء اذن لهم حق معلوم في أموال الاغنياء ، « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . ورب العزة تبارك وتعالى أمر نبيه بأخذ هذا الحق « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . »

والله قد حدد الذين يستحقون بقوله سبحانه وتعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

ان تعرض محمد (ص) لنظام هؤلاء جعلهم جميعا يقفون منه موقفا عجيبا ، لان ما جاء به من عند الله لايلائم منافع السادة والكبراء . لذلك نجدهم يحاولون اغراءه عن دعوته وصرفه عنها ، فيرسلون له حكيما من حكمائهم يغريه بالملك والمال ويقول له : « ان كنت تريد بهذا الذي جئت به المال أعطيناك مالا حتى تصير أغنانا ، وان كنت تريد به الملك ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئي من الجن جلبنا لك الاطباء » . فما أن ينتهي هذا الحكيم من كلامه حتى يقرأ عليه الرسول (ص) آيات من سورة فصلت ، في الآية السادسة وما بعدها يقول الله : « ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير

ممنون » . وينصرف عنه هذا الحكيم لانه لا فائدة ترجى من اغراء محمد (ص) ولان محمدا سيصر على دعوته تلك حتى يقيم توحيد الله وعدالته ، وحتى يتقرر المجتمع السليم الذي تطبق فيه العدالة بأحلى مظاهرها ، ويوضع فيه حق الفقراء موضع التنفيذ حتى لا يضل المجتمع أو ينحرف وحتى يسير الى الافضل والاكرم ، وحتى يتحقق قول الله تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استصعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض » .

ولقد نجح الاسلام في تحقيق هذا الوعد وأقام دولته الفاضلة التي يتفاضل فيها الناس بالاعمال لا بالاموال ، والتي يعيش الناس فيها في كنف الله ورعايته ، وفي بحبوحة الخير المتمثل بين المسلم والمسلم لان المال مال الله ، والغني مستخلف فيه والنفقة واجبة عليه .

والله يقول : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . »

الاسلام تكامل وتكافل

من مبادىء الاسلام الكريمة التي قام عليها مبدأ التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله لانه لا بقاء لنظام من النظم حتى يراعى الفرد وتراعى الجماعة ، فلا يطغى الفرد على الجماعة باسم الحرية الشخصية ، ولا تطغى الجماعة على حقوق الفرد باسم مصلحة الجماعة . ولقد اتجه الاسلام اتجاها واقعيا تجاه الفرد والجماعة فقرر مبدء التكافل بين الفرد ونفسه ، فهو يكلف أن يكسر شهواته وألا يتبع الهوى ، وهو مكلف أن يربي نفسه ويطهرها . صدق الله العظيم اذ يقول : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » . ويقول سبحانه : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

واذا كان الانسان مكلفا بهذا فلا ريب أن الله لم يمنعه من المباحات التي لا تفسد فطرته ، ولا تودي به الى التهلكة ، وصدق الله اذ يقول : « يا بني آدم خذوا

زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » . ويقول (ص) : « كل واشرب والبس من غير ما سرف ولا مخيلة » . فالانسان عليه أن يكفل نفسه وهو مسئول عنها في الخير والشر ، في ايثار الدنيا أو السعي للآخرة ، يكسب بهذا تحررا وجدانيا ، وشعورا بالمسئولية يدفع به الى مراعـــاة نفسه أولا ثم مراعـاة الجماعة بعد ذلك .

ومع مسئولية الفرد بالنسبة لنفسه فهو مسئول عنها في الخير والشر ، في ايثار الدنيا أو السعي للآخرة ، يكسب بهذا تحررا وجدانيا ، وشعورا بالمسئولية يدفع به الى مراعاة نفسه أولا ثم مراعاة الجماعة بعد ذلك .

ومع مسئولية الفرد بالنسبة لنفسه فهو مسئول عن أسرته وعمن يعول .

يقول (ص) : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » ويرى رسول الله (ص) ان أفضل البذل ما كان على العيال. يقول (ص) : « دينار أنفقته على نفسك ، ودينار تصدقت به ، ودينار أنفقته على عيالك . أفضلها جميعا ما أنفقته على عيالك . » وبر الفرد لابد أن ينصب على فروعـــه وأصوله . سأل رجل الرسول (ص) : « من أحق الناس ببري يا رســول الله ؟ » فقـــال ص : « أمك » قال : «ثم من؟ » قال «أمك» قال «ثم من ؟» قال أمك قال ثم من قال : « ثم أبوك » . وقد قضى الله في كتابه الكريم ان يكفل الرجل والديه وأرحامه فقال سبحانه : « وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا

تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ٠ » وقال سبحانه : « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ٠

وكما أمر الله سبحانه الولد أن يكفل والديه ويرعاهما أمرهما سبحانه أن يرعياه صغيرا ، فقال سبحانه : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، ولا تكلف نفس الا وسعها ٠ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ٠ ان الاسرة في الاسلام أسرة متكافلة متضامنة مترابطة ٠ بتكافلها تتماسك وبتماسكها يتحقق المجتمع الفاضل ٠ وما تراه في كتابنا الكريم من التفاصيل فى آيات الميراث مظهر مادي للتماسك والتكافل بين الابناء والآباء ، وبين الآباء والابناء ٠ وما يطلبه منا القرآن الكريم في هذا الصدد يجعل من الاسرة وحدة اجتماعية متعاونة في الخير والشر متكافلة في الجهد والجزاء جيلا بعد جيل ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للتكافل بين الآباء والابناء في سورة الكهف وفي قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام عندما وجدا جدارا في قرية يريد أن ينقض فاقامه الخضر ، وقد رفض أهل القرية أن يضيفوهما فقال له موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجرا ما دام أهل القرية لم يطعمونا ، فكشف الخضر السر في تقويمه للجدار فقال : « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في

المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري » . وهكذا انتفع الولدان بصلاح الوالد ، وورثا ما تركه لهما من مال وصلاح ، وهذا عدل وحق لا شك فيه .

والاسلام بعد هذا يرتب تبعات على الفرد بالنسبة لجماعته ، فكل فرد يكلف أن يحسن عمله الخاص ، واحسان العمل عبادة لان ثمرة العمل الخاص ملك للجماعة وعائدة عليها في النهاية . يقول (ص) : « ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه » ويقول الله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . » وكل مسلم عليه أن يرعى مصلحة الجماعة بعد ذلك . يشبه رسول الله (ص) الفرد والجماعة بسفينة في خضم والراكبون جميعا مسئولون عنها ، وليس لأحد أن يخرق موضعه فيها باسم حريته الفردية فيقول : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضها أسفلها، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فان تركوهم وما أرادوا هلكوا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . »

وبهذا الحديث يرسم لنا الرسول (ص) اشتباك مصالح الفرد والجماعة . فالفرد مسئول عن الجماعة ، والجماعة مسئولة عن الفرد . والفرد حارس للجماعة

تنتهي حريته عندما تصادم حرية الجماعة · هو كافل ومكفول ، وهو راع ومسئول عن رعيته ، بكفالته لنفسه يتقدم ويؤكد معاني الاسلام ، وبكفالته للاسرة يقويها ويدعمها ، وبرعايته للجماعة يرقى بها ويؤكد الخير ، وبتعاونه مع الآخرين على البر والتقوى يحقق الاسلام تحقيقا عمليا · فلننظر الى هذه التعاليم ولنقوها حتى نرجع مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله ·

الاسلام ضمان للاغنياء والفقراء

قامت صيحات كثيرة في عصرنا هذا الذي نعيش فيه تدعو الى فصل الدين وعزله عن المجتمع كما فعلت أوروبا التي جعلت ما لقيصر لقيصر وما لله لله . واذا فعلت أوروبا ذلك فهي محقة في عملها لان دينها قام فعلا على الفصل بين الـــدين والمجتمع بقوانينه وأعرافه ، ولكن بالنسبة الينا كمسلمين ليس هناك سبب واحد لتنحية الدين عن المجتمع لان ظـــروف ديننا تختلف بذلك عن ظـــروف مجتمعنا . والذين يقرءون كتاب الله وسنة نبيه يعلمون جيدا أن الاسلام جاء بنظام كامل للحياة ، نظام يفرض قواعد العدالة الاجتماعية ، ويضمن حقوق الفقراء في أموال الاغنياء ، ويضع نظاما للمال فيه سعادة للفرد وللمجموع، يحقق بذلـــك طموح الفرد وحق الجماعة ، ولا يسمح بالاستغلال أو الاســـتعباد أو السيطرة والبغي ، كما لا يسمح النظام الاسلامي أن يكون المال حكرا على طائفـة دون طائفـــة أو أن يكون وسيلة للضغط على الجماعـة واستذلالها ، فالمال مال الله والاغنياء مستخلفون فيـه ، وهم وكلاء الله في الارض ينفقون المـال على أنفسهم ومن يعولون وعلى مجتمعهم كي يرقى ويتطور بطريقة هادفـة

سليمة . فللغني حريته ولكنها تنتهي عند اصطدامها بحرية الافراد والجماعة لان للجماعة مصلحة عليا ينبغي أن تعرف حدودها . فليس للغني الحق في أن يبعثر أمواله على الشهوات والملذات . انه ان فعل اعتبر من السفهاء ، وعند ذلك يتدخل الشرع فيحجر عليه امتثالا لقول الله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » . فاعتبر الاسلام المال في هذه الحالة مال المجتمع ونسبه اليه وقال : « أموالكم التي جعل الله لكم قياما » ولم يقل أموالهم . واعتبر القرآن الكريم المبذرين اخوان الشياطين فقال سبحانه : « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

وافترض الاسلام الرقابة الكاملة في الاموال ، فهو يأمر بالزكاة ، ويحدد مصارفها ، وهو يراجع مال الغني في كل عام كي يأخذ منها الزكاة ، وهو يمنع الاحتكار في كل صوره وأشكاله . يقول (ص) : « من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلبه عليهم كان حقا على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » . ويقول (ص) : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » . ويقول (ص) أيضا : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » .

ويمنع الاسلام أيضا الغرر في البيع بسبب جهالة المشتري . نهى النبي (ص) عن ذلك سدا للذرائع كما لا يجوز للمسلم أن يتلاعب بالاسعار رجاء الربح الفاحش، ولقد قال العلماء : « اذا كان أرباب الطعام يتحكمون في

السوق ويتعدون القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضى عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير فحينئذ لا بأس بمشورة أهل الرأي والبصر ٠

وقد يعتقد البعض أن لهم الحق في التجارة والربح بكل الوسائل ، فالتجارة في نظرهم شطارة وذكاء ، فلابأس بالغش ولا بأس بالخداع ولا بأس بتطفيف الكيل والميزان، ولا بأس بشراء المنهوب والمسروق ، ولابأس بالربا ٠ هم يعتقدون ذلك ولكن الله الذي لاتخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء يحرم الغش فيقول (ص) : « من غشنا فليس منا » ، ويحرم التطفيف في المكيال فيقول سبحانه : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ٠ » ويقول سبحانه : « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين» ٠ أما المسروق والمنهوب فقد نهى عنه المصطفى (ص) فقال : « من اشترى سرقة أي مسروقا وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في اثمها وعارها ٠ »

أما الربا فاقرءوا ان شئتم قول الله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم » ٠

واذا كان الله قد أباح للناس أن يتصرفوا في أموالهم فذلك مقيد بعدم الضرر والضرار • والاسلام يجعل لمال الغير حرمة فلا يجوز أخذه الا بطريق مشروع أو عن طيب نفس من صاحبه بهبة أو صدقة • أما أخذه بطريق القمار والميسر فهو من أكل أموال الناس بالباطل يورث الضغائن والشحناء ويدفع بالانسان الى التكاسل والتواكل اعتمادا على الحظ والصدفة والاماني الفارغة وما هكذا تقوم الحياة، وليس من سنتها ان يتبطل الناس وأن يتعطلوا انتظارا لأمور تكون أو لا تكون • ان الاسلام يحترم العرق والكدح والجد في سبيل الحياة الكريمة وفي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة•

اذا ترك الناس ما حرم الله وعملوا من أجل تطوير الحياة بجد لا اسفاف فيه ، واحترموا نعمة الله ووضعوها موضعها الصحيح عاشوا في المجتمع السعيد الذي تنشده البشرية فتتنكب عنه الطريق لانها لم تفهم القيم السليمة التي تقوم عليها سنة الحياة ، ولن تصل البشرية الى هدفها الصحيح الا اذا أصلحت من شأنها ، فنظرت الى المال نظرة موضوعية تطويرية تراعى فيها مصلحة الفرد والجماعة والامة فتضمن الاستقرار النبيل ، ويضمن الفتى العيش الميسر الكريم ، والمجتمع الذي لا يضيع حق أحد فيه لانه يقوم على دعائم قوية من العدالة الاجتماعية ومن المحبة محبة البشر للبشر ، محبة الانسان للانسان الذي يعيش في الاسرة الانسانية الكريمة التي لا تفاضل بينها الا بالاعمال الصالحات ومحاولة القرب من الله واتقاء اليوم الذي لاريب فيه •

لو شعر الناس بهذا الشعور ؟!

ان قوة أي نظام في الوجود هي من تماسك أفراده وشعورهم ببعضهم البعض ، وترابطهم ترابطا شديدا يجعلهم كالبنيان المرصوص ، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، وفي حديث رسول الله (ص) يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . ولقد حقق الرسول ذلك عمليا . ففي مكة كان ماله في خدمة المسلمين يواسى به الضعفاء والفقراء ، ويعطي منه المحتاجين بلا من بالمعروف ، وبلا استعلاء بسبب العطاء . وكان الاغنياء من المسلمين يفعلون فعله ويحررون الرقاب بأموالهم كما فعل أبو بكر الصديق (ض) في تحريره لبلال وامثاله من الارقاء ، وجعل ولاءهم للاسلام . وكان مصعب بن عمير قبل أن تعلم أمه باسلامه ينفق ماله على اخوانه في العقيدة ، فلما علمت أمه باسلامه وحرمته من مالها انفق عليه القادرون من اخوانه . فالاخاء أساس في العقيدة الاسلامية ، ولا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها وحتى يصل المسلم بهذا الاخاء الى غاية البر والرحمة

من غير ضعف ولا استكانة ولا ذلة . سأل رجل الرسول (ص) : « أي الاسلام خير ؟ » فقال (ص) : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » . وفي أول خطبة ألقاها بالمدينة يقول : (ص) : « من استطاع منكم أن يَقيَ وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها . » وفي خطبته الثانية يقول (ص) : « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ماتقولون، وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده . »

فعبادة الله وتقواه هي الشرط الاول في انخراط الرجل في صفوف المسلمين ، ولا بد من أثر لهذه العبادة ولتلك التقوى حتى يكون الايمان عمليا . « فالايمان ماوقر في القلب وصدقه العمل » . من أجل ذلك يصدق المسلم في قوله ويتحاب مع اخوانه بروح الله ، ولا ينكث العهد « ان العهد كان مسئولا » .

ولقد آخى الرسول بين المسلمين في المدينة ، فآخى بينه وبين علي كرم الله وجهه ، وآخى بين عمر بن الخطاب وعقبان بن مالك الخزرجي ، وآخى بين أبي بكر الصديق

يقول الله تعالى : «لتبلون في أموالكم وانفسكم ،ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، رواحة ، فلما غشي المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن حقا ، فلم تؤذينا به في مجالسنا ، ارجع الى رحلك فمن ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك الصبر عليهم فوق طاقة الانسان ، ومن أجل ذلك يقول

وخارجة بن زيد . وشعر أهل المدينة بهذا الاخاء الحق وبهذا التماسك الكريم فشاركوا اخوانهم المهاجرين أموالهم ومساكنهم ، ومدحهم القرآن الكريم بقوله : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك غفور رحيم » .

وفي المجتمع فقر وغنى ، وفي المجتمع ضعف وقوة ، ولا بد للقادرين أن يشعروا بفقر الفقير وبضعفه ، ولابد لهم أن يعملوا على ازالة الفقر وأسبابه ، ولا بد لهم أن يشعروا بشعور المجتمع ، فيوجد التعاطف بين الجميع ويعمل الجميع من اجل الخير والبر . هذا رسول الله يأتيه رجل فيقول اني مجهود أي أصابني جهد ومشقة وجوع ، فأرسل الرسول الى بعض نسائه فقلن جميعا : « لا والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء . فنظر الرسول الى اصحابه وقال : « من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الانصار : أنا يا رسول الله . فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : اكرمي ضيف رسول الله . فقالت : ما عندي الا قوت صبياني ، قال : فعلليهم بشيء واذا أرادوا العشاء فنوميهم ، واذا دخل ضيفنا فأطفيء السراج وأريه أننا نأكل معه ، فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين . فلما أصبح غدا على النبي (ص) فقال له : الرسول : لقد عجب الله

من صنيعكما بضيفكما الليلة !

وبذلك أمكن لهذا الجائع ان يجد الترحيب والطعام والنوم لان الناس كانوا يعيشون في معان كريمة ، ويشعرون باخاء الانسان للانسان وبحقه عليه . ويعملون من أجل استدامة المحبة وربط المجتمع ببعضه البعض . والكل بعد ذلك يعيش في فضل الله وكنفه ، والكل بعد ذلك يعلم ان الله يقول : وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثلما انكم تنطقون » . والمسلم الحق يعلم ان الله ما خلق انسانا الا وله رزق ، وصدق الله العظيم اذ يقول « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » .

ولو شعر الناس في عصرنا بهذا الشعور لعاش الجميع تظللهم المحبة ويجمعهم الاخاء ، ولكن الطمع والجشع في بعض النفوس يؤدي الى السخيمة والكراهية والى التكالب على الاشياء ، ولو لم يكونوا بحاجة اليها . ان بساطة الاسلام وكلمات الرسول وافعاله لها الاثر العظيم فى ايجاد مجتمعه الفاضل .

هذا رسول الله (ص) يقول : « طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة ، وطعام الاربعة يكفي الثمانية ، والبركة توجد دائما عند طهارة القلوب والنفوس وعند الشعور بالمرحمة والمحبة ، ان الفقر يحتاج الى الملاحظة الدائمة من الناس يحتاج لازالة أسبابه . لو حسنت النيات وخلصت لتخلصنا منه ، ولو قطعنا دابر الجشع والطمع لقضينا عليه ، ولو حاول كل منا ان يعطي من ذات نفسه

وان يقدم خدماته لمجتمعه لسعدنا جميعا . هذا حديث رسول الله (ص) يرويه أبو سعيد الخدرى يقول : « بينما نحن من سفر مع رسول الله (ص) اذ جاء رجل على راحلة يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لاحد منا فى فضل » .

ان رسول الله يمدح الاشعريين فيقـــول : « ان الاشعريين اذا أرملوا أو قل طعامهم في الغزو جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية فهم مني وأنا منهم . من رسول الله الكريم نتعلم ونتعظ وبأقواله وافعاله نكيف حياتنا ، فاذا شعرنا بهذا الشعور وحققناه عمليا سعد الجميع بعدالة الاســـلام ، وعاش الجميع في بحبوحة الرزق وتحابوا بكلمة الله « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

بالكلمة الطيبة نكسب كثيرا

يقول الله تعالى: «لتبلون في أموالكم وانفسكم، ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا، وان تصبروا وتتقوا فأن ذلك من عزم الامور ٠ » وسبب نزول هذه الاية ان رسول الله (ص) ركب على حمار وأردف خلفه أسامة بن زيد ، وسار يعود سعد بن عبادة من بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، حتى مر بمجلس فيه عبدالله بن ابي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن ابي ، فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المجلس عبدالله بن رواحة ، فلما غشي المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا ، فسلم الرسول (ص) ثم وقف فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن أبي : أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا ، فلم تؤذينا به في مجلسنا ، ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبدالله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا ، فانا نحب ذلك ، واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتساورون ، فلم

يزل النبي يخفضهم حتى سكتوا ، ثم ركب النبي (ص) دابته وسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد ألم تسمع ما قال عبدالله بن أبي بن سلول ؟ قال كذا وكذا ، فقال سعد : يارسول الله اعف عنه واصفح فوالذى انزل عليك الكتاب ، لقد جاء الله بالحق الذى انزل عليك وقد أصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالملك ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك ، فذلك به ما رأيت فعفا عنه رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى قوله : « ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » .

الحسد يعمي ويصم ويجعل اللسان يقول قولة السوء . والله يختبر الناس فى أموالهم وأنفسهم ويختبرهم بالاشرار يقولون السوء ويشيعون البغضاء والفساد والافساد والانسان اذا انحط فقابل الفساد بمثله ضاع ، وانما يتسامى بالكلمة الطيبة يقولها وبالاعراض عن الجاهلين ، ومقابلة الاساءة بالاحسان وبالعفو فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

ذلك قدر وحظ أن المفسدين يشيعون كلمات السوء عن الاخيار والابرار يؤذون شعورهم واحساسهم ، ولكن الصبر عليهم فوق طاقة الانسان ، ومن أجل ذلك يقول الله لنا « ان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » .

لقد كان المشركون واليهود يشيعون كلمات الرسول

(ص) وأصحابه ، وكان عليه السلام يقابلهم بحلمه وصبره والدعاء لهم « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » . لو تمثلنا ذلك في حياتنا لسعدنا سعادة لاحد لها ، وزدنا الذين يسيؤن اساءة فوق اساءاتهم ولدفعنا لهم بالغيظ يأكل قلوبهم ونفوسهم السيئة ، وما مكناهم منا ابدا .

بشرية محمد عليه الصلاة والسلام

كثيرا ما يتحدث الناس عن رسول الله (ص) ، ولكنهم في حديثهم عنه يلحظون الجانب الالهي ووحى الله ، وينظرون اليه كنبي من انبياء الله ورسله ، ولا ينظرون الى الجانب البشري فيه ، ولا ينظرون اليه كشخصية تعتبر نموذجا كريما للنفس الانسانية في فضائلها وللبشرية في ارتفاعها وسموها • يتركون في الحديث عنه الجانب البشري أو يغفلون انسانيته بقوتها وضعفها ، برضاها وغضبها ، بفرحها ، بالحياة وبايمانها بالاخرة •

انسانية محمد لا شك فيها وبشريته لا مراء فيها ، ففي طفولته أراد ان يلهو كما يلهو الشباب ، وان ينظر الى عرس من أعراس قريش ، فقال لزميل له : ارع غنمي حتى أنزل فأسمر كما يسمر الشباب ، ولكنه عندما نزل من الجبل القى الله النوم عليه فنام ولم يستيقظ الا في صبيحة اليوم الثاني ، وقد فعلها مرة أخرى فألقى الله عليه المنام فنام ولم يستيقظ الا فى صبيحة اليوم الثاني ، ثم عزف عن هذا اللهو الفارغ ، ولم يحاول ان يحضر بعد ذلك عرسا من اعراسهم •

وقد عرف وهو صغير شظف الحيـــاة وقسوتها ، فسعى في سن مبكرة من أجل لقمة العيش ، وكان يرعى لقريش غنمها ويقول بفخر بعد النبوة متحدثا عن هذه الفترة من حياته « ما من نبي الا ورعى الغنم » ، وخرج وهو صغير مع عمه أبي طالب في تجارة الى الشام • لقد أحبه عمه أبو طالب حبا ملك عليه فؤاده ، وصحبه معه اينما سار حتى اذا جن عليه الليل قاسمه فراشه ، بل أحبه كل من أتصل به لكريم خصاله وعظيم سجاياه •

لم يكن محمد سلبيا في طفولته ولا في شبابه ، فلقد أشترك مع أعمامه في الحرب التي نشأت بين قريش وقيس، والتي عرفت بحرب الفجار ، وقد سميت بذلك لان رحاها دارت ابان الاشهر الحرم ، وكان نصيبه منها انه كان يعد القسي لاعمامه ، وشهد بعدها حلف الفضول الذي قـــام للمطالبة بحق الضعفاء والمحرومين في مكة ، والذي قـــام ليرفع العسف والجور عن المظلومين •

ان أشتراك محمد في هذا الحلف لدليل على العواطف الانسانية النبيلة التي كانت متأصلة في طبيعته ونفســه الشريفة ، ولقد قال بعد ذلك « لقد حضرت في دار عبدالله بن جدعان حلفا وما أحب ان لي به حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت » •

ولقد اشترك مع قريش في بناء الكعبة وكان يحمل الاحجار على عاتقه كما يفعل سائر الشرفاء من أهل مكة • وفي أثناء البناء تار جدال عنيف فيمن يكون له الشرف في رفع الحجر الاسود ، وكاد الجدال يؤدي الى الحرب فاقترح

أحدهم التحكيم على أن يكون لاول داخل الى الكعبة فقبلوا جميعا ، وكان أول داخل عليهم محمد فهللوا جميعا وقالوا في رضى : انه الامين .. لان ثقتهم فيه كانت صادقة لا حد لها . أخذ رداءه ووضع بيديه الحجر الاسود ، ودعا برئيس كل عشيرة ان يأخذ بطرف من اطراف الرداء ، وبذلك اشتركت كل قبيلة في رفع الحجر الاسود الى موضعه ، وبذلك حسم النزاع وقضى على أسباب الفتنة .

وكثيرا ما تكون المقدمات الحسنة دلائل على النتائج الطيبة ، وشباب محمد الطاهر خير دليل على رجولته العظيمة ، ولقد كان منذ حداثته على جانب كبير من الرزانة والحياء . لم يعكف يوما على طيش الشباب ولم يكذب قط في شبابه لذا لقب بالصادق الامين . يقول ابو طالب للعباس « لم أسمعه قط يقول كذبا ولا يميل الى العبث والمزاح او يأتي رذيلة او قبيحة او يختلط بابناء السوقة .

وعندما جاءه وحي الله استدلت زوجته الفاضلة خديجة على مقدرته على المضى في المهمة التي كلف بها من الله الى مداها المرسوم بقولها : « والله لن يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

زوجة كريمة تعرف دخائل زوجها بحكم صلاتها به لانها ادرى الناس كزوجة بسريرته واعماق قلبه . لقد كانت متأثرة اعمق التأثر لما رأته قبل رسالته من عواطفه الانسانية النبيلة ومن حدبه على الفقراء والمساكين وعطفه على الارامل واليتامى ، وحنوه على العبد ، ورحمته التي لا

حد لها للجميع • تلك شهادة من سيدة كريمة عاشرته كزوجة تعرف دخائله والانسان يستطيع أن يخادع الجميع لكن الزوجة المتصلة بزوجها تعرف مواطن الضعف فيه والقوة • عندما يأتيها خائفا بعد نزوله من غار حراء تحدثه على طبيعتها وسليقتها وعلى الفور (انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق) •

لم تكن تعلم وقت زواجها أنه سيكون نبيا ، وانما بعشرتها الطويلة معه عرفت قيمته كانسان وكرجل • تلك هي عظمة محمد ، عظمته في بشريته • عظمته في انسانيته ، وانه النموذج الكامل للبشرية في علوها وارتفاعها • صدق الله العظيم اذ يقول : « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد » •

الاسلام ورعايته للطفولة

يهدف الاسلام الى تكوين مجتمع مثـــالى خال مـن الشوائب والاوضار والعقد ، والامراض النفسية · ويعمل الاسلام على تناول المجتمع من أساسه ، وأساسه الانسان فهو يرعاه في اطواره كلها حملا ومولـــودا وطفلا وصبيا مميزا وشابا ورجلا ·

ففي طور الحمل يضع الاسلام التشريعات والاحكام للحوامل من نساء المسلمين ، ويبين ما لهن من حقوق ، وما عليهن من واجبات رعاية للمولود المنتظر الذي سيكون لبنة في بناء الامة الفاضلة ، فاذا أهمل هذا المولود واذا أصابه الضياع أثر ذلك في تكوينه ، وبالتالى أثر في تكوين الامة · ولقد نص القرآن الكريم على الحمل والرضـــاع وعين مدة الرضاع فقال عز منقائل: « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلىالمولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها » · ثم رفع القرآن الضرر عن الوالد والوالدة فقال سبحانه : « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » · واذا دخل العناد بين الزوجين فلا ينبغي ان يؤثر ذلـك في طفولة

الطفل ، ولا ينبغي ان تمتنع الام عن ارضاع طفلها نكاية في أبيه ، وأنظروا الى تعبير القرآن الكريم في هذا اذ يقول : « وان تعاسرتم فسترضع له أخرى » ٠

والاسلام يتدخل في اختيار اسم المولود ويطلب الى وليه أن يتخير له الاسم الحسن لينشأ وجرس هذا الاسم في سمعه له الصدى الطيب ، فتصفو نفسه من العقد والاحقاد ، ولا يكون هدفا لنقد الاقران وسخريتهم واستهزائهم ، وقد حث الرسول الاعظم (ص) الآباء على تخير الاسماء الاسلامية الحسنة لابنائهم ، واختار هو لحفيديه اسمى الحسن والحسين بدلا من اسم حرب ٠

والرسول (ص) يدعو الى العقيقة من اليوم السابع من مولد الطفل يدعى اليها الاهل والاصدقاء احتفالا بهذا الوافد الجديد عليهم ٠ ولقد كانت رعاية الرسول (ص) لابنائه وحفدته أمر يعجز عنه الوصف ، فها هو يطيل في سجوده يوما فيسأله الناس بعد الصلاة : أطلت في سجودك يا رسول الله ! فيقول: ان ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله، لقد كان يريد ان يدخل السرور على حفيده الحسن فلما ركب ظهر جده تركه حتى لا يقطع عليه سروره ، وحتى لا يقوم الرسول (ص) فجأة فيصاب الطفل بضرر من جراء قيامه ٠

دخل عليه رجل يوما فوجده يقبل الحسن والحسين فقال الرجل : ما هذا يا رسول الله ان لى عشرة من الابناء ووالله ما قبلت واحدا منهم ابدا ٠ فقال (ص) : وماذا افعل

لك وقد نزع الله الرحمة من قلبك !؟ والرسول الكريم يقول « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » . فاذا نشأنا أولادنا على المحبة والرحمة واشعرناهم العطف ، وربطنا بينهم وبين مجتمعهم أمكن أن يكون مجتمعنا سليما ، واذا ربطنا بينهم وبين ربهم بالعبادة والصلاة ، وبمعرفة حقه سبحانه أمكن للطفل ألا ينحرف في مستقبل أيامه ، وأمكن له ألا يشعر بالضياع في مجتمع تحكمت فيه المادية البغيضة ، وقضت على الروح الانسانية الرفيعة . ومن اجل ذلك يقول الحق جل علاه : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » . ولقد أمر الرسول (ص) ان نأمر أبناءنا بالصلاة لسبع سنين وان نضربهم عليها لعشر ونفرق بينهم في المضاجع بعد ذلك حتى لا يدخل الشيطان بينهم فتزل قدم بعد ثبوتها في هذه السن الخطيرة سن المراهقة .

لقد كان الرسول (ص) أسوة حسنة في كل شيء مَرَّ يوما فيطرقات المدينة فوجد طفلا يهتم بعصفور مريض فيسأله عنه فيقول : « يا أبا عمير ما فعل الله بالنغير ؟ (وهو اسم العصفور) » ، فلمات مات العصفور ذهب الرسول (ص) الرحيم ليعزى الطفل في عصفوره ويتمنى له عصفور اخر أحسن صحة وأوفر قوة . تصوروا هذا

الطفل حينما يشعر باهتمام الرسول الاعظم به وبعصفوره كيف يكون في مستقبل أيامه !

لم يهمل الرسول (ص) أبدا شأن الاطفال فكان يعمل على تعليمهم القراءة والكتابة ويحث على تعليمهم ، ويأمرهم بتعلم الرماية وركوب الخيل من أجل ان ينشأوا نشأة صحيحة متينة تؤثر في اخلاقهم وأجسامهم وتدفعهم الى معالى الامور وتبتعد بهم عن سفاسفها · يقول الرسول (ص) : « ارمو بنى أرفدة ان اباكم كان راميا » ويقول : « أرموا وأنا معكم » ، وينصح دواما بتعلم الرمى وبالمداومة عليه حتى تكون الامة قوية على أعدائها ، فمن تعلم الرمي ثم نسيه بعد تعلمه فليس من جماعة المسلمين ·

لقد كان حدب الرسول على الاطفال عظيما خصوصا الخدم · هذا أنس بن مالك يقول : خدمت النبى عشر سنين فما قال لى أف قطر ، وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته · وكان (ص) يقول : « هم اخوانكم » جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » · قصّر خادم صغير يوما في عمل من الاعمال ، فلم يزد الرسول (ص) على عتاب رقيق ومداعبة لطيفة · يقول لخادمه « لولا خوف القصاص لاوجعتك بالسواك ! » وأنتم تعرفون ما هو السواك وهل يوجع الضرب به !

نقول اخيرا ان الطفولة الموجهة السليمة ، هي التي تؤدى الى رجولة كاملة والى نفع الامة وخيرها · ونحن بالفعل في حاجة الى تعاليم الاسلام في هذا المضمار من أجل مستقبل مشرق لابنائنا وأمتنا ·

العلم وسيلتنا الى الحياة الكريمة

يقول (ص) من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » ٠

ما من أمة من الامم أخذت نفسها بالعلم وحرصت على اشاعته بين أفرادها وجماعاتها الا سادت غيرها وتقدمت في مضمار الحياة ، وما من أمة استكانت الى الجهل ورضيت به أسلوبا لحياتها الا تأخرت وتجمدت ، وكانت مرتعا للخرافات وموضعا للضعف والعلل الاجتماعية والنفسية والخلقية وهدفا للغزو ٠ ونظرة للعرب قبل الاسلام وبعده تعطينا نموذجا كاملا لامة متخلفة وأمة متقدمة ٠

فالعرب قبل الاسلام كانوا يعيشون حياة قبلية متخلفة تحكمها الاساطير والاباطيل والتقاليد « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » يرهبون المجهول ويخافونه ، ويجاملون اهواءهم واعتقاداتهم الباطلة ، ويقدمون القرابين لما لا ينفع ولا يضر ولا يغنى عنهم شيئا ، وينظرون للمرأة على انها عبء ثقيل ، وعلى انها

مجلبة للفقر والعار .. واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ».

يرضون بالفقر أسلوبا ، وبالحياة الدون واقعا ، ويرضخون لجهلهم بما هم عليه من فساد في الذوق والتصور، ويفرحون بواقعهم السيء لان ذلك مبلغهم من العلم . ويأتي الاسلام ومعه النور ، وتنزل الآية الاولى على محمد (ص) تقول : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . فالامة لابد وأن تنقلب الى العلم تتخذه أسلوب حياتها . ورسول الله الامي يعتمد دينه وترتكز عقيدته على العلم ، وعلى العلم وحده سترقى تلك الامة التي فسد اعتقادها لجهلها ، والله ينزل الآية تلو الآية تمجد العلم وترفع من شأن العلماء . يقول الله تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ، انما يتذكر أولو الالباب ». ويرفع الله المؤمنين والعلماء بقوله سبحانه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . والخشية من الله لا تكون الا من عباده العلماء : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . ورسول الله (ص) يوجه نظر أتباعه الى أفضل ما في الدنيا وانه (لا غبطة الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل اتاه الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » . والخير كل الخير لمن فقه الدين ولابد من علم حتى يفقه الناس دينهم . من أجل ذلك يقول (ص) : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »

يمدح الرسول (ص) سلمان الفارسى (رض) بقوله : « ان سلمان مُلِءَ علما » ·

لم يعتمد الرسول على تعليم العلم بكلمات بليغة يطلقها ، أو بنصائح وارشادات يقولها ، وانما اتخذ العلم مظهرا واقعيا · فعندما وقع أسرى بدر في يد المسلمين يحرر الرسول بعضهم على أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وبذلك يمنحه الرسول حريته · فكأن العلم يساوي الحرية ، وصحيح أن العلم قرين للحرية ، فأمة بلا علم أمة مقيدة الى العبودية والرق وهدف للاستغلال والاستعباد · ومثل على ذلك أفريقيا السوداء · استعمرها الرجل الابيضة عندما وجد الجهل يرتع بين أبنائها ، وعندما وجد أن الاساطير والتقاليد تعشعش في سمائها فاستعمرها واستغل خيراتها لانه وجد السبيل أمامه ممهدا بالجهل والتخلف ·

ولقد بُعث الرسول (ص) معلما وهاديا ورحمة للعالمين ، بعث ليقضى على أسباب التخلف وعلى الاغلال ، وليرفع الضير والاصر عن الناس « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » · من أجل ذلك كان الرسول (ص) يحث أتباعه على طلب العمل فيقول (ص) : « من سلك طريقا يلتمس

فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة » ، بل ان الذهاب لاقصى الارض من أجل طلب العلم مطلب اسلامي · جاء في الاثر « اطلبوا العلم ولو بالصين » · وليس طلب العلم قاصرا على الرجال وحدهم بل يشمل الجميع · يقول (ص): « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فاذا خرج المسلم لطلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » كما يقول عليه الصلاة والسلام والثواب لا ينقطع عن المؤمن بعد موته اذا ترك علما ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ·

ان الاسلام يحث على طلب العلم ويدفع له دفعا حتى تكون أمتنا أمة وسطا تقود العالم الى الحضارة والرقي ، وما فعله الرسول من احترام وتقدير للعلماء كان الاساس الاول لحضارة المسلمين الزاهرة التي اجتاحت الدنيا وأثرت في جميع الحضارات والتي قادت العالم الى النور والخير ، فهل آن للمسلمين أن يرجعوا الى سيرتهم الاولى فيتخذوا العلم مرة أخرى طريقا وسبيلا حتى يعود لهم المجد وحتى يرتفعوا بأنفسهم وبالانسانية بعد ذلك · ما ذلك على الله ببعيد لو أخذوا بالاسباب وساروا في الطريق الصحيح طريق العلم والنور ·

قوة النفس

يقول الله تعالى : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ٠

علمنا الاسلام أن الحياة الافضل للذين يجاهدون أنفسهم أولا ، يجاهدون شهواتهم ومطامعهم ونزواتهم ، ويخالفون الهوى ويبتعدون عن الدنايا ٠ وفي ذلك يقول (ص) : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ٠ قالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال : جهاد النفس » ٠ فالانسان بخير ما جاهد نفسه ، وبشر عظيم ما استكان الى هواه وعبثت به الاهواء ٠ من أجل ذلك لن تكون النفس خيرة تسير على الجادة الا اذا زكاها صاحبها وطهرها من الادران ٠ وصدق الله العظيم اذ يقول : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ٠ »

يريد الاسلام من المسلم أن يكون قويا ؛ قويا في دينه وعقيدته وايمانه بالله ، وبالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره ٠ يريد الاسلام منا أن نقوى على أنفسنا وألا نجعل للشيطان علينا سبيلا ٠ وقوة النفس أساس في الشخصية المسلمة ، فاذا أصاب الانسان الخور والضعف

واستذله الهوى بعدَ بعدا شاسعا عن الحقيقة الاسلامية ، واذا سار الانسان على منهج سليم في حياته فاتبع تعاليم محمد (ص) لخير البشرية ولرفعتها ولتقدمها ، وهي تعاليم تربي الفرد على الفضيلة ، وتباعد بينه وبين الرذيلة ، وتجعل منه عضوا نافعا في مجتمع متماسك كريم يهش للفضيلة ، وينفر من الرذيلة ·

والانسان لكي يكون فاضلا مستقيما ينبغي أن يكون يقظ الضمير صالح الفؤاد ، يحاسب نفسه ويضعها موضعها الصحيح · يراعي ظروف الناس وأحوالهم ، ويغفر لهم ضعفهم ويحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ·

ويقظة الضمير مراقبة الله في كل عمل ، ومحاسبة دقيقة للنفس عن كل فعل · صدق الرسول (ص) اذ يقول: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » اذا صلح الفرد صلح المجموع ، واذا فسد الفرد فسد المجموع · اذا توخى الانسان مصلحة الجماعة فعمل لها بعد تزكية نفسه وتطهيرها سار المجتمع سيرة حميدة وتقدم في كل ناحية من نواحيه ، واذا توخى الانسان مصلحته الفردية فتخلى عن العقيدة السليمة واتبع هواه فأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة · عند ذلك يضعف أمام المغريات لانه فقد ايمانه وأمات ضميره · والمجتمعات الحديثة لاتخلو من هؤلاء الذين فقدوا المقدرة على السيطرة على انفسهم ، واتجهوا اتجاها ماديا فرديا ، فاكتوى منهم الناس وضربوا المثل السيء بسلوكهم غير الحميد · المجتمع

بحاجة لعقيدة سليمة ، وللامثلة الـــكريمة يضربها الكبار للصغار في انكار الذات وفي المحبة والتعاون والاخاء والشجاعة والكرم ، وفي الاباء والدفاع عن وحدة الوطن والجهاد في سبيله • ولا تتأتى هذه الاشياء الا بقوة النفس المعتمدة على قوة العقيدة وعلى يقظة الضمير • فهلا عاد الناس الى ايمانهم يتحصنون به من عوادي الزمن ومن الافكار المادية البغيضة • لقد جربنا كثيرا وآن لنا ان نرجع الى اسلامنا الصحيح علنا نرى النور والحضارة والاشراق من جـديد • ولن نرى هذا الا بتطهير النفس واصلاحها • صدق الله العظيم :

« قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » ••

البر والاثم

سأل رجل الرسول (ص) عن البر والاثم فقال (ص) « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » ·

في هذا الحديث يضع الرسول (ص) ميزانا دقيقا للبر والاثم · فالبر حسن الخلق واحسان المعاملة · العلاقة الطيبة بين الانسان واخيه الانسان · ولقد بعث رسول الله (ص) لكي يتمم مكارم الاخلاق ، وكان نبراسا ونورا للناس في سلوكه ، ونموذجا صالحا للمعاملة الطيبة · لقد مدحه ربه سبحانه وتعالى فقال له : « وانك لعلى خلق عظيم » وبين للناس أنه لم يكن مستبدا ولا ظالما ؛ يقدر الرجال ويزنهم بميزان دقيق ، ويبين أن مقدار قربهم منه صلى الله عليه وسلم باخلاقهم وحبهم له وبتصرفاتهم النبيلة فيقول : « ان أحبكم الي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » فالمتواضعون يحبهم الله ورسوله ، والذين يألفون الناس ويألفهم الناس ، هم من أحب الناس الى الرسول وأقربهم اليه والى الله ·

والانسان عليه أن يعيش بالكلمة الطيبة يقولها ،

وبحسن العشرة بينه وبين سائر الناس « انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ، أو فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » كما يقول (ص) · ولكي يسير المجتمع الى أفضل فلنحافظ على ألسنتنا من كلمة السوء نقولها أو من الهمز واللمز والغمز نفعله ، ومن الغيبة والنميمة نتحدث بها في مجالسنا ، أو من السخرية والتندر بالناس من أجل أن نمرح ونعبث · كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ·

ان أحدنا لايرضى لنفسه أن يكون موضع نقد لاذع من أحد ، او موضع سخرية أو تندر · ان أحدنا يخشى من كلام الناس ، يخشى من ذمهم ومن غيبتهم ونميمتهم · فلماذا نرتكب هذا الاثم والزور في حق الآخرين » « ان الاثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس · »

فأي ايذاء يصدر منا سيمر على ضمائرنا وصدورنا أولا ، فاذا أصررنا عليه ونفذناه وكرهنا أن يطلع عليه الناس فهم اثم ·

ليحاول كل منا ان يكون يقظ الضمير يحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم مايكره لها · ليحاول كل منا أن يكون أهلا للبر باتباع الحق وترك الباطل · بعيدا عن الاثم بترك الايذاء باليد واللسان والقلب ·

ان الحياة جميلة اذا عشنا فيها بلا ايذاء ، اذا عشنا فيها بمحبة واخاء · فليكن أسلوبنا في الحياة البر وترك الاثم ، ولنعش جميعا بمودة وتقدير وبلا اعتداء على بعضنا البعض ·

اشياء تفسد المجتمع

روى أن أمرأة من بني مخزوم سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا : ومن يجتريء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله • فكلمه أسامة فغضب الرسول غضبا شديدا وقال : «أتشفع في حد من حدود الله ياأسامة!»؟ ثم قام فخطب الناس قائلا : « انما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » •

في هذا الحديث يبين الرسول (ص) أن المجتمع الصالح هو ما تحققت فيه العدالة بين الجميع بلا تفرقة بين كبير وصغير وغني وفقير • واذا شعر المواطن العادي بالعدالة المطلقة اطمأن الى حياته وسار فيها سيرا طبيعيا ، واذا شعر بالظلم يحيق به لضعفه ولقلة الانصار من حوله حاول أن يدافع عن نفسه فلجأ الى طرق غير مشروعة وفقد الثقة بالجميع •

واذا فقد الافراد الثقة بالمجتمع ضاع هذا المجتمع ، وأصيب بالانحلال والتفكك • من أجل هذا يحرص رسول هذه الامة (ص) أن يحقق العدل بين الجميع بصرف النظر

عن الشريف والمشروف ، وبصرف النظر عن قبيلة عظيمة وأخرى صغيرة أو ضعيفة · ولقد غضب الرسول غضبا عظيما للوساطة يقوم بها أسامة بن زيد من أجل المخزومية التي سرقت ، وجمع الناس لامر جلل قد يحل بالجماعة الاسلامية ، وبين أن فساد المجتمع يأتي بترك الشريف سادرا فيغلوائه، وبأخذ الضعيف واقامةالحد عليه وعقوبته اذا قام بأمر غير مشروع ، وبين أن فاطمة بنته لو سرقت ـ وهى أحب الناس اليه ـ لاقام عليها الحد ؛ لان العدل عدل والحياة لا تستقيم الا بتطبيق القانون على الجميع ، وليس هناك أحد فوق القانون ·

اذا تحقق هذا فى المجتمع شعر الجميع بالمساواة الحقة ، وشعروا بالامن والاطمئنان على حياتهم وأموالهم وأنفسهم ، واذا لم تكن هناك مساواة حقة بين الجميع أمام القانون فسد المجتمع وشاعت فيه الرشوة والوساطة وكل ما يخرب الذمم وما ينحط بالمجتمع ·

لابد أن نستشعر العدالة فيما بيننا ، ولا بد من تطبيقها على الجميع وعلى أنفسنا اولا · اذا ربينا انفسنا على احترام القانون وعلى العدالة المطلقة سعدنا واسعدنا غيرنا ، وسرنا نحو النور والخير والهدوء والاستقرار ·

ولا تقتلوا انفسكم

يقول رسول الله (ص) : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

الانسان في هذه الدنيا معرض للخير والشر ، معرض للابتلاء بهما ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » . وكيد الناس لاينتهي وايذاؤهم شيء مركب في طبيعتهم . والانسان الفاضل حائر بين ما اصطلح عليه الناس في مجتمعاتهم من مجاملات ومراعاة للاقوياء ولو على حساب الضعفاء ، وبين قيم فاضلة أتت بها الاديان وحثت عليها كتب الله وقال بها رسل الله جميعا عليهم الصلاة والسلام . فاذا لم يعتصم الانسان بايمانه واذا لم تتصل أسبابه بأسباب السماء ضاع في الزحام وديس بالاقدام ، وانتهى النهاية التي لابد وان ينتهي اليها الذين يعيشون في الحياة بلا اهداف ولا غايات . والقرآن الكريم يخاطب في الناس عزائمهم القوية ، ويبين لهم انهم في ابتلاء دائم ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « ألم

أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

ولقد تمر بالانسان المؤمن الحياة بحلوها ومرها ، فلياخذها كما هي ويعلم انها خلقت هكذا : يسر وعسر، شدة وفرج ، نجاح وفشل ، فاذا أصاب شيئا من النجاح حمد الله وعمل على استدامته بالعمل والكفاح ، وان قابلته المصائب والشدائد حنى رأسه للعاصفة حتى تمر ، واعتصم بايمانه بالله وبارادته القوية التي رباها الايمان ، وبمثله الاعلى في الحياة ؛ رسول الله (ص) الذي رأى أنواعا من الايذاء والمحن والمتاعب والمشاكل ، فصبر وصابر حتى جاء نصر الله . اما الانسان الذي لا ايمان له ولا ارادة ، فقد تمر به الحياة ، فان جاءه النجاح مصادفة طار صوابه وقال : انما أوتيته على علم عندي واستحقاق وجدارة ، وان رأى فشلا ملأ الدنيا صراخا وعويلا ، ولم يعتصم بايمانه ، وظن ان الاقدار تعاكسه ، وأنحى باللائمة على الافراد والجماعات ، ولعن الحظ

لم يدرك سنة الحياة ، ولم يعرف أن الحياة ابتلاء واختبار ، ولم يتذكر قول الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

الحياة ايمان وعمل وكفاح وجهاد وجلاد ، والذين

لا تجربة لهم ينظرون اليها من جانبها المشرق ، ينسون ان الوصول الى هذا الجانب المشرق يحتاج الى عـــرق ودموع وصبر ومثابرة · وصغار الشباب هم اكثر من يقعون في هذا الخطأ لقلة تجربتهم ، فقد يصـادفهم في مستهل حياتهم رسوب في بعض سنوات الدراسة فيكبر الامر عليهم ، فاذا لم يساعدهم الكبار بالعطف عليهم ، واذا لم يحصنوهم بالايمان ويزرعوه في قلوبهم الغضة ، واذا لم يبينوا لهم أن الحياة هكذا : نجاح ورسوب ولهما أسبابهما من العمل وعدمه · اذا لم يبينوا لهم ذلك ، واذا لم يعطفوا عليهم العطف الكافي ولم يمنحوهم القلب الكبير لجأ الشباب الى الانتحار فقتلوا انفسهم واذهبوها واستحقوا بذلك غضب الله عليهم ، لان حياة الانسان ليست ملكا له ، فهو لم يخلق نفسه ولا عضوا واحدا من أعضـائه وانما النفس وديعـة غاليـة استودعنا الله اياها ، فلا يجوز لاحد أن يفرط فيها بالاعتداء عليهـا فكيف بالتخلص منها ؟! صدق الله العظيم اذ يقـول : « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما · »

ان الاسلام يربي في المسلم العزيمة القوية ، ويريد منه أن يكون صلب العود يقابل الشدائد بقوة ، ولايريد من المسلم أن يفر من الحياة ويخلع عنه اثوابها لبـــلاء نزل به أو أمل كان يحلم به فخـــاب لان المسلم خلق للجهاد وللكفاح لا للفرار ، وايمانه وخلقه يأبيان عليه أن يفر من ميادين الحياة · ان رسولنا الاعظم (ص) ينذر الذين يقدمون على هذه الجريمة البشعة جريمة الانتحار

بالطرد من رحمة الله والحرمان من الجنة فيقول : « كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات » فقال الله : « بادرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة » .

الغيب يعلمه الله

يقول الله تعالى : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن . »

جاء الاسلام من أجل أن يقيم عقيدة سليمة لمجتمع اسلامي فاضل ؛ أساسه التوحيد ، ودعائمه محاربة المعتقدات الجاهلية التي أشاعتها الوثنية الضالة ، وأوجدتها الاهواء الفاسدة التي تدفع بالانسان الى الذلة والخنوع ، وتبتعد به عن طريق الحرية والامن والسلام ، وتستذله بطائفة الكهان والعرافين والدجالين الذين يدعون معرفة الغيوب الماضية أو المستقبلة عن طريق ادعائهم بأنهم على صلة بالجن وغير ذلك . ويأتي رسول الله (ص) فيعلن الحرب على هذا الدجل ، ويتلو على الناس وحي الله : « لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون » . فالغيب ملك لله لا يعلمه الا هو سبحانه وتعالى ، وليس هناك مخلوق في هذا الوجود كائنا من كان يعلم الغيب . يعلن ذلك القرآن الكريم ويبين أن رسول الله (ص) بالرغم من قربه من الله واختيار الله له ليس من شأنه (ص) أن يعرف الغيب . يقول الله تعالى : « ولو كنت أعلم الغيب

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشيرلقوم يؤمنون» . ويخبر الله تعالى عن جن سليمان « ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.»

جاءت بعض الوفود الى النبي (ص) فظنوا انه ممن يزعمون الاطلاع على الغيب ، فخبأوا له شيئا في أيديهم وقالوا له : « اخبرنا ما هو ؟ » فقال لهم في صراحته المعهودة : « اني لست بكاهن وان الكاهن والكهانة والكهان في النار » .

كثير من البيوت قد تصدعت ، وكثير من الاسر قد تفككت بسبب الدجالين والذين يزعمون ويدعون معرفة الغيب ، وبالايحاء يصل هؤلاء الدجالون الى أغراضهم الخبيثة ، وبالخداع يستولون على أموال الناس ، وبتصديق بعض الناس لهم يشيعون الفساد في المجتمع . من أجل ذلك ينبه الاسلام الى ان اتباع العرافين والدجالين والكهان كفر بالله وبرسوله (ص) . يقول (ص) : « من أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل على محمد (ص) » ويقول (ص) : « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوما . »

من العقل أن ننظر في أحوال هؤلاء الذين يدعون معرفة الغيب . ان اكثرهم لايجد قوت يومه ويعيش في فقر ومسغبة ، فلو كان يعلم الغيب ويعرف الكنوز في مخابئها لاغنى نفسه أولا ولما احتاج الى هذه الحيل والاباطيل كي يأكل أموال الناس بالباطل وكي يشيع

الفساد والافساد بين الناس يضحك على السذج والبسطاء ويعبث بعقول بعض النساء ، يدعي المقدرة على الابقاء على الزوجية ، وعلى استدامة المحبة بين الزوجين، من أجل ذلك يطلب من المرأة المال كي يسترضى الجن ولابد من قوانين حتى يبقى الزوج ولا يفكر في غيرها ، والمسكينة تدفع وتبيع مدخراتها من الذهب والاشياء النفيسة وتشغل نفسها بما لا طائل تحته ثم تنتبه وقد ضاعت أموالها وضاع زوجها لانها شغلت نفسها بغير وظيفتها الاساسية كأم وكزوجة ترعى لزوجها حقه ، ولبيتها كرامته . ان القرآن الكريم ينبه على لسان سيد المرسلين بقوله سبحانه : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك . ان اتبع الا ما يوحى الي » .

ان مجتمعنا بحاجة الى التوعية الدائمة حتى لايقع الاخيار في يد الاشرار ، وحتى لا يعبث العابثون بالسذج والبسطاء ، وحتى لا تذهب العقيدة السليمة ويقع الناس في الكفر وهم لا يدرون . بعض الناس يلجأ الى هؤلاء من أجل شفاء الامراض ، وللوقاية والعلاج طرق معروفة شرعها الاسلام وأنكر على من تركها واتجه الى طرق الدجاجلة المضلين . هذا رسول الله (ص) يقول : « تداووا فان الذي خلق الداء خلق الدواء » . ان أي مرض من الامراض لابد وان يعالج لان المرض له سبب ، وعلاجه يكون بالجراحة أو بالتداوي عن طريق الفم أو العلاج بطريق الكهرباء . اما ان يلجأ الناس الى

الرقى والطلاسم والاحجبة يتقون بها المرض ، والدجاجلة يعالجونهم بما يكتبون وبما يخلطون فذلك جهل وضلال يصادم سنن الله وتوحيده ، ويصـــادم العقيدة السليمـة التي جاء بها محمد كي يرفع الضير عن الانسان ، وكي يرتفع بقيمته وعقله ، وكي يعلي من شأنه • ان المجتمع الفاضل عندما يعرف هذا يرتفع الى أوج الحضارة والرقي والمجد ، ويحرر نفسه وعقله •

أدب الطعـام

عن عمـــر بن أبى سلمة (رض) قال قال رسـول الله (ص) : « سم وكل بيمينك وكل مما يليـــك » ٠ الاسلام دين الحياة ودين الآخرة يتدخل في كل شيء حتى يستقيم به على الجادة ويدفع بالناس الى الذوق الرفيع حتى يعيشوا سعداء ، ولقد اختار الله المسلمين ليكونوا أمة وسطا ولا بد لهم من تقاليد كريمة تسمو بهم عن غيرهم ، وتدفعهم لمقام الاستاذية حتى يقودوا الناس الى خير ما في الحياة مما يرتفع بانسانية الانسان ٠

هذا غلام صغير تطيش يده في الصحفة يأكل كما اتفق ينبهه الرسول الى الاسلوب الذي ينبغي لمثلـــه فيقول له : « سم الله وكل مما يليك » ٠ فالتسمية كي يبارك في الطعام وكي لا يفعل الانسان الشيء وهو غافل عما يفعله ، وحتى يتذكر الانسان نعم الله عليه ؛ فالطعام رزق من الله ولا بد وأن نتذكره سبحانه في كل أحوالنا ونحمده فيما أنعم به علينا ، ولذلك نسمى في أول الطعام ونشكر الله في أخره ٠ ذلك دأب المسلم الحق ،والله يحب التيامن في كل شيء ، فالاكل باليمين لانها موضـع

التكريم ، وحتى لا يربى الطفل على الجشع ولا يفعل ما يعاب عليه مستقبلا ، وحتى لا ينظر الناس اليه نظرة احتقار لانه يتعلم الانانية فيبحث لنفسه عن الافضل غير شاعر بمن يأكل معه ، وهذا سلوك لا يرضاه الاسلام ، وانما رضى الاسلام للناس الايثار ، والمجتمع الفاضل هو المجتمع الذي يشعر فيه الجميع بالايثار . من أجل ذلك قال الرسول (ص) للغلام : «كل مما يليك».

فذكر الله على الطعام واجب . يروي جابر (رض) يقول : «سمعت رسول الله (ص) يقول: « اذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان «لا مبيت لكم ولا عشاء » ، واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : «أدركتم المبيت» ، واذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال « أدركتم المبيت والعشاء» . فطعام لا يذكر أسم الله عليه منزوع البركة، وبيت لا يذكر الله في دخوله بيت تخفق فيه الشياطين ، والامر لنا أولا وأخيرا من اجل ان نكون يقظين لكل عمل نعمله ، نرجو فيه الخير من ربنا ونطمع أن يكون الله معنا في كل أعمالنا ولا نجعل للشيطان علينا سبيلا ، فاذا ذكرنا الله تأدبنا بأدب ربنا فبورك لنا في أعمالنا وبورك لنا في بيوتنا وطعامنا ».

ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم . « ان الشيطان لكم عدو فأتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . ولقد روى أن رجلا جلس ليأكل فلم يسم الله تعالى حتى لم يبق من طعامه

الا لقمة فلما رفعها الى فمه قال بسم الله أولا وأخيرا فضحك الرسول (ص) ثم قال : «ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر أسم الله استقاء ما في بطنه» . ولقد كان الرسول (ص) يأكل طعاما في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله (ص) « أما انه لو سمى لكفاكم ». يربط الرسول الناس بربهم ليعتصموا به من القوى الخفية الشريرة ، وليدفعهم دفعا لالتماس البركة من الله . ولم يكن الرسول يكتفي بالتسمية في أول الطعام وانما كان يشكر الله ويحمده في آخره ، وكان (ص) اذا أراد رفع مائدته يقول : «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مستغنى عنه ربنا » .

وينبه الناس لمغفرة الله اذا حمدوه بعد الطعام فيقول : «من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه»

بعض الناس يتبطر على الطعام خصوصا الاطفال الصغار ، ينظرون للطعام بأنفة ويقولون : نأكل هذا وندع هذا . أو لا يعجبهم ما يقدمه لهم أهلهم فهم يدفعون بالطعام مما يثير غضب الحليم . وبعض الرجال يعيب طعاما صنعته زوجته ويعيرها بعدم الاتقان مما يكسر قلبها ويسيء الى شعورها ويؤذيها في نفسها ويؤثر في العشرة الزوجية ، لهؤلاء وأمثالهم أهدى فعل رسول الله (ص) . يروي أحد أصحابه فيقول (رض) «ما عاب

رسول الله (ص؛ طعاما قط ، ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه» .

وكان الرسول (ص) يدعو الى القناعة ويطيب خاطر أهله مما يهون عليهم الحياة ويجعلها مشرقة طيبة . يروي جابر (رض) أن النبي (ص) سأل أهله ، لآدم فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل ويقول «نعم الادم الخل .. نعم الادم الخل .» . يرضى الرسول (ص) بأقل شيء ويأكله مادحا . يعطى بذلك درسا عمليا فى القناعة وينسب الصحة الى بارئها تفضلا منه جل وعلا ، ولا يشعر بالغضاضة لما يقدمه أهله له من طعام بل بطيب خاطرهن قائلا : « نعم الادم الخل .. » .

أظن أن بعضنا لو دخل الى بيته فلم يجد أصنافا متعددة ثار وقلب البيت رأسا على عقب وأتهم زوجته بالاهمال وعدم المبالاة ، وأظن ايضا أن بعضنا ينظر نظرة أخرى غير متواضعة الى الحياة . والحياة معنى كريم فلم ينقص مقام رسول الله (ص) بأكله الخل ولم يرتفع انسان بما يأكل أو بالاصناف المختلفة على مائدته، وحسب امرىء من الطعام لقيمات يقمن صلبه ، ونحن نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل . هكذا كان الرسول يقول . باركوا أكلكم بذكر الله عليه وأحمدوا نعمائه « لئن شكرتم لازيدنكم » .

حق الطريق

يقول رسول الله (ص) : «اياكم والجلوس في الطرقات • قالوا يا رسول لله انما هي مجالسنا ما لنا منها بد ، نتحدث فيها • فقال (ص؛ فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: غض البصر وكف الاذى ورد السلام ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر »•

عادة اعتادها بعض الناس ممن عاصروا رسول الله (ص) ، هذه العادة هى أن يجلسوا في الطرقات يتسامرون ويتحدثون ويملأون فراغهم ، فأراد رسول الله أن يمنعهم عن هذه العادة فقال لهم : اياكم والجلوس في الطرقات لان هذا الجلوس قد يدفعهم الى شر، ويفتح عليهم أبواب الشيطان ، ولكنهم أخبروه أن هذه المجالس لا يستطيعون منها فكاكا لان الانسان اجتماعي بالطبع يألف الناس ويألفه الناس • والرسول (ص؛ يعلم أن هذا من طبيعة البشر • من أجل ذلك أراد أن يحولهم الى الافضل في السلوك وفي العادة فأمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء أخرى•

والواقع أن بعض الناس يعانى فراغا في حياته ، أو يعاني تعطلا أو تبطلا ، او يكسل عن اداء واجبه فيحلو له أن يجلس في الطرقات أو على مقهى لا ليستريح من عناء عمل أو يجلس في انتظار الصديق أو ما شابه ذلك، أو يجلس مع اصدقائه وزملائه يتحدث فى أدب أو علم او دين ، وانما يجلس لاغراض خبيثة سيئة ينظر الى الغاديات الرائحات يلتهمهن بعينيه ، ومن نظر الى محاسن امرأة بشهوة صب في عينه الآنك يوم القيامة ، والآنك هو الرصاص المحمى بالنار ، وكان الاولى بمثل هذا الجالس أن يشغل نفسه فيما يعود عليه بالفائدة. اذ ما الفائدة فى نظرة تحرك الشهوة أو تعقب حسرات أو تدفع الى تمن خبيث سيء .

وكم من الوقت يضيع فى أمثال تلك الاباطيل .

وقد يكون هذا الجالس قدوة سيئة لغيره من الناس. من أجل ذلك يتحدث الرسول للذين أبوا الا الجلوس في الطرقات أن يغضوا أبصارهم عما لا يجوز النظر اليه . وليس غض البصر قاصرا على النساء فقط ، وانما ينبغي ان نغض أبصارنا عما يسيء الينا فيدفعنا للحديث بسخرية عن الناس أو غمز لهم أو لمز ، أو أن نعيبهم بالقصر والطول او العيوب الخلقية ، أو الشكل أو المنظر مما يدعو الى الاستهزاء منهم ، سفيرنا الى هذا هو النظر فلابد من غضه اذا أبينا الا الجلوس في الطرقات.

ولقد نهى رسول الله (ص) الجالسين فى الطريق. نهاهم عن الاذى بالقول أو الفعل أما القول فلا يكون

اجتماعنا على المقاهى من أجل سير الناس وأعراضهم.
« يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تعيروا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته ».

بعض الناس يجلس من أجل أن يغتاب الناس وأن يتحدث عنهم ، ووسيلته الى ذلك أن يبدأ حديثه بقوله اللهم لا تجعلها غيبة ، ثم يبدأ في اغتيابهم بكل ما أوتي من قوة، فيتحدث عن الاعراض والنساء ، ويتحدث عن صديقه بهجر القول وبذيئه ، ويتناول سيرته بالحق وبالباطل . وأشد من هذا اذا جاء هذا الصديق فأستقبله بترحاب باسطا يديه مرحبا به مغيرا دفة الحديث قائلا : لقد كنا في سيرتك وذكرناك بالطيب من القول ، فيضم الى الغيبة النفاق وهذا شر ما يتصف به انسان .

ولقد يجلس أحدنا فيجد مستغيثا فلا يغيثه أو ملهوفا فلا يعينه أو طفلا تكاد السيارات تورده موارد الموت فلا يلقي له بالا . ما كف أذاه وما ساعد في معروف، وأنقص مروءته بعدم مبالاته . وديننا دين محبة وأخاء وتعاون ومعروف . ديننا دين السلام والالفة . من أجل ذلك يطلب منا الرسول (ص) أن نرد السلام على من القى علينا السلام ، والقرآن الكريم يقول لنا « واذا حييتم بتحيه فحيوا بأحسن منها أوردوها ». يؤكد الرسول هذا المعنى حتى تزداد الالفة بين الناس والشعور بالاخاء بين الجميع « انما المؤمنون أخوة».

اذا تكبرنا على خلق الله فمنعنا السلام وتجاهلنا رده ضعفت الروابط بين الجميع ، واذا لم نتواضع للناس عمنا بعذابه فى الحديث القدسى يقول الله تعالى : «الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى فمن نازعني فيهما أدخلته النار ولا أبالى » ، ويقول عليه السلام « من تواضع لله رفعه » ويقول أيضا « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » · فالذين يمتنعون عن رد السلام يبتعدون عن معنى الاسلام والذين يعرفون للبشرية قدرها ، وللانسانية حقها يجازيهم الله أسوأ الجزاء ، وما أحوج البشرية فى عصر انقلبت فيه الموازين الى لمسة حنان ، والى تعاطف كريم بين الناس · انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق · وأول طريق الى القلوب هو التحية والسلام وردهما · من أجل ذلك يطلب منا سيد الخلق (ص) في مجالسنا أن نرد السلام على من عرفنا ومن لم نعرف·

لعن أقوام من قبلنا لانهم امتنعوا عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر · كان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول له يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه · ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وأنزل الله في هؤلاء الاقوام « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون

عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون · ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما أتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » ·

للذين يجلسون في الطرقات أو على المقاهي أوجه هدى رسول الله اليهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذا وجدوا انسانا سادرا في غلوائه فلينصحوه بلطف وبلين حتى يستقيم على الجادة لان المجتمع الفاضل الذي يريده الاسلام يقوم على المسئولية ، مسئولية الفرد والجماعة · أما أن ننصرف عن هذا فالرسول يقسم فيقول : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » غيروا المنكر من أجل المجتمع النظيف وأشيعوا الخير والمعروف بينكم تسلم لكم المجالس والدنيا والحياة »·

طبيعة الرجال وطبيعة النساء

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » . خلق الله الرجال طبيعة مختلفة عن النساء . خلق معهم الخشونة والقوة من أجل الكفاح ومن أجل الصراع في نواحي الحياة المختلفة . وجمال الرجل في خشونته ورجولته ، فاذا انحرف عن الرجولة وترك الخشونة فقد انقلب الى شيء أخر، واذا خرج عن طبيعته التي أرادها الله له فقد جر على نفسه اللوم والسخرية والاحتقار ، واذا ظن الشاب أنه بتقليده للفتيات يكسب رضاهن فقد وهم ، فالفتاة الكاملة لا ترضى عن فتى يشاركها الانوثة ويقلدها فى مشيتها وطراوتهاونعومتها وصوتها وتصرفاتها . ومن المؤسف أنه قد فشت فاشية فى الغرب جعلت بعض الشباب يتخذ هذا الوضع فقلدهم بعض شبابنا فأساءوا الى تقاليدهم العربية السليمة ، وأساءوا الى الرجولة في كمالها وجمالها . تجد الشاب وقد لبس ملابس أقرب ما تكون الىملابس النساء ، واتخذ النعومة أسلوبا في حياته وتجده وقد

وضع قلادة من الذهب في عنقه يمشي الهوينا متراخيا في مشيته يمضغ العلك ويتحدث بنغمة لا تليق بالشباب الذي هو عماد الامة ومناط رجائها ولو ابتلى المجتمع بأمثال هؤلاء فأقم عليهم مأتما وعويلا ».

ان الرسول العظيم (ص) يقول : «أخشوشنوا فان التنعم لا يدوم » ولقد رأى طفلا يلبس ثيابا ملونة ويضع خرزة فقال له بسخرية : أمك أمرتك بهذا ؟!».

يعلم هذا الطفل أنه سيكون بعد قليل شابا ، وذلك مما يعيب الشباب ، ولقد نشأ الرسول الجيل الجديد على أسس جديدة من الرجولة الحقه ، فالطفل يتعلم المصارعة وهو لم يتجاوز بعد الرابعة عشرة من عمره ، والطفلان يصطرعان أمامه فيأخذ الاقوى منهما الى ميادين القتال ونحن نعلم أن الذي قتل أبو جهل طفلين لم يزيدا على العاشرة من عمريهما ، ولقد كان قائد بعث الروم أسامة بن زيد وهو لم يتجاوز بعد السابعة عشرة من عمره.

جيل قوي وشباب فتى وأجسام ناضجة ورجولة مبكرة . هذا هو ما يريده الاسلام في الشباب لا يريد منهم تخنثا أو ضعفا ، لا يريد منهم تقليدا أعمى للغرب في تعاليمه وتقاليده ، وانما يريد منهم أن يكونوا كما خلقهم ربهم .

ان أمما قد بادت وذهبت أحاديث ومزقها الله كل ممزق ذلك لانها أرادت الحياة الناعمة وعملت ضد طبائع الاشياء وأعرضت عن نعم الله عليها ، وبدلت نعمة الله

كفرا وأخلت قومها دار البوار • ولقد ضرب الله مثلا لذلك بمملكة سبأ فقال سبحانه : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية • جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل • ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ، وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير • سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق• ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » • ولقد خشي الرسول (ص) على الامة أن تفتح عليها الدنيا وأن تعرف الرفاهية والرغد ، وأن تستكين للحياة الناعمة ، فالدنيا حلوة خضرة والله يبتلينا بها• ولقد صدقت نظرة رسول الله ، فما انهارت دنيا المسلمين الا عندما تركوا الخشونة وأنصرفوا الى الملاذ والشهوات، وأتبعوا الاساليب المادية وقلدوا غيرهم في الاخذ بأسباب التنعم والتلذذ ، وفي مداومة النوم والكسل ، وفي انصراف الشباب الى اللهو والعبث • لقد قال رسول الله (ص) أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل • فالشباب لا ينبغي أن يأخذ نفسه بالدون من الامور ، ولا ينبغي أن يكسل ويهزل والعالم من حوله يجد ويعمل ،والدنيا تتقدم بالجادين وتتأخر بالكسالى المنحرفين الذين لا

يعملون ويريدون من غيرهم أن يعملوا · ان عمر بن الخطاب (رض) يقول : « علموا أولادكم الرماية والعوم ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » · بمثل هذا القول الحكيم نعيد للشباب شبابهم الصحيح ويرجع المنحرفون الى صوابهم، فالرجولة الحقة عمل وكفاح لا تقليد للاجنبي والعربي في ماديا ته التي قد تتناسب مع مجتمعه وقومه، والذين لا يرون فيها غضاضة أبدا ، ولكنها بالنسبة الينا فيها كل الغضاضة وفيها كل الضياع وفيها الانهيار التام لبنائنا الاجتماعي والروحي والنفسى · وفق الله شبابنا للاخذ باسباب العزة والمنعة والقوة والخير وحفظ الله لشبابنا رجولتهم ودلهم على ما يليق بالرجال ·

لعن الرسول (ص) أيضا المتشبهات من النساء بالرجال ، فالمرأة التي تلبس زى الرجال وتجالسهم وتخرج عن طبيعتها كأنثى انما تضر نفسها ضررا بليغا ، لا تعجب الرجل ولا يفكر بالزواج منها ، وانما ينظر اليها بسخرية واحتقار ، لانها أرادت أن تشاركه الرجولة وطبيعتها تأبى ذلك ، وتشاركه في الشكل وشكلها كأنثى يمنع ذلك ، وتشاركه في التصرف وتصرفها هذا لا يليق بها · وهي اذ تفعل ذلك تستحق اللعن من الله ورسوله ومن المجتمع الفاضل · قد يعجب بها بعض الناس لبعض الوقت · يعجب بها من في قلوبهم زيغ وفي نفوسهم مرض ، ولكن الاكثرية من الناس لا تنظر بعين الارتياح الى المرأة المسترجلة·

ان مجتمعنا بحاجة الى أن تكون المرأة امرأة وان

يكون الرجل رجلا ، فلا تجور المرأة على طبيعتها كأنثى تقلد غيرها وتظن أن في ذلك النجاح في الحياة • احترام بعض الناس لها احترام كاذب ، ومجاملتهم لها مرذولة، والنظرة اليها ليس فيها براءة وانما هي موضع للنقدفي كل أحوالها ، وانما هي تسيء الى نفسها دائمـــا • والمجتمع الذى يعيش على هذا المســخ مجتمــع منحــل وفاشل قد نخر فيه سوس الفســاد ، وأنقلبت فيــه الموازين•

والمرأة المسترجلة لا تفكر في انجاب الاولاد ، ولا تعمل على الارتباط بزوج وتكوين أسرة ، وانما يستهويها البريق الكاذب ، وتستهويها الحياة اللاهية العــابثه ، فاذا مر بها الزمن ندمت على تصرفها وعندهـــا لا تجد الرجل الذي يقدم على الزواج منها • هي مشكلة على كل حال سببها البعد عن التقاليد التي نشأنا عليها ، وعن الدين والعقيدة الاسلامية الصحيحة ، وعن طبائع الاشياء • لو ثقفت المرأة المسترجلة الثقافــة الحقيقيــة لما ارتكبت هذا الوزر ، ولو وجه المجتمع أمثالها الوجهة الصحيحة لما خرجت على قوانينه ، ولو رأى الناس هذا المنكر فقاوموه بشدة لما انحل المجتمع أو تفكك ، ولــو لجأنا الى تعاليم السماءوالى قيمناالصحيحةما استرجلت المرأة ولا تخنث الرجل•

يتحدث الرسول عن بعض النساء في حديث لــه فيقول : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النــاس ، ونســاء

كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » . ومعنى الحديث أنه يرى (ص) أن الجمال كل الجمال في استتار المرأة وفي حشمتها ، وأن المرأة التي تستر نفسها هي امرأة فاضلة جديرة بهذا الاسم . أما المرأة التي تكشف ما أمر الله ان يستر لم تشكر نعمة الله ولم تعرف له حقه لانها بظهورها بهذا المظهر تميل عن طاعة الله ، وتكون قدوة سيئة لغيرها.

المرأة المسترجلة قد تستهوى بعض الساذجات فيقلدنها وفي ذلك ما فيه من الاساءة للمجتمع الفاضل، المجتمع الكريم . في كل عصر زى للرجال وللنساء فليتقيد الرجال بزيهم ، ولتلزم النساء حدود أزيائهن حتى يسير المجتمع بسلامة ويسر نحو الاكمل والافضل.

لمن الصداق ؟

يقول الله تعالى : «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فان طِبْنَ لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ».

الصداق حق من حقوق الزوجة على زوجها ، وهو حكم من أحكام عقد الزواج ، وقد شرع على أنه هدية لازمة وعطاء مقرر • بعض الاباء يعتقد أن الصداق من حقه لانه ربى الفتاة وعلمها وأطعمها ، فاذا تزوجت أخذ مهرها وصداقها وأعتبره من حقه ، والقرآن الكريم عبر بأعطاء النساء صدقاتهن نحلة ولم يجعل هذا الصداق من نصيب الوالد أو الولى والا لنص على ذلك • وعبر القرآن الكريم بأن للمرأة الحق في أن تهب هذا الصداق لابيها أو لزوجها • يقول الله تعالى : « فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا»•

والصداق شرع ليكون هدية من الزوج لزوجته لا لابيها ولا لوليها ، وهذه الهدية لازمة من قبل الزوج لزوما متراخيا من غير وكس ولا شطط ، ومن غير عنت ولا اجهاد ، وهو للتقريب بين القلوب ، ومثلنا الاعلى دائما في كل تصرفاتنا الرسول (ص) ، فلقد منع عليا

عليه السلام من الدخول على زوجة فاطمة بنت رسول الله حتى يعطيها شيئا من المهر • لم يأخذ الرسول الصداق وانما أعطاه لابنته • فليتق الآباء الله في بناتهم فليست البنت سلعة تباع وتشترى وليست الفتاة موضعا للمزايدات ، وقد قلنا ان أقلهن مهورا أكثرهن بركة • وانما شرع الزواج من أجل أن يحصن الانسان نفسه ، ومن أجل أن يتمكن من تكوين بيت سعيد وأسرة فاضلة وامة كاملة • وبهذا التعنت من الآباء في مسالة المهور نضيع شبابا وتضيع فتيات ، وأخذ بعض الآباء لمهور بناتهم لا من أجل تجهيزهن ومتطلباتهن وانما من أجل أنفسهم يعطى صورة سيئة للآباء في نظر بناتهن• وقد يتساءل البعض لماذا كان المهر على الزوج دون الزوجة ؟ والجواب على ذلك أن الله قد أعطى القوامة للرجل على المرأة • يقول الله : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »• وقسم الحياة بين الرجل والمرأة • فالرجل للكسب والكدح في خارج البيت والمرأة للبيت وللاولاد • من أجل ذلك كانت التكاليف المالية كلها على الرجل وكان من المناسب أن تكون عليه هدايا الزواج المالية ، فهو يقدم المهر عربونا على المودة وعلامة على البر واظهار الاخلاص•

وبعض الآباء يبيع ابنته بيعا طمعا في الصداق ، ولا يهتم أدنى اهتمام لشعور ابنته ، المهم عنده أن يحصل مبلغا كبيرا ولا ينظر للتكافؤ المرغوب في زواج سعيد ،

ولا ينظر للاصلح لابنته ، وانما ينظر بالعين المادية وحدها ، ومثل هذا الزواج يفشل في مستقبل أيامه لان الاب لم يحسن الاختيار ، وانما اختار طريق الربح والكسب ، وشريعة الاسلام تأبى ذلك · هذا رسول الله (ص) يقول : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه · الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير» · فليتق الله الآباء في بناتهم وفي مجتمعهم ، ولينظروا الى الاسلام وسماحته في تكوين الاسرة السعيدة ·

الحق أحق أن يتبع

عن جابر بن سمرة (رض) قال : « شكا أهل الكوفة سعدا يعني بن أبي وقاص (رض) الى عمر بن الخطاب (رض) » فاستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن الصلاة فارسل اليه فقال يا أبا اسحاق ، ان هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن الصلاة • فقال عمار : أما أنا والله فانى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله (ص) لا أنقص عنها أصلى صلاتى العشاء ، فاركد أى أقوم طويلا في الاوليين وأخف في الاخريين • قال عمر : ذلك الظن بك يا أبا اسحق ، وأرسل معه رجلا أو رجالا الى الكوفة ليسألوا عنه أهل الكوفة ، فلم يدع مسجدا الا سأل عنه ويثنون معروفا حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له اسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة فقال : أما اذ نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية • قال سعد : أما والله لادعون بثلاث : اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن • وكان بعد ذلك اذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون

اصابتني دعوة سعد . قال عبدالملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة فانا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وانه ليتعرض للجوارى في الطرق فيغمزهن . » متفق عليه .

شكاية بالباطل تأتي الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) لا يهملها وانما يحقق فيها ويتحقق منها ، ولا يقضى بعلمه لان القاضى لا يقضى بعلمه . هذه الشكاية تأتى فى صحابيين جليلين فى سعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر . يذكرون في عمار أنه لا يحسن الصلاة ، وما علموا أن عمارا كان من الرعيل الاول ممن أسلم في أول الدعوة وعذب بسببها ، ووعده رسول الله بالجنة مع آله وقال عليه السلام عنه وعن آله : « صبرا آل ياسر ان موعد الجنة » .

تعلم عمار الدين على يد صاحب الرسالة ، وكان يقتدى به في صلاته كلها ، ومع ذلك يتهمه هؤلاء بأنه لا يحسن الصلاة فيتحدث عن صلاته بأنه يطيل في الركعتين الاوليين كم كان يفعل الرسول ، ويخفف في الاخريين كما كان يفعل الرسول أيضا . عند ذلك يؤكد الخليفة رأيه الصالح فيه قائلا له : ذلك الظن بك يا أبا اسحق ، ولو كان يعلم فيه النقص ما ولاه أمور الفتوى ولا جعله اماما عليهم ، ولكن عمر كخليفة وأمير للقوم يسير مع الشكاية الى آخرها حتى يلزم الشاكين الحجة ، وحتى يعلم الناس أن أصحاب محمد كالنجوم تهدى وتضىء الدرب والطريق . وهم يشكون أميرهم سعدا

أيضا فيرسل محققين يحققون في شكواهم ، فيثنى الناس خيرا على سعد ، لكن رجلا منهم يكذب ويتحدث بالباطل عنه فيقول انه لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ، وهى تهم كبيرة في عدالة سعد خال رسول الله ومن السابقين الاولين الذين آمنوا برسول الله في أول دعوته . يتهمه بالانانية وبأنه يدفع الجيش الى الحرب ويتخلى عنه ، وما قامت دعوة محمد الا على أكتاف سعد وعمار وغيرهما من صحابة النبي عليهم الرضوان . ويتهمه بالمحاباة فيعطى ويمنع كما يشاء وكما يدله الهوى ، ويتهمه بفساد الحكم وبأنه لا يعدل فيه . تلك تهم كبيرة وظلم بين ، وما علم هذا الذي ظلمه أنه من العشرة المبشرين بالجنة ومن الذين دعا لهم الرسول (ص) فقال : « اللهم استجب لسعد اذا دعا وامنحه اذا سعى » .

هذه التهم التي وجهت الى سعد ببهتان وبزور جعلته يدعو على القائل ان كان كاذبا مرائيا ان يطيل عمره وأن يطيل فقره وأن يعرضه للفتن ، فاستجيبت فيه الدعوات الثلاث ، فأطال الله عمره مع فقر شديد ، وكان كبير السن ويتعرض للفتيات يغمزهن وذلك مما يسقط مروءة الرجل .

ومن هنا نتعلم أنه لا ينبغى أن يفترى أحد على أحد او يفتئت احد على أحد أو يسيء أحد الناس الى الناس ، فدعوة المظلوم مستجابة ولو كانت من كافر وليس بينها وبين الله حجاب يقول الله لها عز وجل : « وعزتي وجلالى

لانصرنك ولو بعد حين » . والـــذين يسيئون للناس بالباطل لن يتركهم الله ابدا ، وسترد عليهم أفعالهـــم الشنعاء ، والذين يتعرضون للضعفاء والمستمسكين بحبل الله وأولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنـون ، هؤلاء الذين يفترون بالكلمة يقولونها لا يراعون الله فيها ، أو بالوشاية يتحدثون بها لا يظنـــون أنهم محاسبون عليها ولا يتذكرون مع غرورهم أن قبرا مظلما سيضمهم، وأن أعمالهم وحـــدها هى التي تنجيهم من غضب الله وسخطه أو توقعهم في عذاب بئيس .

ما أحقر الانسان الذي يشى بالناس ، ويحـــاول بالوشاية والدس أن يرتفع لا بقيمة فيه وانما بالضعف والذلة والمهانة والحقارة يبيع نفسه للشيطان ، يرائـى والله يكشف دائما المرائين ، وينافق ونحن نعلم ان القرآن الكريم يقول : « ان المنافقين في الـدرك الاسفل من النار ولن تجـــد لهم نصيرا » . وبعض هؤلاء يدعى الصلاح والتقوى والورع ، وبعضهم يتحدث بأسم الدين ، وما أسرع الآيات في حديثه ، وما أعظم ما يحفظه من كلام رسول الله وهو يحمل بين جنبيه قلب سفاك الدماء لانه يسفك بالباطل كرامة النـــاس ويقول الزور عليهم . الله مطلع على القـــلوب وعلى النفوس والله يقـــول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومو يعمل مثقـال ذرة شرا يـــره » .

ما أحوجنا الى أن ننظر لدعاء سعد بن أبي وقاص على ذلك الذي راءى واتحدث بالكذب فى حقه ، وما أحوج

الظالمين الضالين الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور أن ينظروا الى العبر ، فان لم ينظروا اليهـا فلن يفلتوا أبدا من غضب الله ولا من احتقار الناس ولا من كشف زورهم ، وبهتانهم وضلالاتهم ٠

كنتم خير أمة أخرجت للناس

يقول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ·

ان الاسلام جاء من أجل ايجاد المجتمع الفاضل والمجتمع الفاضل لن يوجد الا اذا وجد الرأي العام الفاضل الذى يتعاون على الخير ويدفع الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تقوم الفضيلة وتكون عنوانا على الحياة حياة المسلمين ، وحتى تختفى الرذيلة ولا تظهر بين صفوف المسلمين ·

والرأى العام الفاضل الذى يريده الاسلام يبدأ من الفرد أولا · فالفرد ينبغى أن يكون له وازع من نفسه يراقب الله فى كل أعماله ، ويحس بأن من يعلم السر وأخفى معه فى كل لحظة من لحظاته · ومن هنا يقول (ص) : من لم يكن عنده ورع يحجزه من معاصى الله اذا خلا لا يعبأ الله به ·

واذا وجد الافراد الصالحون تكون المجتمع الفاضل ولهذا المجتمع من الشجاعة ما يجعل الشر يختفى ولا يعلن ويجعل الاشرار لا يستطيعون اظهار شرهم ولا حتى

الاعلان عنه · من أجل هذا استمر الرسول يربى هذا الجيل العظيم فى مكة زهاء ثلاثة عشر عاما ، فلما تكون ظهر على الشرك وعلى عوامل الفساد ، وكان الرسول عليه السلام هو القدوة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بالامر المعروف بعمله ، وبالنهي عنالمنكر بالامتناع عنه · اقتدى الناس بحبيبهم محمد عليه السلام ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكان الامر بالمعروف عنوانا على المسلمين ، والنهي عن المنكر تعلو به هذه الامة التي أساسها الاخلاق وأساسها السجايا النبيلة التي تتميز بها الانسانية الفاضلة ·

اذا تخلت أمة من الامم عن الخير ، وتخلت عن تكوين الرأى العام الفاضل ضربها الله بالشر وبالانحلال والتفكك ، وما كان نجاح العقيدة الاسلامية الا بالاخلاق التى أرسى قواعدها محمد بن عبدالله ·

ان المجتمع الذى يتخلى عن الفضيلة ويسكت على الرذيلة ويؤيدها مجتمع آثم ملعون مجتمع قد وضع اللبنة الاولى في سبيل خرابه وتحلله وتفرقه · والمثل على ذلك القرآن الكريم يتحدث عن بني اسرائيل فيقول سبحانه « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم · ذلك بما عصوا وكانوا ويعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه · لبئس ما كانوا يفعلون » · فبعصيان بني اسرائيل وبمجاوزتهم حدود البشرية الفاضلة انسلخوا عن انسانيتهم واستحقوا

اللعنة على لسان داود وعيسى بن مريم ، وبسكوتهم على المنكر وعدم تناهيهم عنه انتشر فيهم الفسوق وانتشرت بينهم العادات السيئة فلا محافظة على شرف أو عرض ، وانما هدفهم مادى بحت ولو باعوا العرض والشرف .

من أجل ذلك يحرص الرسول على ايجاد رأى عام مهذب يقوم عليه مجتمع فاضل كريم ، واذا لم تتضافر الجهود المسلمة فلن يغير الله من حالها . صدق الله العظيم اذ يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

والسكوت عن الرذيلة اشتراك فيها ، وعدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يسمح للرذيلة ان تستشرى ، ولقد ضرب الرسول (ص) لذلك مثلا قال : « مثل المدهن في حقوق الله (أي الذي لا يقيم الحق ولا يخذل الباطل ملقا أو تهاونا أو مجاملة) مثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم فى اسفلها وبعضهم فى أعلاها فكان الذى فى اسفلها يمر بالماء على الذى في اعلاها فتأذوا به ، فأخذ فأسا فجعل ينقر اسفل السفينة فأتوه فقالوا : ما لك ؟ قال : تأذيتم ولا بد لى من الماء ، فان أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » . كذلك الشأن بالمجتمع اذا تهاون مع الافراد الفاسدين وتركهم مع فسادهم يعيثون في الارض ويعبثون فيها أهلك الفاسدون المجتمع وأشاعوا فيه الانحلال ، وركزوا فى أمتهم الآفات الفكرية

والاجتماعية والخلقية وضاع المجتمع وضاعت الامة معه . لذلك يريد الاسلام من المسلم الفاهم أن يعلم غيره وأن ينصح بلـــين وبلطف وأن يركز على الفضيلة حتى يفي الناس الشر وحتي يشعروا بالخير .

العالم عليه عبء والاستاذ في مدرسته عليه عبء أيضا ، والذين يتصدرون الحياة الفكرية عليهم عـبء كبير ، وعالم الدين مسئول عن اخوانـه في العقيـــدة يوضح لهـم حتى لا يضيعوا في خضـــم الافكار وحتى لا يكون الفساد هو الاساس . صدق أمير المؤمنين عـلى (كرم الله وجهه) عندما يقول هذه الحكمة الخالـدة : « لا يسأل الجهلاء لم لم يتعلموا حتى يسأل العلماء لم لم يعلموا » . فالمسئولية على المثقفين بالدرجة الاولى على الواعين من المسلمين ، على كل أب وأم وأخ كبير ، عـلى الاخت الكبيرة تجاه أخوتها الصغار ، على كل مسـلم يؤمن بالله ورسوله وبالمجتمع الافضل مجتمع المسلمين . ان أمة الاسلام بخير ما تضافرت جهودها في ســـبيل هذا المجتمع المنشود . صدق رسول الله (ص) اذ يقول : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق اطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض » أي تتفرق القلوب وبذلك ينحل البناء الاجتماعي .

اننا بحاجة دائمة الى التذكير (فذكر ان نفعـت

الذكرى) وبحاجة الى التوجيه حتى لا يضل المجتمع ويشرد ، وبحاجة الى التثقيف حتى نرتفع بانسانيتنا الى السموات العلى ، وبحاجة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى ينصلح مجتمعنا ويتقدم .

خـذ العفو

يقول الله تعالى : « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » .

هذه آية جامعة لمكارم الاخلاق تأمر الرسول بالعفو وترك المؤاخذة من قول أو فعل . هذا اعرابي يأتي رسول الله (ص) يطلب رفده وعطاءه ، ولكنه لا يطلبه بأدب وانما يقول : اعطنى يا محمد فانك لا تعطينى من مالك ولا من مال أبيك » . ويجذبه من بردته الغليظة فتؤثر في جسده الشريف ، فيقول الرسول (ص) : « أعطيك ولكن يقاد منك أى اقتص منك ، اجذبك كما جذبتني فيقول الاعرابي : « لا » فيقول الرسول : « ولماذا ؟ » فيرد الاعرابي قائلا : « لانك يا محمد لا تجزى السيئة بالسيئة ولكنك تجزى السيئة بالحسنة » ، فيظهر البشر في وجه الرسول ويعطيه عطاء من لا يخشى الفقر .

خلق كريم من الرسول الاعظم (ص) . يعرف خشونة هذا الاعرابي ، ويعرف طريقته الغليظة فى المعاملة ، ويعرف ما هو عليه من البداوة فيعامله بلطف

وبلين حتى يجذبه الى ناحية الخير ويرقق من بداوته . والانسان فيه ضعف وفيه ميل للشدة والعنف ، ومن كرسول الله يداوى هذا الضعف ؟ ومن كرسول الله يعرف علاجات النفوس ؟! والانسان الفاضل يكسب بالعفو اكثر مما يكسب بالشدة والقسوة والعنف .

وهذا آخر يجد الرسول (ص) نائما في ظل شجرة ، فيضع ذبابة سيفه في رقبة الرسول ويقول وهو يكاد يتكىء عليها يريد قتل رسول الله : « من يمنعك منى يا محمد ؟ » ويجيبه الرسول بثبات عظيم : « الله تعالى » . فيقع السيف من يد الرجل فيأخذه الرسول (ص) ويقف هذا الموقف من الرجل ويقول له : « من يمنعك مني ؟ » فيرد الرجل قائلا : « لا أحد غير أني لا أكون مع قوم يقاتلونك ابدا » . فيعفو الرسول عنه ويذهب الرجل الى قومه يقول لهم : « جئتكم من عند خير الناس » . ولقد عفا الرسول عن جماعة من الاسرى في غزوة بدر ، ذلك لانه يرى فيهم الفقر والضعف والمسكنة . وقديما قيل :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

ولقد حارب المشركون الرسول حربا لا هوادة فيها، ارادوا بذلك اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون . وعذبوا أصحابه ، بل نالوا حتى من النساء المسلمات ، فهذا هبار بن الاسود تعرض

للسيدة زينب بنت رسول الله ونخس جملها فوقعت من فوقه وكانت حاملا فأجهضت ، وسافرت من مكة الى المدينة وهى تنزف من أثر الاجهاض وأثر في صحتها (رض) عنها حتى توفيت . وليس من خلق العربي الاصيل التعرض للنساء ، وليس من الاخلاق أن تروع الآمنة ، واذا كان هناك عداء فليكن بين الرجل والرجل ، أما أن ينتقم من امرأة لانها ابنة هذا الرجل فليس ذلك من المروءة في شيء ، ولذلك أمر الرسول بقتله ولو تعلق بأستار الكعبة وأهدر دمه في فتح مكة . ولكن هبارا يأتي فيعلن اسلامه فيعفو عنه عليه السلام ويقول له كما قال لغيره من قبل : « لقد عصم الاسلام دمك منى » . نسى الرسول القوى في فترة انتصاره الانتقام ونسى الاساءة وذكر شيئا واحدا . ان الاسلام يجب ما قبله ، ويضرب صفحا عن الماضى .

وفي فتح مكة بعد أن طاف بالبيت وصلى شاكرا الله ، وقف أمام أهل مكة وقال لهم : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : « خيرا . اخ كريم وابن اخ كريم » ، فقال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء . أقول لكم كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » . عفو عند المقدرة ومراعاة للضعف البشرى ، ولجوء للجانب الخير في الانسان . موقفه من اعدائه يجعلهم ينقلبون من النقيض الى النقيض من الكراهية الشديدة الى المحبة الشديدة الى افتداء هذه

العقيدة بالنفس والنفيس . والكتاب الكريم يقول لـه ولنـا : « فاصفح الصفح الجميل » . ولقـد كان من أقوال رسول الله (ص) فيما يتحدث به : « وان أعفـو عمن ظلمني » ، والعفو هو طريق المغفرة ، ولرضاء الله يقول الله « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

والعفو أيضا طريق للاحسان والله يحب المحسنين. اقرءوا قول الله تعالى : « والعافين عند الناس والله يحب المحسنين » . ومع العفو يكون الصبر ويكون الغفـران وذلك من عزم الامور . يقول تعالى : « ولمن صبر وغفر أن ذلك لمن عزم الامور » .

يحكى رسول الله (ص) لاصحابه يوما قصة نبـي من أنبياء الله ضربه قومه فأدموه ، فأخذ يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم أغفر لقومي فانهم لا يعلمون » . فالانبياء هم أكثر الناس صمودا ، وهم أعرف النـاس بالضعف البشرى ، والرجال الاقوياء من البشر لاينتقمون، ولا يعرف الغل الطريق الى نفوسهم ، لا يحقدون وانما يحسنون ويتسامون يملكون أنفسهم ولا يغضبون . صدق رسول الله (ص) اذ يقول : « ليس الشـديد بالصرعة ، انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » أي ليس الرجل الشديد من يستطيع أن يصرع الناس ويتغلب عليهم بقوة بدنه انما الشديد هو الذى يمـلك

نفسه ولا يسمح لها أن تفعل شيئا يسقطها أو يجعلها تـزل .

ان الشيطان ينزغ بين الناس حتى يقعوا في بعضهم البعض ، وحتى تكون الشحناء والبغضاء والكراهيـة ، وحتى ينحطوا بانسانيتهم وبمثاليتهم ، فهل نستجيب له أم نستجيب لهذه الآية الشريفة ونطبقها في حياتنا ، ونجعلها دائما نصب أعيننا « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزع بينهـم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » .

الاخلاق الحسنة أساس

يقول الله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » ٠

ان اساس ديننا الاخلاق الحسنة ٠ وانما بعث رسول الله (ص) لكى يتمم مكارم الاخلاق يقول : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ٠ وما الصلوات التى التى نصليها في اليوم والليلة خمس مرات الا عامل في ربطنا بربنا برباط الطاعة والخشوع والخضوع ، فاذا ارتبطنا بالله تمكنت الاخلاق الحسنة منا : « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون » ٠ فاذا داوم الانسان على الصلاة والعبادة ، ولم تهده صلاته الى البر والخير والحق ، وكان في معاملاته سيئا ، وفي تصرفاته كريها لم تنفعه الصلاة لانه أداها رياء وسمعة ولم يؤد لها حقها ٠ يقول الرسول (ص) « من لم يكن عنده ورع يحجزه عن معاصى الله اذا خلا لا يعبأ الله به » ٠ ويقول عليه السلام ما معناه : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر والتعب » ٠

ولقد كان رسولنا الاعظم (ص) قدوة يقتدى به يحافظ على شعور الناس وأحاسيسهم ، ويعطيهم من نفسه اخلاقا نورانية تضيء درب الحياة . يتحدث عنه خادمه أنس بن مالك والخادم أقرب الناس الى من يخدمهم يقول : « ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله (ص) ، ولقد خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء تركته لم تركته » .

لا يسيء الرسول الى خادمه أبدا ، ولا الى أحد . يأتي اليه رجل بهدية يدفع بها اليه فيردها وكانت حمارا وحشيا ، فيظهر الألم في وجه الرجل ، فيبين له الرسول لماذا رده قائلا : « انا لم نرده عليك الا لأنا حرم » . لم يقبل من الرجل الهدية لهذا السبب . أفهمه وطيب خاطره وراعى شعوره . وبعضنا يسيء الى الناس بالكلم القارص أو بالتصرف الاخرق أو بالكلمة يحمر لها وجه سامعها ، أو يستغل بعضنا حلم الحليم والادب الذي ينبغي أن يتحلى به الرجل الفاضل ، يستغله وهو يعتقد في صاحبه الضعف أو الجبن وما به من ضعف ولا من جبن ، انما الاخلاق الحسنة تمنعه أن يورد نفسه موارد السفهاء ، وانما الاخلاق الكريمة تمنعه من أن يتصرف تصرف السوقة وسفلة القوم ، والذين لم يهذبهم علم ولا دين ، يتحدث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما فيقول : « لم يكن رسول الله (ص) فاحشا ولا متفحشا ، وكان

يقول : « ان من خياركم أحسنكم أخلاقا » . ويروى أبو الدرداء (رض) أن النبي عليه السلام يقول : « ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وان الله يبغض الفاحش البذيء » ، والبذيء هو من يتكلم بالفحش وردىء الكلام .

وحسن الخلق تصرف حسن مع الاهل والولد . وحسن الخلق معاملة كريمة للصديق والزميل . وحسن الخلق رجولة حقة يتحلى بها من يريد الله له الخير ، ويريد الله له الثقل في الميزان يوم الجزاء . وليس من حسن الخلق أن يتظاهر الانسان بالتقوى وهو منها براء ، أو يلوك الآيات وهو بعيد عن معناها ومغزاها ، ويؤدي الفرائض ويعمل بخلافها . هذه امرأة تذكر أمام رسول الله بكثرة صيامها وقيامها وصلاتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فيقول عليه السلام : « لا خير فيها انها من أهل النار » ، وهذه امرأة أخرى تصوم فرضها وتصلى وقتها غير أنها تتصدق بفتات الجبن فيقول عنها عليه السلام : « فيها كل الخير . انها من أهل الجنة » .

الاخلاق سلوك طيب ، والدين ما جاء الا ليقوم السلوك ويحسن الاخلاق وليجعل الناس جميعا يعيشون بسعادة وأمن لا يخافون من الوشاية الكاذبة ، ولا يخشون العوج النفسي الذي تتصف به بعض النفوس المظلمة التي تحمل الحقد للناس بدون سبب ظاهر . لو سألت أحدهم لماذا يسيء الى فلان قال أكرهه ولم يبين سببا واحدا لكراهيته ، لا يكرهه لسوء فيه ، وانما يشعر بضعفه

أمامه وبفقره النفسي في مواجهته . من أجل ذلك يدير له ظهر المجن ، ويحاول بالباطل أن ينال منه ، والله مطلع لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .

ومن سنة الله في هؤلاء أنهم ينكشفون ويعريهم الله باخلاقهم السقيمة ، ويظهر أمراضهم النفسية للناس فلا يأبهون لهم ويتجنبونهم فكأنهم عورات انسانية أو كأنهم أمراض معدية يفر منها الناس كما يفر السليم من الاجرب. ولقد سئل رسول الله (ص) عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تقوى الله وحسن الخلق ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « الفم والفرج » .

ان تقوى الله هي مراعاته في كل ما نأخذ وما ندع . وأن نضع أنفسنا مواضع هؤلاء الذين نسيء اليهم فهل نرضى ؟ هل يرضى أحدنا أن يكون هدفا لكذب أو لوشاية .

وتقوى الله تدفعنا دفعا للتخلص من أوضار النفوس وأسقامها . تدفعنا لاخذ النفس أخذا الى الاخلاق الحسنة ، والتصرفات الكريمة النبيلة . اننا بحسن الاخلاق يكمل منا الايمان وندرك به درجة الصائم والقائم. وبسوء الاخلاق والتصرفات تضيع درجات كثيرة عند الله . لقد ضمن الله بيتا في أعلا الجنة لمن حسن خلقه .

والمقياس الصحيح لكل عمل من الاعمال وتصرف من التصرفات هو مراعاة الله تعالى في السر والعلن والرضا والغضب . روي أن عبدالرحمن القس التقى يوما بسلامة وكان يحبها حبا جما مولها بها وكانت تحبه حبا جما ،

فقالت له : « ما يمنعك من تقبيلي ؟ » رد عليها بايمان عميق : « ألم تسمعي قوله تعالى ؟ « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » . أخشى أن أقبلك فأكون عدو الله يوم القيامة » . تصرف هذا الرجل بمقياس التقوى والمراقبة ولم يستكن الى ضعفه البشري . وكذلك المسلم الحق ينبغي أن يقوى على نفسه وأن يرتفع عليها وأن يخضعها لتعاليم الله ورسوله .

روي عن جابر (رض) قال : قال رسول الله (ص) : «ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وان أبغضكم الي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون ـ والثرثار هو الذي يكثر من الكلام تكلفا ـ والمتشدقون ـ والمتشدق هو المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه ـ والمتفيقهون ـ والمتفيهق المتكبر الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرا وارتفاعا واظهارا للفضيلة على غيره . »

مطابقة العمل للقول

يقول الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ٠

المجتمع بحاجة الى المخلصين الذين يقولون ويفعلون ما يقولون ، والذين لا يتخذون الدين تجارة والعلم بضاعة ، والذين يسيرون على هدى الله ورسوله ٠ واذا ابتلى المجتمع بالذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم وبالذين يقرءون كتاب الله لا تجاوز قراءتهم حلاقيمهم شاع فيه النفاق ، وتشكك الناس في قيم الاشياء ، ونظروا الى أئمتهم ومرشديهم بسخرية ما بعدها سخرية ٠ لذلك حرص الرسول عليه السلام على أن يكون قوله مطابقا لفعله ، وعمله جزء من شخصيته ٠ لم يكن يتكلم كثيرا وانما كان يفعل كثيرا ٠ كلماته معدودة وأعماله أكثر من كلماته والناس بعد ذلك يقتدون به ٠

عندما أمر الناس بالتحلل من احرامهم في صلح الحديبية وامتنع الناس لتعلقهم الشديد بدخول مكة وبالطواف بالبيت الحرام ، ودخل على زوجته السيدة أم سلمة حزينا لانهم لم يستمعوا اليه ، أشارت عليه تلك الزوجة الفاضلة أن يأمر حلاقه بحلق رأسه وبذلك

يتحلل أمامهم جميعا من احرامه . ولما رأوه عليه السلام يفعل ذلك هووا جميعا الى رءوسهم يحلقونها واقتدوا به وتحللوا من احرامهم « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » . ولقد كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) يقول لآله اني مصدر من الغد أمرا فوالله لو خالفه أحدكم لضاعفت له العقوبة .

وفي عام الرمادة عندما اشتد الامر بالمسلمين وحدثت تلك المجاعة الطاحنة امتنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن تناول الدهن في طعامه ، فاسود بطنه وصار يقرقر فقال لبطنه : قرقري أو لا تقرقري فلن تأكلي الدهن حتى يأكله سائر المسلمين . ووقف مرة يخطب في الناس فقال : أيها الناس اسمعوا وأطيعوا . فقام اليه رجل وقال والله لن نسمع والله لن نطيع ، فسأله عمر : لماذا لا تسمع ولماذا لا تطيع ؟ فرد الرجل : جاءتك أثواب من اليمن فوزعت على كل واحد منا ثوبا ثوبا وعليك ثوبان . فقال عمر : أيها الناس . أفيكم عبدالله بن عمر ؟ فقام عبدالله بن عمر وقال : بلى . فقال عمر : الثوب الزائد الذي علي لمن يكون ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أعطيتك ثوبي لتكمل به ثوبك . فقال الرجل : الآن نسمع والآن نطيع .

اطمأن الرجل الى عدالة حاكمة وانه يقول ويفعل لا يتميز عليهم بأي ميزة ،ولا يأمرهم بشيء ويعمل بخلافه.

تلك سنة الذين أشربت نفوسهم بهدى الله وهدى رسوله العظيم ·

ان من أخلاق اليهود الذين حرفوا الكتاب وبدلوه أنهم يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه ، ويحثون على البر ولا يعملونه وينافقون الناس والله مطلع على أحوالهم ، ويفسدون والله لا يحب المفسدين ، وان من أخلاق انبياء الله ورسله أنهم يقولون ويفعلون ولا يخالفون ما يرشدون اليه · وصدق الله اذ يقول اخبارا عن نبي الله شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت » ·

لقد كان رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول اذ لقى أصحاب رسول الله رحب بهم وقال في وجوههم كلاما طيبا ، فاذا انصرفوا عنه قال لاصحابه من المنافقين انه يستهزيء بهم ويسخر ، فنزلت فيه وفي أمثاله الآية الكريمة : « اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون · أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » ·

لا ينبغي للرجل الكامل أن يكون ضعيفا · والاخلاق القوية تقتضي أن يكون ظاهر الانسان كباطنه وتصرفاته تتميز بالرجولة لا بالغسولة والانحطاط · من يقول قولا يحسب عليه وهو مسئول عنه أمام الله يوم لا ينفع مال ولا

بنون الا من أتى الله بقلب سليم » . من أجل ذلك حارب الاسلام كل ما يحط الرجل ويزرى به ، وحارب الاسلام القول بلا عمل .

هؤلاء جماعه من المسلمين يقولون لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فدلهم الله على أحب الاعمال اليه فقال سبحانه : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » .

فابتلوا يوما بذلك فولوا مدبرين ، فأنزل الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

لقد وعدوا ولم يفوا بوعودهم ، فما بالكم بالذى يكذب على الله ورسوله من أجل غرض حقير من أغراض الدنيا الفانية ، وما بالكم بمن يبيع دينه وشرفه من أجل دريهمات لا يقمن الأود . ما بالكم بالذى يفسد عقول الناس بترهاته وأكاذيبه يود السمعة ومن سَمَّع سمع الله به ، ما بالكم بمن لا يصدق في عمله ولا يطابق قوله فعله .

ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم السوء الذى يأمر ولا يأتي بأمره ، وينهي عن المنكر ويأتيه . يقول رسول الله (ص) : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : بلى . كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه :

الاب قدوة لابنائه • يفقد احترامه اذا عمل بغير ما يقول ، والاستاذ امام لتلاميذه ينظرون اليه باحترام ان صدق قولا وعملا ، والزميل والصديق مرآة لزميله وصديقه فلنتق الله في أقوالنا وأفعالنا لننال رضاء ربنا •

اسرارنا وديعة غالية

يقول رسول الله (ص) : « ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى المرأة وتفضى اليه ثم ينشر سرها » ٠

ان الحياة الفاضلة تقوم على الثقة التامة بين الزوج وزوجه ، وبين الاخ وأخيه وبين الصديق وصديقه وبين الوالد وما ولد ، وبين المجتمع كله ٠ والانسان بحاجة الى التنفيس عن نفسه بكلمة يقولها لصديقه يُسر اليه بها وعلى الصديق ان يصون هذا السر ولا يذيعه ، ولا يجعل أسرار صديقه موضعا للحديث بين الناس ٠ والمرأة التى لا تحتفظ بسر زوجها امرأة غير جديرة بهذا الزوج لانها تسيء الى العشرة الزوجية برضاها ٠ كثيرا ما يلاقي الزوج في حياته عنتا ومشقة ، ويأتي الى بيته يتحدث الى زوجته بما رأى ، ويفضى اليها بمتاعبه ليجد عندها بلسما لألمه وكلمة رقيقة حانية تراب بها صدع الحياة ، وتجعل الحياة بالنسبة اليه مشرقة ٠ أليست زوجته والله قد جعلها سكنا له « هو الذى خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ٠

الزوجة العاقلة هي من تفعل هذا ، وتحافظ على سر زوجها ، ولا تتحدث بذلك لا مع أهلها ولا مع صديقاتها وأقربائها ، فاذا ما احتفظت بسره ازدادت الألفة والمحبة بينهما وعاشا في سعادة ووئام وخير عميم ، واستقامت لهما الحياة استقامة كريمة . ولقد يتحدث أشرار الناس من الرجال بما أفضت به زوجتهم اليهم من علاقات شأنها السر، واذاعتها تسقط منزلة المتحدث بها عند الله يقوم القيامة . ذلك ما ينهي عنه الحديث الشريف الذى يقوله (ص) : « ان من أشد الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى المرأة وتفضي اليه ثم ينشر سرها » .

التجارة أسرار وقد يعمل العامل في متجر فيذيع أسرار التجارة فيفشل التاجر بسبب هذه الاذاعة .والامين على سر يذيعه هو خائن يضر من أئمته ويفقد ثقة الناس به. والجندي يفخر بمعلوماته عن عمله فيفشى أسرار معسكره في جلسة على مقهى أو ما يشابه ذلك يضر بذلك وطنه أبلغ الضرر ، والابن يفشي سر أبيه يتسبب في تقويض سعادة الاسرة . كل أولئك كان سيئه عند ربك مكروها .

يروى ثابت عن أنس بن مالك (رض) قال : أتى على رسول الله وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي ، فلما جئت قالت ما حسبك ؟ قلت بعثني رسول الله لحاجة . قالت وما حاجته ؟ قلت انها سر قالت : لا تخبرن بسر رسول الله أحدا . قال أنس : والله لو حدثت به أحدا لحدثتك به يا ثابت . هذا طفل صغير يشعر بمسئوليته تجاه رسوله العظيم ، لا يخبر أحدا

بالحاجة التي أرسله رسول الله (ص) فيها لا يحدث أمه فتفرح به أمه وتشجعه على أن يحافظ على سر رسول الله · ويكبر هذا الطفل ويتحدث الى صديق له أنه ما زال يحفظ سرا لرسول لله ثم يقول : والله ما حدثت به أحدا قط ،ولو تحدثت لحدثتك به يا ثابت · خلق كريم لو ربينا عليه أطفالنا لحافظنا على خير كثير ·

وتأيمت حفصة بنت عمر (رض) فلقى عمر عثمان وعرض عليه حفصة ، فلبث أياما ثم قال لعمر : قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا ، ثم لقى عمر أبا بكر فعرض عليه حفصة فصمت أبو بكر (رض) ولم يجبه · يقول عمر بن الخطاب : فكنت عليه أوجد منى على عثمان · ثم خطبها النبي (ص) وتزوجها · ولما لقى أبو بكر عمر قال : لقد ذكرها الرسول وما كنت لأفشى سر رسول الله (ص) ولو تركها النبي لقبلتها · هذا مثل للصاحب مع صاحبه يأتمنه على سر فلا يذيعه ويحافظ عليه كما رأينا من حديث السيدة حفصة أم المؤمنين (رض) ·

هذه بنت رسول الله (ص) تدخل عليه في مرضه الاخير فيسر اليها بحديث فتبكي ، ثم يسر اليها بحديث آخر فتضحك ، فتسألها احدى زوجاته عن سبب بكائها وضحكها وعن السر الذى منحه لها ، فتقول ما كنت لأفشى على رسول الله سره ، فلما توفى عليه السلام وألحّت عليها هذه الزوجة قالت فاطمة (رض) : « أما الآن فنعم » لقد أخبرني في الاولى أنه سينتقل الى الرفيق الأعلى وقال لي أتقى الله واصبري فانه نعم السلف أنالك » فبكيت بكائي

الذى رأيت ، فلما رأى جزعي سارني بالثانية وقال يـا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المسلمين أو سيدة نساء هذه الامة · فضحكت ضحكي الذي رأيت ·

هكذا تحافظ بنت رسول الله (ص) على سره · وهذا مثل ينبغي أن نضعه موضع الاعتبار وأن نطبقه في حياتنا من أجل سعادتنا وراحتنا · نحن بحاجة الى المحافظة على الأسرار ، أسرار البيوت الرجل والمرأة · العامل في المتجر والمعمل · الموظف في وظيفته · الجندي من أجل سلامـــة نفسه وأخوانه ومن أجل بقاء لامة بأسرها والحفاظ عـلى بقائها وعزتها · في المحافظة على الاسرار حياتنا وثقة الناس بنا ورضا الله علينا ·

وكذلك أخذ ربك

يقول الله تعالى : « وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم شديد ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها شهيق وزفير» .

ان الله بيّن للناس طريق الرشد والصلاح ، وبيّن لهم طريق الهاوية والضلال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين كي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وما جاء به رسل الله جميعا من أجل البشرية جمعاء كي تسعد في هذه الحياة ، وكي تسير الحياة الى أفضل رسم طرق العدل والحق ومنع الناس من ظلم بعضهم حتى لا تفسد الحياة وتسير الى فوضى . ولكن الطبيعة البشرية فيها ظلم وفيها اجحاف بحقوق الآخرين ، وفيها بعد عن الحق والعدل ، وفيها طمع وجشع . وبالرغم من كتب الله ورسله فما زال البشر

يظلمون ولا يعدلون ، وما زالت البشرية بحاجة دائما الى من يذكرها ويبين لها طريق الحق والنور ، وطريق الخير والفلاح • وسنة الله لا تتخلف في الافراد ولا في الجماعات فاذا ظلموا أخذهم بعذاب يئيس ، واذا استقاموا انـــزل عليهم الخير العميم ، وفتح لهم أبواب رحمته • تلك سنة الله ولن تتخلف سنة الله أبدا من أجل قوم من الاجناس أو شعب من الشعوب •

وبطش ربنا شديد يمهل ولا يهمل « ان بطش ربك لشديد » وقد خوفنا وحذرنا « ويحذركم الله نفسه » • فالذين يسيئون يمد لهـم في الحبل حتى يلتف حـول أعناقهم لايستطيعون منه فكاكا ، يمد لهم في الأمل وتغرهم الحياة ويغرهم بالله الغرور فيزدادوا ظلما الى ظلمهم وبغيا الى بغيهم وفسادا على فسادهم ، لا يرتد عون حتى يأخذهم غضب الله بأعمالهم ، وحتى يزوروا القبور ، ويُهال عليهم التراب وعندها يصيح الخاطيء رب ارجعون لعلى أعمـل صالحا فيما تركت • ولكن هيهات لقد ضاعت الفرصـــة وحق العذاب •

هناك أشياء لا بد أن تكون نصب أعيننا حتى نلقى الله بقلب سليم ، يحددها حديث رسول الله (ص) : « لا تزول قدما عبد يوم القيـامة حتى يسأل عن عمره فيـم أفناه • وعن علمه فيما فعل فيه ، وعن ماله من أيـــن اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه ، فان كان أفنى عمره فيما لا يفيد ، وشغل نفسه بالخلق عن الخالق ، وضيع عمره في القيل والقال ، أو لم يحترم الحياة الغالية

التي وهبها الله اياه فسكر وعربد وارتكب الموبقـــات ، وأساء الى الناس بالوشاية وخالق الناس بخلق سيء ، وعاش بأنانية لا يعرف الخير الا لنفسه ، ويرى أنه الجدير بالخير وما سواه همل لا يأبه له ولا يهتم بأمره ، ما كان مع الجماعة ولا في خيرها ، وانما تقوقع في نفسهلا يستجيب لهدى الله ورسوله ، ولا يعمل الخير الا رياء ونفاقا وسمعة. ان كان كذلك فقد أضاع عمره وبدل نعمة الله كفرا وأحل نفسه دار البوار .

وان كان عالما فأكل بعلمه السُحت وسخّر علمه من أجل المادة يكسبها ، أو من أجل خدمة السفلة ، أو من أجل افساد البشرية ، و اتخذ العلم وسيلة لمداراة نفسه الخبيثة المظلمة يظهر للناس التقى وقلبه من التقى براء . ويتظاهر بالورع وبينه وبين الورع مسافات ومسافات . قد اضاع عمره وبدل نعمة الله كفـراً وأحل نفســه دار البوار .

وان كان صاحب مال فلم يراع الله في ماله . لـــم يعطف على اليتامى والمساكين والارامل والمحتاجين . لـم يشعر بحق الناس فى ماله ولا بحق الله فيه ، وقال كما قال قارون من قبل «انما أوتيته على علم عندى » . كان المال بالنسبة له مكاوٍ يكوى بها في نار جهنم لانه لم يعـرف للانسانية حقها ، ولم يشعر بشعورها ويخل بما آتاه الله من فضله فصعّر خده للناس ومشى في الارض بكبر وعتوّ . سخّر ماله للنيل من الناس واشعارهم بالهوان وبأنهم دونه ، وقد ينفق أحدهم على ملاذه وشهواته الكثير ، ولا

يسمح لجاره الفقير بلقمة يتبلغ بها بينما المال لله وهو يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب . والغنى مستخلف في ماله. والجميع يأتون الى الله لاينفعهم مال ولا ولد وانما ينفعهم عند ربهم ما قدموه لانفسهم من الاعمال الصالحات ، وما بذلوا لله وفي سبيله . الكيّس من فطن الى هذا ، والسيء من تغافل عن هذا والكل مسئول أمام الله ، ولن يغادر أحد الى جنة أو نار الا اذا سُئل عن العمر والعلم والمال . وصاحب المال مسكين ذلك لانه يُسئل عن مصدر ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؛ فالتماس الحلال أساس ،والانفاق من حلال أساس آخر ، والخير في الحلال دائما .

أجسامنا هبات من الله العلي الكريم . فهل حافظنا عليها بالطاقة ؟ الجسم يفنى بالفساد ويضيع بالعصيان. والذين يسيئون الى هبة الله ومنحته يسيئون الى انفسهم والى آخرتهم . هذا الذي يعربد أو يفسق أو يحسد أو يحقد انما على حساب صحته ، وبعمله هذا يدمر جسمه . لم يتفان في طاعة الله وانما تفانى من معصيته ، فاضاع مثوبته في الدنيا وأجره في الاخرة . ولقد قرأ رسول الله (ص) قوله تعالى : « يومئذ تحدث أخبارها » . ثم قال : « أتدرون ما أخبارها » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « فان اخبارها أن تشهد أي الارض على كل عبد أو امةٍ بما عمل على ظهرها وتقول : عملت كذا وكذا من يوم كذا فهذه اخبارها » .

فلنتق الله في أعمالنا وأعمارنا ، ولنعمل ليوم لا ريب فيه ، ولنتخذ للاخرة عدتها ، ولنحافظ على أوامر

الله ونواهيه ، ولنتذكر قول الله عز وجل : « ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلـــك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجـــل معدود » . لنتذكر الفرار من الاهل والولد يوم القيامة « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكـــل امرىء مهتم يومئذ شأن يغنيه » .

المحن تصنع الرجال

ومن الناس من بعيد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة • ذلك هو الخسران المبين » •

تمر بالناس المحن وهم بين رجلين : رجل يستكين ويضع يده على خده باكيا نادباً حظه متألما لما حدث له ، ورجل اخر ينظر لما مرّ به مفلسفا له مراجعا يتعرف الى الاخطاء ناقدا لها مغيرا اسلوبه في معالجتها من جديد • يعترف بلا خجل بنقط الضعف فيه متخذا مما حدث له عبرة وعظة • والمحنة تمر بمثل هذا الرجل تزيده قوة وصمودا ، وتعطيه زادا لانه ينفض عن نفسه تراب المحنة، وتعطيه القوة على مجابهتها ومعالجتها • وتاريخنا الاسلامي يمنحنا الشواهد • ففي غزوة أحد خالف الرماة أمر رسول الله (ص) ، فتركوا أماكنهم فالتف المشركون حولهم وهزموا المسلمين في اخر المعركة وجرح الرسول (ص) ، وقتل جمع من أصحابه على رأسهم حمزة (رض) عم رسول الله(ص) • ولكن هل ييأس الرسول لما مر به من محنة ، وهل يضع يده على خده ويسلم أو يجلس

باكيا نادبا حظه · ان رسول الله(ص) لا يعرف اليأس ابدا لان القرآن الكريم يقول له : « ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » · ولذلك لملم فلول جيشه وسار وراء أعدائه وفيهم المجروح والمصاب، ولكن الرسول القائد نفخ فيهم من روحه ، ورفع من معنوياتهم واستطاع أن يمنحهم أملا في النصر · وبتتبعه لاعدائه وهم راجعون الى مكة أعطاهم انطباعا بقوته وبعزيمته الجبارة وبقدرته على مواصلة الحرب والكفاح·

فلما قفل (ص) الى المدينة استعد لمعركة اخرى من اللحظة التي وصل فيها الى المدينة · وهكذا الرجال يستعدون دائما · يتخذون من هزيمتهم وسيلة الى النصر وطريقا الى الفوز والنجاح · والامم جميعا تمر بمحن في العصر الحديث وفي العصر القديم · ففي بغداد عندما دخلها التتار بجحافلهم وقوضوا الحضارة الاسلامية ، واغرقوا دجلة بالكتب يرمونها فيه كي يمروا بخيولهم عليها ، وظن الناس ان بغداد قد انتهت · ولم تمر فترة ضئيلة من عمر الزمن الا ورجعت بغداد الى سالف عزها ومجدها ·

وفي العصر الحديث عندما اجتاح الالمان كل اوروبا قاوم الناس كأفراد · وكانت المقاومة الشعبية التي أدت الى اقلاق راحة الالمان ، فصاروا يحاربون من عدة جبهات حتى ادى الامر بهم الى الهزيمة · وامتنا الان قد خسرت معركة واحدة ولكنها لم تخسر الحرب فهي مستمرة وان طال الزمان · والشعب بما فيه من أصالة وصلابة قادر

على أن يسترد امجاده ، قادر على أن يحطم اعداءه ، قادر على ان يلملم شعثته ويبدأ من جديد مستفيدا من اخطائه غير باك على ما مضى ، وانما يؤمل في غد مشرق كريم على أساس من قيمنا الفاضلة ، وعقيدتنا الاسلامية السليمة ، فلا طاقة لنـــا الا بالله وبايماننا بانفسنا ، وبامكانياتنا وبترابطنا واتحادنا وتعاطفنـا وتلاحمنا يـأتي النصر ، والنصر يأتي مع الصبر والايمان والامل في الله .

لنا في رسول الله أسوة حسنة في معركة أحد ، ولن نكون كما قالت الآية الكريمة « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيـــا والآخرة . ذلك هـــو الخسران المبين » .

ليكن لنا في الله أمل عظيم . ولنرجع اليه عسى أن يهدينا سواء السبيل ، ولنعلم ان الامر كله لله وان الخطأ الذي نرتكبه مرده الى أنفسنا . « ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك » .

استعينوا بالله واصبروا . ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين . طهـــروا انفسكم وقلوبكم واعملوا من أجل ساعة الخلاص والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه .

ان ساعة الخلاص قادمة والمعركة مستمرة مـــع أنفسنا وأعدائنا ، وفي حديث رسول الله (ص) : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . قالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس . ان النفس لامارة

بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم » . والطريق واضح أمامنا فلنأخذ انفسنا به . فلنأخذ انفسنا بالصلابة وبتقوى الله في السر والعلن ، ولنعلم أن اجدادنا فتحوا الدنيا بالايمان والعقيدة السليمة ، وبالخشونة تغلبوا على انفسهم فتغلبوا على اعدائهم ، وقاوموا شهوانهم فلم يستطع معهم اعداء الله شيئا . لقد عرفنا الطريق وعلى الله قصد السبيل .

ايجابية الصيام

روى الطبراني عن عبادة بن الصامت (رض) أن رسول الله (ص) قال : « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله الى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، الشقى من حرم فيه رحمة الله عزوجل » .

أتاكم رمضان وهو شهر البركة . أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبنيات من الهدى والفرقان » . وبعث فيه محمد بن عبدالله (ص) فيه ليلة هي خير من ألف شهر وهي ليلة القدر ، ولقد ارتفعت رايات الاسلام فيه خفاقة ، وأعلى الله كلمته في الارض ، فكانت فيه غزوة بدر الكبرى وكانت فيه أيضا غزوة الفتح الكبرى – فتح مكة – ولقد اقتضت فيه حكمة البارى جلّ علاه ان يكون شهر الرحمة فيه يتراحم المسلمون، ويشعرون فيه بان الفضل لله والرزق من عند الله ، والكل عيال الله يعيشون في كنفه ورعايته ويتقلبون في أنعمه يشعرون بألم الجوع فترق القلوب للبائسين والمستضعفين ، يبسطون لهم الايدى بالعطاء ،

ويمنحونهم من مال الله الذى جعلهم مستخلفين فيه · تقسو القلوب فى الشهور كلها فـــاذا جاء رمضان استيقظت النفوس من غفلتها وشعرت بالاخاء يجمعها ، وبالتعاطف يربطها ، فالغني يصوم تربية لضميره ، وتفوقا على نفسه ومحاربة لشهواته وارصادا لنزواتهورقيا بالنفس الىمدارج الكمال والرفعة يرجو رحمة الله ويخشى عذابه « ان عذاب ربك كان محذورا · » يغنم بذلك الفضل ويتمنى ان تهب عليه نسمات القبول · وهو فرح عند افطاره يردد المأثور من القول « اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت · ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر · اللهم يا واسع الفضل اغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » ·

وهو يتأكد من قبول دعوته ما دام صيامه لله وجزاؤه عند الله وما دام قد أدى لله حقه وشعر بالاتياح النفسى لانهقام بواجبه تجاهاخوانهالذينيدينون بدينهويتوجهونالى القبلة الواحدة ، ويستمعون الى النداء الرطيب مـن الله يقول لهم « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كمـــا كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ·

وليس الصيام مظهرا سلبيا للمسلم وانما هو شعور ايجابي يدفع بالمسلم دفعا الى تقوية رابطته بأخيه المسلم، وتقوية آصرته باسلامه ، واقتداء بنبيه الذى كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان ·

لقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة · كان يقول لنا : « أديموا طرق أبواب الجنة بالجوع » لان الصيام تقوية للارادة والعزيمة وتقوية للنفس على لأواء الحيـــاة

وتعبها وتهذيب لاخلاق المسلم حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها .

جدير بنا في هذا الشهر العظيم أن نتنافس في فعل الخيرات والمكرمات ، وان نعمل من أجل استجابة الدعاء وحتى لا نحرم من عطف الله ورحمته ينبغي علينا أن نكف السنتنا عن الفحش والنكر والهجر ونمنعها أيضا عن الغيبة والنميمة والخصومات والكذب والمراء وقول الزور وشهادة الزور متمثلين قول الرسول (ص) « من لم يدع الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . وجدير بنا الا نصغى لكلمات السوء تقال والا نؤذى الناس بالكلمة السيئة نقولها أو باليمين نحلفه أو بالسعي بين الناس بالايذاء ، أو بتناول المنهى عنه . فاذا صامت جوارحنا عن هذا اللغو سلم لنا الصوم وأثبنا عليه . صدق رسول الله اذ يقول « ليس الصيام من الاكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث » . وقد ورد أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله (ص) فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا الى رسول الله تستأذناه في الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال لمن ذهب اليهما « قل لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا ، وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه . فعجب الناس من ذلك فقال (ص) : « هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما . فعدت

احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتاه من لحومهم » .

« كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » ، كم من صائم يضيع أمانة الصيام بالامساك عن الاكل والشرب والانطلاق في شهوة الكلام والاعراض. كم من صائم يضيع أجره بعدم حفظه لجوارحه من الاثام : « ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » . كما يقول (ص) : الصوم جنة ووقاية ، فقوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

ان بعض الناس يستهينون بهذه الفريضة فلا يؤدونها بحجة أنهم لا يستطيعون الصيام وهم قادرون عليه ، أو بحجة أنهم متمدنون وليست المدنية أن نمتنع عن مطالب العقيدة وعن أوامر الله ، انما المدنية الحقة الجديرة بالانسان أن نشكر لله أنعمه وأن نؤدي له ما وجب وأن نعرف ان الانسان بلا عقيدة هو الانسان الشقى الذى يعيش في عماء ولا يعرف طريقه الحق نحو السعادة . هذا وعيد رسول الله (ص) لهم اذ يقول : « بينما أنا نائم أتانى رجلان فأتيا بى جبلا وعرا فقالا اصعد فقلت انى لا أطيقه ، فقالا أنا سنسهله لك ، فصعدت حتى اذا كنت في سواد الجبل أى وسطه ، اذا بأصوات شديدة قلت ما هذه الاصوات ؟ قالا هذا عواء أهل النار ثم انطلقا بى فاذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما ، قلت من هؤلاء ؟

قالا الذين يفطرون من قبل تحلة صومهم أي يتجارءون على الافطار بالنهار ٠

هذا شهركم التمسوا فيه رضاء ربكم فان الشقى من حرم فيه من رحمة الله عز وجل ، وأدوا له حقه يرزقكم الكرامة ويساعدكم في حياتكم ويحقق لكم الجزاء الاوفى ٠

الصبر على المصائب

عن أم سلمة (رض) قالت : «سمعت رسول الله (ص) يقول : « ما من عبـــد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون . اللهم أأجرني في مصيبتي واخلف لى خيرا منها الا آجره الله تعالى في مصيبته واخلف له خيرا منها . قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما امرني رسول الله(ص) فاخلف الله لي خيرا منه رسول الله (ص) » .

الانسان في هذه الحياة معرض للمصائب والالام والمحن ، معرض لما يزلزل ايمانه وعقيدته ، ولـكنه لو رجع الى ربه واسترجع وتمثل بالاية الكريمة : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الاموال والانفس والثمرات « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » .

لو تذكر الانسان مصائب غيره لهانت عليه مصائبه، ولقد ابتلى الله الانبيـــاء بالمصائب والمحن والكوارث ، فصبروا على ما كذبوا به وأوذوا حتى أتاهم نصر الله . هذا نبي الله أيوب عليه السلام وقد أصيب في صحتـــه

وأصيب في ماله وأصيب في كل أولاده ، فماتوا جميعا بل أصيب في زوجته المخلصة فتركته وحده لاحزانه وامراضه ، فذكر الله واسترجع وشكر الله في النعماء والبأساء والضراء ، فذكره الله في الذاكرين وشكره في الشاكرين ، وقال عنه سبحانه : « انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » . ورد الله عليه أهله ومثلهم معهم رحمه منه سبحانه وتعالى « ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب » .

ولقد علمنا الرسول (ص) أن نلجأ الى الله في أحزاننا ، وان نطلب منه العقبى . لما مات أبو سلمة تحدث الرسول الى زوجته قائلا : « قولي اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبى حسنة » . طلب منها هذا حتى لا تقع في الخطأ ، وحتى تلجأ الى ربها سريعا . وقد عوضها الله خيرا من زوجها ، واخلف الله لها خيرا منه .

لنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة ، فلقد رأى في حياته ما عبر عنه يوم وفاة ابنه ابراهيم عندما نظر الى جبل صادفه « والله يا جبل ، لو كان بك بعض ما بى لدككت دكا » . لقد عذبه قومه وسخروا منه وقالوا عنه ساحر وكاهن ومجنون ، وآذوا أصحابه بل لقد وصل البهتان ببعض المنافقين الى أن ينالوا منه في خاصة نفسه وأهله ، ومع ذلك صبر على بلواه ، ودعا للجميع بالهداية ، وقال : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » . وأصيب الرسول بفقد احبائه من اصحابه واهله واولاده وبكى كانسان ، فلما حدثه بعض اصحابه عن بكائه

على فقد ابراهيم ، قال انها رحمة وقال « العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، انا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » . لنا فيه الاسوة الحسنة والقدوة الكريمة .

لقد منع الناس عن عادات كانت في الجاهلية ، فقال : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . » يقول رسول الله (ص) اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ، فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده . فيقولون : نعم . فيقول : فماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حَمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد » .

فالله يختبرنا وهو أعلم بنا ، ويشهد الملائكة على أعمالنا فيشهدون بخير ويأمر الله للحامدين لمسترجعين ببيت في الجنة . فماذا ينتظر المسلم بعد هذا الخير العميم !.

هذا رسول الله (ص) ترسل له احدى بناته تدعوه وتخبره ان ابنا لها في الموت فقال للرسول الذي جاءه « ارجع اليها فأخبرها ان لله تعالى ما اخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب» ولقد دخل رسول الله (ص) على ميت فوجد ضجيجا وصياحا لاهله عليه فقال (ص) « لا تدعوا على انفسكم ولا على الميت فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال : اللهم اغفر له وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه

في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه » .

لنتذكر الصبر دائما ففيه مثوبة ولنتذكر دائما ان لله ما اخذ وله ما اعطى وكل شيء عنده بمقدار ، ولنتذكر قول الشاعر :

كل ابن انثى وان طالت سلامته
يومـــا على آلة حدبـــاء محمـــول

ولنتذكر ان الموت نصيب كل حي ، وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . لكن النفس الانسانية لها عاطفة ينبغي ان تحترم ، وقد احترمهـــا الرسول ببكائه على ولده الحبيب ابراهيم ، لكن الذي يمنعه الشرع ان يخرج الانسان عن دينه وينسى تعاليم ربه ويقول كلاما يخرجه عن الاسلام وعن جماعة المسلمين وعن التعاليم السماوية . رزقنا الله الصبر على بلوانـا ومصابنا ، ورحم الله الشهداء الابرار الذين ماتوا فـي سبيل الله والوطن وعملوا من اجل اسلامهم وعروبتهم .

اتقوا النار ولو بشق ثمرة

يقول الله تعالى : « ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم · » ويقول رسول الله (ص) : « ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من حلل الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله تعالى من ثمار الجنة ، وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم » ·

مجتمع المسلمين مجتمع مترابط متحاب متعاون يتفاضل فيه الناس بالتقوى والعمل الصالح ، ويشعر الناس فيه جميعا انهم سواسية كاسنان المشط ، يتراحمون فيما بينهم ويعرفون ان الفضل لله وان المال هبة من الله وان الناس مستخلفون فيه ، ويعلم الاغنياء انهم وكلاء عن الله في عياله وفقرائه · من أجل ذلك نرى كثيرا من آيات الكتاب الكريم تتحدث عن الانفاق والبذل في سبيل الله · يقول الله تعالى « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون · » وفي آية اخرى :

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . وفي المال الذي تحت ايدي الناس حق معلوم للسائل والمحروم . والله تعالى يقول : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والمال ينمو ويربو بالصدقة . يقول الله تعالى : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » ، والله سبحانه يتقبل زكوات الناس وصدقاتهم فيربيها عنده كما يربي أحدنا فلوه أو قلوصه أي شاته الصغيرة ، يضاعف الله الاجر للذين ينفقون في سبيل الله : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » وهو سبحانه يطلب منا ألا نبطل صدقاتنا بالمن والاذى والرياء والسمعة ، فاذا قصدنا بالصدقة وجه الله فلا خوف علينا ولن نحزن أبدا ، ومن أجل يوم القيامة نتقى النار ولو بشق ثمرة كما يقول الرسول (ص) .

ومجال العمل من هذه الحياة . اما الآخرة فهى دار الجزاء « يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ، ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون » . والنفقة والصدقة » لا تكون الا من طيب المال وعن طيب نفس نرجو بها الخير من الله . فان لم نفعل فالله غنى حميد « يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الحبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وأعلموا أن الله غني حميد » .

وطبيعة الانسان الشح والبخل والشيطان يخوّفنا

دائما بالفقر ويخوفنا بالضياع ويوسوس لنا بأفكار خبيثة حتى نمتنع عن البذل والانفاق ، وحتى نمسك أيدينا عن حق الله وحق المجتمع « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منهوفضلا والله واسع عليم» . وفي الحديث القدسي يغرى الله عباده بالانفاق عليهم اذا أنفقوا على عباد الله من المستضعفين « يا عبدي أنفق أنفق عليك » .

ان يوم الجزاء آت لا ريب فيه ، وان الناس بحاجة الى ثواب الله ، وان الانسان يهتف يوم القيامة يا ليتني قدمت لحياتي ، ان مجال العمل في هذه الدنيا مفتوح فاستبقوا الخيرات . ان رسولنا العظيمعليه السلام يقول : « أيما مسلم كسا مسلما على عري كساه الله تعالى من حلل الجنة ، فهل بعد هذا الوعد من شيء . في المجتمع أي مجتمع فقراء ومساكين فيهم من يتمنون الكساء ولا يجدونه ، وفيهم من يرجو الطعام ويبيت على الطوى ولا يجد اليد الرقيقة التى تمتد اليه بالطعام ، والرسول يعد بثمار الجنة من أطعم مسلما على جوع فيقول : أيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم » .

الدنيا فتنة والله يبتلينا بها ، ولو شاء الله لجعلنا جميعا فقراء ولو شاء لجعلنا أغنياء ، ولكنه ابتلى بعضنا ببعض بالغنى والفقر « أحسب الناس أن يتركوا آن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن

الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

والله سبحانه يضع أمام أعيننا هذه المعانى حتى لا نضيع أو نفتتن أو نصاب بالجمود وبالكفر بنعمة الله . يسألنا يوم القيامة وهو أعلم بنا ، ويقول لعباده كما يروى في الحديث القدسى يقول الله تعالى : « عبدي .. استطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني ، واستكسيتك فلم تكسنى ، فيقول العبد وكيف ذلك يا رب فيقول سبحانه مر بك فلان الجائع وفلان العاري فلم تعد عليه بشيء من من فضلك فلامنعك اليوم من فضلي كما منعته من فضلك » .

ان مجتمعنا بحاجة الى هذه المعاني النبيلة حتى يتذكر دائما ان الانسان هو أخ للانسان ، وان الناس جميعا سيقفون بين يدي الجبار وهو سائلهم عن كل شيء ، فهلا أطفأنا غضب الرب بالصدقة ندفعها ، وبالرحمة نشبعها .

ان الرسول عليه السلام يقول : «صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتوسّع في الرزق » .

أعاننا الله على التغلب على أنفسنا ، وجعل هذه المعاني ماثلة أمامنا دائما حتى نلقى الله بقلب سليم وبعمل مجيد .

ثلاثة أقسم عليهن

يقول رسول الله (ص) : « ثلاثة أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمه صبر عليها الا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر » أو كمة نحوها. وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : « انما الدنيا لاربعة نفر . عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيته فاجرهما سواء ، وعبدرزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم ولا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء » .

الصدقة تطفيء غضب الرب كما تطفيء الماء النار ، والصدقة نرفع بها الضير عن الفقراء ، وهى سبيل لتحصين الاموال ولمداواة المرضى . صدق عليه السلام اذ

يقول : « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة » . والصدقة تتقى بها النار « اتقوا النار ولو بشق ثمرة » . والصدقة لا تنقص المال فما نقص مال عبد من صدقة ، والصدقة سبيل لانفاق الله علينا : يا عبدي انفق أنفق عليك .

وهما بسبيل النماء عند الله تبارك وتعالى ؛ يقول عليه السلام : « من تصدق بعدل ثمرة أي بقيمتها من كسب طيب ، فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوّه أي شاته أو كبشه الصغير حتى تكون مثل الجبل .

وفي الحديث يقول : « ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا . فما من مظلوم يظلم الا ودعوته مستجابة ليس بينها وبين الله حجاب . « دعوة المظلوم مستجابة ولو كانت من كافر وليس بينها وبين الله حجاب يقول لها الباري عز وجل : وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين » والنبي (ص) ينبهنا فيقول اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة .

والمظلوم الذى يصبر على مظلمته ، ويصبر ملتجئا الى الله يزداد بالله عزا ، ويرجو منه أن يساعده فيمظلمته يزيده الله عزا ويمنحه انتصارا . أما الذى يسأل الناس بلا حاجة للسؤال انما الطمع يدفعه والجشع يحركه لا يغتني أبدا من هذه المسألة ، بل يفتح الله عليه أبواب من الفقر لانه ترك السعي وهو الطريق الطبيعي للكسب الحلال واستكان الى الذلة ، وأراق ماء وجهه . يأتى يوم

القيامة يتمزع لحم وجهه · ذلك لانه لم يعش كريما على نفسه :

ومن يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت ايلام

ثم يقسم الحديث الدنيا لاربعة نفر : عبد رزقه الله بالمال والعلم فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل لان خير الناس أنفعهم للناس ، فلا يكون المال وسيلة للطغيان وللافساد في الارض ولا يكون المال بالنسبة له بابا للتعالى والغطرسة على عباد الله ، وانما المال لله وهو مستخلف فيه يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ، ويساعد في عمل الخير ويكون بالمال عضوا نافعا في المجتمع · يتحدث الرسول بعد ذلك عن العالم الذى لا مال له ينفع بعلمه الناس ولكنه يتمنى أن لو كان لهمن المال ما يعين به الآخرين ويعمل بعمل الغنى بالمال والعلم· هذا العالم يؤجر على هذه النية ويثاب عليها ويثاب ايضا الرجل الاول ·

أما الصنف الثالث فالجاهل ذو المال الذى لا يتقى الله فيه يبعثره على ملذاته وشهواته ، ويعيش أنانيا فرديا يحب نفسه ويراها الجديرة بكل الخير ، لا يصل الرحم، ولا يبذل المعروف فهذا بأخبث المنازل كما يقول (ص) ·

أما الصنف الرابع والاخير فهو الرجل الذى لا مال له ولا علم ، ومع ذلك يتمنى المال من أجل ملاذ الحياة وشهواتها ، ومن أجل أن يرغد فيها ومن أجل ان ينفق المال على متاع الدنيا الزائل ومحرماتها التى حرمها الشرعفهذا له وزر الصنف الثالث من هؤلاء النفر الذين ذكرهم

الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

الدنيا خضرة حلوة فاتقوها واتقوا ان تسقطـــوا فيها ، وأن تقعوا عليها كالذباب واعلموا أن المال لاينقص بالانفاق في سبيل الله وان الظلم ظلمات يوم القيامة ،وأن المسألة تفتح أبواب الفقر وأن الآخرة للعلمـاء العاملـين بعملهم والمنفقين من مالهم ٠ أما الذين رضوا بالحيـــاة الدنيا واطمأنوا بها وأعرضوا عن الله وظنوا أنها باقية ٠ هؤلاء وأمثالهم يعيشون فى سراب بعيد عن الحقيقة ٠

قوانين ثابتة للحياة

يقول الله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع »

الحياة قامت على قوانين ثابتة ، ونتائج هذه القوانين ثابتة ايضا ، فما من انسان يمشي بالعدل مع نفسه ومع الاخرين الا وعاش حياة طيبة هانئة ، وما من انسان ظلم نفسه وظلم الاخرين معه الا وعاش في شقاء دائم . تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا .

ومن اجل ذلك يقول الرسول (ص) في حجة الوداع : « ان دماءكم واموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

وفساد الحياة في الاعتداء على الاخرين : في كراماتهم او اعراضهم او اموالهم او دمائهم ، وشهوة التسلط في بعض الناس تدفع بهم الى الايذاء وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، وكذبوا ، لو ارادوا الاحسان لاحسنوا لأنفسهم اولا ، ولراعوا الآخرين ثانيا ، ولأحبوا للغير ما يحبونه لانفسهم ، فلا يرغب انسان أن يكون ممتهن الكرامة ،فكيف

يسمح لنفسه ان يمتهن الآخرين ، وان يمرغ كراماتهم في الوحل ، وان يظهر نزعاته الخبيثة تجاههم ·

ومثل هذا الظالم يجد من يعينه ، ومن يحسن لـــه عمله كي يستفيد من ورائه فائدة ما ، والله يملي له حتى يطفح الكيل ثم يعريه · وتنقلب الآية عليه ويفيق بعد فوات الأوان · اسمعوا ان شئتم قول رسول الله (ص) : « ان الله ليملي للظالم فأذا اخذه لم يفلته · ثم قرأ صلى الله عليـــه وسلم : وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة · ان أخذه أليم شديد · »

وقد وضع الرسول الكريم قواعد ثابتة للعـــدل ، فالاموال محترمة فلا يجوز الاعتداء عليها واخذها بغير حق، والاعراض مصونة فلا يجوز امتهانها بالقوة او بالحيلة ، والدماء غير مهدرة ومن الواجب الحفاظ عليها بســـلطة السماء ، وسلطة القوانين ، من اعتدى عليها فقتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق فقد برىء من الاسلام وبرىء الاسلام منه · اقرءوا ان شئتم قوله تعالى : « انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتـل النـاس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا · » وأشد آية نقرؤها في الكتاب الكريم : « ومن يقتل مؤمنا متعمـدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد لـه عذابا عظيما · »

وقد يأخذ الانسان لنفسه الحـــق في مال النـاس ، فيحاول بما أوتي من وجاهة أو سطوة ان يستغل الناس ، وان يأخذوا بأيديهم قسرا وجبرا · مثل هذا الانسان يقول

فيه (ص) : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة · » وقد يتخوض بعض الناس في مال الجماعة بغير حق ويصطنعون لانفسهم حقوقا كي يسبغوا القانونية على اعمالهم ، وكي يسلبوا الجماعة حقها، وقد بين الرسول أمر هؤلاء وكشفهم · يروى انه استعمل ابن اللتبيه على الصدقة ، فلما قدم قال هذا هذا لكم وهذا أهدى الَّي ، فقام رسول الله (ص) على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « أما بعد فأني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاّني الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذه هدية أهديت الَّي · أفلا جلس في بيت ابيه او أمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا · والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة · فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رئى بياض ابطيه فقال لهم : هل بلّغت ؟!

وقد يجاهد الرجل في سبيل الله ويقتل وقد ارتكب خطأ في حق الجماعة ، فلا ينال ثواب الشهداء لفعلته تلك · يروى أنه يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي (ص) فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد · فقال النبي (ص) كلا اني رأيته في النار في بردة غلها او عباءة ·

وقد روى عن رسول الله (ص) رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة ·

هناك من لا يقيم وزنا للآخرة لانه ملتصق بالدنيا

متعلق بها يعتقد ويتأمل في حياة طويلة ، فلا بأس عنده من ظلم الناس ولو وصل الامر الى القضاء ، فله من لسانه الذرب ما يدفع به عن نفسه · وقد يكون خصمه عيّيا لا يستطيع ان يبين حقه فينتهز الظالم الفرص لاخذ الحق بالباطل · ينبه الى ذلك الرسول (ص) فيقول : « انما انا بشر مثلكم وانكم تختصمون الي ، ولعل بعضكم ان يكون ألحق بحجته من بعض فاقضى له بنحو ما اسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه ، فانما اقطع له قطعة من النار ·

لكن الظلم لا يدوم « دعوة المظلوم مستجابة ولو كانت من كافر وليس بينها وبين الله حجاب ، يقول لها الله عزوجل « وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين ·· » · وقد حرم ربنا على نفسه الظلم فقال : « يا عبادى اني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ·

فأذا اردنا الحياة الفاضلة السعيدة فلا نظلم لكى لا نُظلَم ، والبر لايبلى والذنب لاينسى والديان لا يموت · اعمل ما شئت كما تدين تدان · واذا اردنا ان نسعد فيهذه الحياة فلنراع الاموال والاعراض والدماء ، ولننظر الى أقوال رسول الله الاخيرة التي قالها في حجة الوداع لتكون نبراسا لنا تهدينا الى الخير والى البر ، وتدفعنا الى الرحمة والى العدالة ونصلح من افرادنا كى تصلح جماعاتنا · وحتى نعود سيرتنا الاولى « خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله · »

نحو علاقة جديدة بربنا

بعد قليل يطلنا شهر مبارك انزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان • أنزل الله فيه الوحي على نبيه الكريم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم سواء السبيل ، ويوضح لهم الحق ويكرّه لهم الكفر والفسوق والعصيان • وما أحوجنا ان نغتنم هذا الشهر العظيم فنستقبله بما يليق به ، فنطهر انفسنا من الادران، ونفتح صفحة جديدة في علاقاتنا بربنا • نمد له يد الضراعة مستغفرين من ذنوبنا قائلين من أعماقنا كما قال سيدنا وحبيبنا محمد (ص) « رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم » • ان الانسان ضعيف امام المغريات ، ولقد حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحفت النيران بالشهوات •والانسان في صراع دائم بين الخير والشر ، بين النور والظلام ، بين اشواقه العليا وشهواته الدنيا، ولكنه لو اعتصم بربه ،ولزم الاستغفار والأوبة الى الله أنجاه الله من نفسه ووفقه في الوصول اليه • ولقد قال رسول الله (ص) : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لايحتسب • ولقد يمر اليوم وراء

اليوم والانسان مشغول بهذه الدنيا قد نسي الهدف الذى خلق من اجله ، « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ،ما اريد من رزق وما اريد أن يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ، ولكنه محتاج الى لحظات يرجع فيها الى ربه ويراجع فيها اعمالا محاولا ان يصلح ما فات ، فلا ييأس من رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون • عند ذلك يتوجه الى خالقه وبارئه ، ويتلقى الاجابة من حديث ربنا القدسى الذي يقول فيه : « يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي • يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالي • يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لآتيتك بقرابها مغفرة • »

« فاذا كان ربنا تبارك وتعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير ، واذا كان ربنا جل وعلا يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » • فأولى بنا ان ننتهز فرصة الشهر الكريم الذى أنزل فيه القرآن لندعوه مخلصين له الدين حنفاء تائبين من ذنوبنا مستغفرين منها عاضين بنان الندم على ما فات من عمرنا ، وعلى ما ضيعنا من ايامنا مسرعين اليه فارين • « ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين • »

روى ان رجلا اطاع الله فترة طويلة من الزمن ثم عصاه فترة اخرى وتحرك ضميره فهتف من أعماقه : « ان رجعت اليك يا رب • أتقبلني ؟ » فسمع هاتفا من قبل الحق تبارك

وتعالى يقول له : « يا عبدنا اطعتنا فأثبناك ، وعصيتنا فسترناك وان رجعت الينا قبلناك » . فلا نستكثر غفران الذنوب ولو بلغت مثل الجبال الشم ، فرحمة الله أوسع ويعفو عن كثير . اقرءوا قول الله تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . »

لقد كان رسولنا العظيم (ص) يكثر من الاستغفار وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولكنه كان عبدا لله شكورا ، وكان يقول ويقسم على ذلك « والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة ، » حتى نتعلم منه الاستغفار ونتقرب بذلك الى ربنا الذى يؤكد المغفرة في قوله سبحانه وتعالى : « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » . والذى يفتح لنا ابواب الامل العريض في مغفرته ورضوانه فيقول : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . »

وكان رسول الله (ص) يعلّم أصحابه الاستغفار فيقول : « سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم أنت ربي لا اله الا انت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . اعوذ بك من شر ما صنعت . ابوء لك بنعمتك علي ، وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت . » ثم يقول لهم عليه السلام : « من قالها في النهار موقفا بها فمات من يومه قبل ان يمسى فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح

فهو من أهل الجنة » .

ان الله يحب من عباده دائمـــا ان يتقربوا اليه وان يسألوه المغفرة ، « واذا سألك عبادى عني فاني قـــريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » . ولقد طلب منا ان ندعوه مخلصين لـه الدين ، وفتح لنا ابواب الامل فقال سبحانه : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبـــادتي سيدخلون جهنم داخرين » .

اما المسرفون الذين أسرفوا على أنفســـهم واتبعـــوا اهواءهم وساروا وراء شهواتهم وغرتهم الاماني وغرهم بالله الغَرور فلابد لهم من رجعة ولابد لهم من لحظة ينظرون فيها الى اعمالهم وما ارتكبوه ، والى ذنوبهم وما اقترفوه منها . فلينتهزوا فرصة شهر العبادة الذى اظلنا ، وليعملوا على محو ذنوبهم ، وليتذكروا ربهم وهو يخاطبهم بقوله سبحانه وتعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفـــور الرحيم ، وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكـم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون » .

لنستقبل شهر رمضان بالاستغفار والتوبة ، وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون. ولنضع أساسا طيبا لعلاقاتنا بربنا قبل أن يأتي يوم لا ريب فيه . افتحوا أيديكم بضراعة ، وأقبلوا على ربكم بأمل عسى ان يمنحـكم مغفرته وقبوله .

الصيام في الاسلام والاديان الاخرى

يقول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون · »

كتب الله الصيام على المسلمين اعدادا للنفس وتقوية لها وتربية ، فهي تقوى الارادة على كبح جماح الشهوات ليقوى صاحبها على ترك المضار والمحرمات · ومن أجل تقوى الله فى السر والعلن ، ومراقبته في جميع الاوقات والاحوال فرضه الله علينا كما فرضه على الذين من قبلنا · فليس الاسلام بدعا في الاديان السماوية ، وانما الاديان جميعها تنتمى لاصل واحد كما يقول (ص) ، « انما مثل ما بعثني الله به كمثل رجل بنى بيتا فحسّنه وجمله وزينه فكان الناس يمرون عليه ويقولون ما اجمل هذا البناء لولا موضع لبنة فيه فأنا اللبنة وانا خاتم الانبياء » او كما يقول السيد المسيح عليه السلام « ما جئت لانقض الناموس وانما جئت لاكمل » ·

وفرض الصيام علينا اشعار لنا بوحدة الاديان في مقاصدها واصولها ، فالكل يدعو الى اله واحد · صدق رسول الله (ص) اذ يقول : « أفضل ما قلته أنا والنبيين

من قبلي لا اله الا الله » . وقد عرف الصيام في جميع الملل حتى الوثنية منها ، فهو معروف عند قدماء المصريين ايام وثنيتهم ، وانتقل منهم الى اليونان ، فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ، ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن، ولقد جاء في العهد القديم اشارات الى صيام الانبياء وصام غيرهم من أهل الكتاب ، ففي سفر الخروج ان موسى عليه السلام « كان هناك اربعين نهارا واربعين ليلة لم ياكل خبزا ولم يشرب ماء » .

وفي سفر الملوك الاولى ان النبي ايليا « سار بقوة تلك الاكلة اربعين نهارا واربعين ليلة الى جبل حوريب » . وفي انجيل متّي من العهد الجديد « ان السيد المسيح صام اربعين يوما فى البرية » . والانباء متواترة عن صيام الانبياء والنساك على هذا النحو اياما متوالية ، ولكن الصيام الوحيد الذى فرضته الشريعة في العهد القديم هو صيام يوم الكفارة ، وعقوبة من يخالف هذه الفريضة الموت والقطع من الامة . ولم يرد في دين من الاديان الكتابية أمر بالانقطاع عن الطعام والشراب أياما متوالية ، ولقد نهى رسول الله محمد (ص) عن صوم الوصال بقوله « اياكم والوصال . قالها ثلاث مرات . قالوا فأنك تواصل يا رسول الله . قال انكم لستم في ذلك مثلي اني ابيت يطعمني ربى ويسقينى » . اى يجعل الله له قوة الطاعم والشارب .

ولقد علل الله كتابة الصيام علينا في الآية الكريمة « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين

من قبلكم لعلكم تتقون » ببيان فائدة الصيام الكبرى وحكمته العظمى ، فهو سبحانه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك الشهوات المباحة امتثالا لأمره واحتسابا للاجر ، فتتربى بذلك الارادة على ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها ، فيكون اجتنابها ايسر على المؤمن ، وتقوى نفسه على النهوض بالطاعات ، ويتعلم من الصيام الصبر على لاواء الحياة ، وتعبها ، وصدق رسول الله (ص) اذ يقول : « الصيام نصف الصبر » .

ليس الصيام في الاسلام لتعذيب النفس وايلامها ، وانما الصيام لتربيتها وتزكيتها وتطهيرها « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

وبنية الصائم وقوته تتكون له ملكة التقوى ، والصيام سر بين العبد وربه لا يعلمه الا هو سبحانه وتعالى ، ولشرف الصيام يجازي الله عليه بذاته الشريفة فيقول سبحانه في الحديث القدسي : « كل عمل أبن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزي به » . من أجل ذلك كان حظ الصيام عظيما عند الله تعالى ؛ الصيام الحقيقي الذى يدع المسلم فيه كل خطيئة فلا يتحدث في أعراض الناس ولايفعل ما يستحى ان يقابل الله به ، وفي الحديث الشريف « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

ان الصيام يعلمنا الاستغراق في تعظيم الله وتقديسه يعلمنا ضبط النفس وتنزيهها عن الدنايا والمنكرات ، ويؤهلنا الصيام لسعادة الدنيا والآخرة .

ان مراقبتنا لله عزوجل تمنعنا من الفسق والتدليس، تمنعنا من خداع الناس أو خداع النفس ، تمنعنا من اجتراح السيئات والمعاصى والبعد عنها • ان مراقبتنا لله عزوجل تباعد بيننا وبين الغفله ، وتعطينا اليقظة الكاملة، فاذا وقعنا في معصية الله فئنا اليه ورجعنا وتذكرنا وتبنا• صدق الله العظيم اذ يقول : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » •

كل عبادة من العبادات تخلو من القصد والنية لا قيمة لها أبدا عند الله تعالى « لان الاعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى » • وفي الصيام لا بد من نية وقصد لان روح الصيام وسره من هذا القصد وتلك الملاحظة التي تحدث المراقبة •

وهذا هو معنى كون العمل لوجه الله تعالى ، ولذلك لاحظ الائمة تبييت النية في كل ليلة من ليالى الصيام • ويؤيد هذا ما ورد عن رسول لله (ص) « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » لان الصائم ايمانا واحتسابا يكون من التائبين عما اقترفه قبل صومه•

لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء

يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم • ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلي وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا أعلم ما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » •

أراد رسول الله (ص) أن يبغت قريشا فى مكة بعد ان نقضوا عهد الحديبية وهو اذ يفعل ذلك انما يريد الا تراق دماء كثيرة في مكة البلد الحرام • من أجل ذلك أمر المسلمين أن يتجهزوا فلما تجهزوا أعلمهم أنه سائر الى مكة ودعا الله ن يأخذ العيون والابصار حتى يبغت قريشا في بلادها •

وبينما الجيش على أهبة السير كتب حاطب بن أبي بلتعه كتابا وأعطاه لامرأة من مكة جاءت الى المدينة تطلب من مواليها من بني عبدالمطلب رفدهم وعطاءهم فلما سألها رسول الله أمسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك ؟ قالت : أنتم الاهل والعشيرة والموالى ، وقد احتجت حاجة شديدة

فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني ، فحث الرسول بنى عبدالمطلب فكسوها وأعطوها · وفي رجوعها الى مكة أعطاها حاطب كتابا الى أهل مكة ، وكتب في الكتاب يقول « من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله (ص) يريدكم فخذوا حذركم » فخرجت المرأة ونزل جبريل (ص) فأخبر النبى بما فعل حاطب فبعث رسول الله عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرتد وكانوا فرسانا وقال لهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدنعه اليكم فاضربوا عنقها · فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان فقالوا لها أين الكتاب ؟ فحلفت بالله ما معها كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع، فقال علي كرم الله وجهه : والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال للمرأة : اخرجي الكتاب والا والله لاجزرنك ولاضربن عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من شعرها فخلوا سبيلها ، ورجعوا بالكتاب الى رسول الله (ص) ، وأرسل رسول الله الى حاطب فأتاه فقال له : هل تعرف الكتاب يا حاطب ؟ قال : نعم · قال فما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت ان أتخذ عندهم يدا ، وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وكتابي لا يغنى شيئا ·

فصدقه الرسول وعذره ، فقال عمر (رض) دعني يارسول الله فلاضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال الرسول (ص) : « وما يدريك يا عمر · لعل الله قد اطلع الى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وكان حاطب من أصحاب بدر · ولكن في النفس الانسانية جوانب ضعف تطغى في بعض الاحيان عليها وتهوى بها الى ما لا ترضاه هى لنفسها ، ورسول الله يعرف أصحابه جيدا ويشعر بصدقهم وبصدق نواياهم ، ويعرف الضعف البشري والنفس الانسانية ، فيعالج الضعف بالحكمة والموعظة البليغة الحسنة · يقرر حاطب ويبين له فاذا ما قام عمر ليكلمه في شأن حاطب ويطالب برقبته يذكره الرسول بسابقه حاطب وبجهاده في سبيل الله وبموقفه في بدر يوم كانوا قليلا يتخطفهم الناس يوم أن كانوا قلة يزدريهم المشركون ويسلقونهم بالسنة حداد ويسخرون منهم يوم ان كانت الدعوة في حاجة الى الانصار والرجال ، وحاطب بن أبي بلقعة من الذين آمنوا بالله ورسوله ورأوا الصعاب والعلقم في سبيل ايمانهم وعقيدتهم وعذبوا من اجلها · ولكن لا ينسى حاطب وأمثاله من المؤمنين تنزل الآية الكريمة توضح لهم وتبين ألا يتخذوا الاعداء أولياء والا يلقوا اليهم بالمودة لانهم كفروا بالله ورسوله ، وقد عذبوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وأرادوا اطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره المشركون · ليتذكر المسلمون هذا وليتذكروا ان المشركين يكرهونهم واذا خلوا عضوا عليهم الانامل من الغيظ · ويذكرهم الله

أن عليهم أن يستجيبوا لله ورسوله ، وألا يلقوا بالمودة الى هؤلاء الذين يفرحون بالمصيبة تنزل بالمسلمين .

لقد تبين الرشد من الغي ووضح لنا من تاريخنا الطويل أن اعداءنا لا يريدون لنا الخير أبدا ، واننا ينبغي أن نكون على حذر دائم منهم وأنهم في صراع دائم من أجل القضاء على حضارتنا واسلامنا ، فان استجبنا لهم ضيعنا تراثنا وحضارتنا وأتينا بالعار على أنفسنا ومواطنينا وما قصة خروج المسلمين من الاندلس ببعيدة عنا عندما وضع ابن الاخ يده في يد أعدائه ضد عمه فضاع العم بجنده وضعف ابن الاخ بحربه لعمه وخرج من المعركة ليجد أنصار الامس أعداء اليوم ، ودارت الدائرة عليه فطرد من الاندلس شر طردة . وقصة الامس القريب ليست ببعيدة عنا : عندما دخلنا جيوشا ثمانية في حرب فلسطين وبالخيانة ضعفنا امام شراذم الصهيونية ، بسبب تخاذلنا وبسبب خيانتنا لبعضنا البعض ، والله قد بين لنا أنهم ان يظفروا بنا يبسطوا الينا أيديهم والسنتهم بالسوء وصدق الله العظيم اذ يقول « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء ودوا لو تكفرون » .

ان ديننا يأمرنا ان نتآخى على البر والتقوى ، وان نكون يدا واحدة على أعداء الله وأعدائنا وويل لنا اذا خسنا بعهد الله وكفرنا به ، ورجعنا كفارا يضرب بعضنا رقاب بعض من أجل عرض من أعراض الدنيا الزائلة ومن أجل مجد زائف .

ان التاريخ سيتحدث كثيرا كما تحدث في الماضى عن خيبتنا عندما ضيعنا الاندلس من أيدينا ، فلنتق الله ربنا ولنعمل جميعا من أجل أن تكون أمتنا واحدة تسعى لخير أبنائها ورفاهيتهم · لنبرأ الى الله من الهوى يتسلط علينا· لنبرأ اليه من الفرقة فهى عذاب · لنبرأ اليه من الاعـداء نواليهم ونحبهم ·

اذا اتجهنا الى هذا وضعنا الاساس لقوتنا وحضارتنا من جديد ·

الاشـــاعة

« لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثـــيرا وان تصبروا وتتقوا ان ذلك من عزم الامور »

نحن في بلاء واختبار ، ولا بد ان نرى الله قـــوة نفوسنا وعزيمتنا ، ولا بد من الصبر والتقوى والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين • لابد من تآزر وتساندمن أجل النصر ومن أجل سحق الطغيان والفساد والظلـم ، والمواطنون بالدرجة الاولى مطالبون بأشياء مطالبون بأن يصموا آذانهم عن اذاعات الاعداء ، وبياناتهم لانها كلهـا مكذوبة وتعمل من أجل الفت في عضدنا ، ومن أجـــل اضعاف روحنا المعنوية من أجل أن نستكين ونسلم حتى يلتهمونا لقمة سائغة • اننا مطالبون بالتمييز بين ما يقال وبين ما يعقل من الكلام وللاوغاد المجرمين أعوان في كل مكان وهم يرددون الاشاعات الكاذبة رجاء معاونة اعدائنا على النصر علينا • ان حرب الاشاعات حرب رهيبة استعملها اليهود قديما وحديثا وما زالـــوا يستعملونها على أسس علمية مدروسة ، فاذا أتقنوها وفروا مجهودا حربيـــا ،

وأمكن لهم ان يسيطروا على مقدرات الناس وعلى مابأيديهم ولذلك تندس طائفة منهم بين أبناء الشعب توسوس له كالشيطان وتحاول أن تثبط من همته وتحاول أن تشعره بالهزيمة حتى يستكين ويسلم ، ولو حدث ذلك لا قدر الله فعلى الامة العفاء • لقد استعمل هذا السلاح في غزوة أحد • فقد أشاع المشركون والمنافقون أن رسول الله قد قتل ، فبكى قوم وجلسوا ووضعوا سلاحهم وأقبل قوم يقولون بوعى وبفهم لابعاد المعركة • اننا لا نحارب من أجل محمد (ص) وانما نحارب من أجل ما جاء به محمد من عند الله • اننا نحارب من أجل عقيدتنا واسلامنا، من أجل أن تبقى دعوة محمد • يا قوم ان كان محمد قد قتل فموتوا على ما مات عليه وقاوموا من أجل جنات عرضها السموات والارض ، وقوموا الى الجهاد الاكبر في سبيل الله ، وأنهوا المعركة نهاية لم يستأصلهم فيها العدو وانما ساروا وراءه بالرغم من جراحاتهم ، فالقى الله في قلوب الاعداء الرعب وفروا الى مكة •

وفي غزوة الخندق استغل عبدالله بن نعيم خدعة أوقع فيها بين القبائل المشتركة في القتال متحالفة مع اليهود ، وبسبب هذه الخدعة والاشاعة خشى المشركون من اليهود وخافوا لانهم طلبوا منهم رهائن ، فلما كانت ليلة فيها عواصف ورعود حسب المشركون أن المسلمين قد أغاروا عليهم ، ففروا وهربوا تاركين خيامهم وقدورهم•

وفي ذلك يقول ربنا في كتابه الكريم : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وما اشبه الليلة بالبارحة فقد جاءتنا جنود الاعداء من فوقنا ومن أسفل منا وزاغت أبصارنا وبلغت القلوب الحناجر ولكنا لو تذكرنا الله ، واعتصمنا به لجاءتنا نعم الله تترى ولجاءتنا جنود الله تناصرنا وتشد من أزرنا وتضع كيد الظالمين في نحورهم ، ولجعلت بأسهم بينهم شديد . ان هناك أقواما تتحدث عنهم الآية الكريمة وتصفهم بأنهم أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد : « أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا » هؤلاء وأمثالهم يسألون عن أنبائكم ليحوروها وليضعوا بدلها آيات الهزيمة ومعالم الخنوع . هؤلاء هم أعداء العروبة والاسلام ، أعداء وطنهم ، أنصار الاستعمار وأعوانه لا يراعون لاسلامهم عهدا ، ولا يراعون ذمة ، ورسول الله (ص) قدوتنا في كل عمل ولئن لم ينته هؤلاء ومثالهم ليضربن الله عليهم الذلة ثم لن يكونوا من الناجين . انما موقفنا الآن أن

نقول كما قال القرآن الكريم : « ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما » .

منحنا الله قوة الصابرين والمجاهدين ، ونصرنا على أعدائنا ، وأمكننا من مروجى الاشاعات .

جزاء الشهداء

جاء الاسلام بقيم جديدة تؤكد خلود النفس وتبين ان وراء هذه الحياة حياة أخرى ، فيها عقاب وجـزاء ، وأجر وثواب • ولقد أعد الله للذين يجودون بأنفسهم في سبيله جنات تجرى من تحتها الانهار ومقاعد صدق عند مليك مقتدر ذلك لان الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة لانهم يقدمونها رخيصة في سبيل المبادىء والاهداف والغايات ، ويعملون لا من أجل أنفسهم وانمـا من أجل الجماعة التى يعيشون فيها ، يقدمون أرواحهـم وأنفسهم فداء لوطنهم ولاسرهم وعشيرتهم فهم يجودون بأعز ما يملكون في هذه الحياة لانقاذ الاخرين ، ولا شك أن هذا سمو بالانسانية الى أعلا درجاتها ، ومن أجل ذلك يستحقون الاجر العظيم • يقول الشاعر :

يجود بالنفس أن ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

والانسان الذى يعيش في مجتمع من المجتمعـات يشعر بأحاسيس هذا المجتمع ويشعر بالسراء والضراء تصيب مجتمعه ، وينفعل بما يرى ويشارك فيه انسـان

فيه خير كثير لانه شعر بالجماعة وبالترابط بينه وبين مجتمعه ، ولانه عمل بقدر ما وسعه جهده ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، مثل هذا الانسان لو مات فهو شهيد لان الرسول (ص) يقول : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه ».

وقد يحسب البعض ان الشهادة قاصرة على الذين يحاربون ويقاتلون في ميادين القتال ولكنها أوسع من ذلك ، فرسول الله (ص) يسأل أصحابه فيقول « ما تعدون الشهداء منكم ؟ » قالوا : « يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد » . قال : « ان شهداء أمتى اذا لقليل » قالوا : « فمن يا رسول الله ؟ » قال : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد » .

فرسول الله يوسع الدائرة ويفتحها ، ولا يقصر الامر على المقاتلين وحدهم وانما يعطى هذا الحق ايضا للذين ماتوا فى وباء من الاوبئة ، وللذين أصيبوا فى حوادث الغرق وغيره ، والشهداء عند ربهم احياء يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهذه الحياة علينا أن نفهم ان الله سبحانه اضافها الى نفسه فقال « عند ربهم » وهى عندية ليست مكانية وانما هى عندية تشريف وتكريم ولا نعلم كنهها ، ولا نفسر ما أجمله الله سبحانه وتعالى في أمرها ، فقد وردت

بعض الروايات في السنة المطهرة عن جابر بن عبدالله الانصاري (رض) قال : « لقيت رسول الله بعد أن استشهد ابي فقال لي عليه السلام : يا جابر مالي أراك حزينا ؟ فقلت يا رسول الله : لقد استشهد ابي في القتال معك وترك صبية صغارا وزوجا فقال (ص) : يا جابر ألا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ فقلت بلى يا رسول الله . قال ان الله لا يكلم أحدا الا من وراء حجاب وقد أحيا الله أباك فكلمه وقال له : تمن علي يا عبدى . فقال: أى رَبِّي أتمنى عليك ان تعيدنى الى الدنيا لاجاهد فى سبيلك واقتل . فقال الله تعالى : لقد سبق القول منى انهم لا يرجعون فى الدنيا ، ولكن يرجعون يوم الجزاء فقال : أى ربى : اذن فابلغهم عنى وعرفهم أننى فى نعمة منك ، فانزل قوله سبحانه « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وبذلك بلغ الله سبحانه رسالة شهيد فى عالم الشهداء الى عالم الاحياء فكانت أشرف رسالة بلغها الله عن طريق جبريل ومحمد الى جميع العالمين ، تبين أكرم منزلة للشهداء عند ربهم . من أجل ذلك كان أصحاب محمد يطلبون الشهادة ويقاتلون من أجل ان تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، فهذا أنس بن النضر وقد غاب عن غزوة بدر فكان يقسم لئن أشهدنى الله قتال المشتركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم

أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه ، وأبرأ اليك مما صنع هـؤلاء يعني المشركين ، ورمى بنفسه في المعركـــة فلمـا انتهت وجدوا به بضعة وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم وقد مثل به المشركون فما عرفه أحـــد الا أخته ببنانه . يقول راوى الحديث : كنا نظن أن هـذه الآية نزلت فيه وفي امثاله « من المؤمنين رجال صدقـــوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظـر وما بدلوا تبديلا » .

الجهاد بالمال والنفس والكلمة

يقول رسول الله (ص) : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » . المشركون أعداء الله وأعداء نعمة الله عليهم ، فهو الذى خلقهم ويعبدون غيره ، يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ولا يغنى عنهم شيئا . يعبدون الاحجار التي صنعوها بأيديهم أو الكواكب التي سخرها الله لهم أو النار وقد أوقدوها .

نسوا نعمة العقل فالفوها واتخذوا آلهة من صنع أهوائهم، فعبدوها وعاشوا في السخافات . وكان من حكمة الله أن يرسل اليهم المرسلين مبشرين ومنذرين كي لا يكون على الله حجة بعد الرسل . ولكن الناس أعداء كل جديد ، يرددون دائما « أنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

لذلك كان لا بد من صدام بين الشرك وأعوانه ، وبين النور والحق المبين ، لان من يريد اطفاء نور الله يأبى الله عليه ذلك ، ولان من يخالف سنة الحياة لا بد وأن تكسره الحياة وتحطمه .

وكان لا بد من جهاد لهؤلاء ، والجهاد يحتاج للاموال

الكثيرة والبذل الكثير ، ولان الاموال لها حكمها القاهر في كسب المعارك ولها سحرها في تجهيز الجيوش وشراء العتاد ، وشراء ما يحتاج اليه المجاهدون من طعام ولباس وسلاح . ولذلك يأمر الرسسول (ص) أتباعه أن يجاهدوا المشركين بأموالهم وان يضعوها رخيصة في سبيل عقيدتهم، والمعارك لا تكسب بالكلمات الجوفاء ، ولا تكسب بالبخل وصدق الله العظيم اذ يقول: « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ،ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء ،وان تتولّوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .»

فالذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله . الله غني عنهم وهو القادر على أن يستبدل قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم . والمسلم مختبر بالجهاد فان تقاعس فقد لزمته الحجة وسقط في الاختبار ، وان اندفع فقد كسب رضا الله والجنة ، والمؤمن يفرح لما يفرض عليه من أجل اعلاء كلمة الله . أما المنافق فهو كثير الحديث قليل العمل . اقرأوا قول الله تعالى : « ويقول الذين آمنوا لو لا نزلت سورة ، فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ، فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر ، فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » . وقد أمرنا الله ورسوله بالجهاد جهاد المشركين وأعداء الحياة وقد أمرنا أن ندافع عن أرضنا وأموالنا واعراضنا وعقيدتنا .

والصهيونية قد بغت واعتدت وأرادت وآد ديننا

وتخريب مقدساتنا والاعتداء على أرضنا ، وأخرجت قومنا من ديارهم وأموالهم بلا رحمة بالشيوخ والاطفال والنساء وعاملوا مقدسات العرب والمسلمين باستهانة فلم يحترموا المقدسات ، ولم يأبهوا للحرمات ، فجهادهم مقدس مفروض على الجميع كل وما يستطيع أن يجاهد به بالمال لان المعركة تحتاج الى بذل وبذل كثير ، والى تضحية بكل ما نملك في سبيل عقيدتنا وأمتنا ، وفي سبيل الله والمقدسات ،ولقد كان أصحاب محمد يتبرعون ، فهذا صحابي جليل يتبرع بكل ماله فيقول له الرسول (ص) : ماذا تركت لاولادك ؟

فيقول له بايمان « تركت لهم الله ورسوله » . وهذا صحابي ثان يتبرع بنصف ما يملك وهذا ثالث يتبرع بتجهيز فرقة كاملة من جند الله .

لم يترك المسلمون البذل وانما بذلوا وبذلوا حتى أعزهم الله ومنحهم المنعة ، وكتب لهم النصر على أعدائهم . يقول الله تعالى : ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

وقد جاهد الرسول وأصحابه الكفار تحقيقا لامر الله واعزازا لدينه ، وحارب المنافقين حتى لا يكون في صفوف المسلمين مثبطون ، وحتى يقضوا على عوامل الهزيمة في داخل الامة ، من الذين يقولون ما لا يفعلون ، وكبر مقتا عند الله ان يقولوا ما لا يفعلون . ولقد كان المنافقون يمثلون الوجه الكالح في سماء الامة المشرق فما كانوا يأبهون لنصر الله لرسوله ، وانما كانوا يفرحون بالمصيبة تقع بالمسلمين ، فهم اذن اعداء الحياة وأعداء الشرف والعزة

وقد لعنهم القرآن الكريم ، واتخذ الرسول معهم اجراءات حاسمة ، جعلتهم ينكمشون ثم يخافـــون ويجبنون ثـم يعتزلون الحياة بعد أن أعتزلتهم الحياة والناس ٠

لقد كان أصحاب محمد يجاهدون بالنفس والمال ،أما أصحاب الالسنة كحسان بن ثابت (رض) فقد كان يدافع بالكلمة وبالشعر يقوله في حق المشركين والمنافقين واليهود معرضا بهم فاضحا لاعمالهم ، وكان الرسول (ص) ينصب له منبرا في المسجد ويقول له : دافع عني أيده اللهم بروح القدس ، فكان يقول الشعر الكثير تأييدا لعقيدة الاسلام ويهجو الكافرين والمشركين ٠

وأصحاب القلم والكلمة مدعوون جميعا للدفاع عن حقنا ، ودحر باطل الصهيونية ، فمعركة الكلمة معركـــة عظيمة لو استغلت أعظم الاستغلال ٠ وقد استغلها الاعداء ولا بد أن نجد في معركة الكلمة بدراسة لنفسية النـــاس في كل مكان حتى تؤثر فيهم الكلمة ٠

ان المعركة تكسب بالمال والنفس والكلمة والرسول يقول : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » فلنجاهد أعداءنا بكل امكانياتنا لننتصر عليهم والنصـــر قريب « ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا « ٠

امنيتان عزيزتان : الايمان والجهاد

عن ابي قتادة (رض) أن رسول الله (ص) قام فيهم فذكر ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال · فقام رجل فقال : يارسول الله · رأيت أن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياى ؟ فقال رسول الله (ص) : «نعم ان قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » · ثم قال (ص) : « كيف قلت ؟ » قال : أرأيت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياى؟ قال (ص) نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك » ·

هذا رسولنا (ص) يبين لنا ان الايمان بالله والجهاد في سبيل الله افضل الاعمال ، فالايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، والايمان نور في القلب يوجه الانسان الى الانسانية الفاضلة ، ولا ثواب لعمل لا ايمان فيه والاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى ·

والمجاهدون الاولون من أصحاب محمد (ص) كانت عندهم عقيدة سليمة تدفعهم دفعا الى محاسن الاعمال ، وتوجههم الى الخيرات والى الكمال ، واصحاب العقائد

هم المنتصرون دائما ، وارجعوا الى التاريخ ينبئكم بهذا ويخبركم به . ولقد عمل رسول الله (ص) من أول رسالته على تركيز الايمان في القلوب بتوجيه الناس الى خالق السموات والارض وربطهم به » .

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عداب النار » .

ولا أمان لمن لا ايمان له لانه يخبط خبطات عشوائية ويمشي على غير هدى ولا دليل ، وليس له هدف أو غاية .

كان المشركون الكثرة الكاثرة في الغزوات كلها ، ومع ذلك لم ينتصروا لانهم ماكانوا يحملون الايمان ولم تكن لهم أهداف او غايات اللهم الا اذا اعتبرنا الفخر والمباهاة غاية . وكان الرومان والفرس في حربهم للمسلمين أضعاف أضعاف عددهم ومع ذلك انتصر المسلمون عليهم لان المسلمين كانوا يعملون من أجل اعلاء كلمة الله ، ولهم أهداف وغايات كريمة يموتون في سبيلها ، ويضحون وهم يعلمون جيدا ان الجنة تنتظرهم في حالة الشهادة والموت في سبيل الله ، وأن النصر لهم وباسلامهم اذا تمكنوا من أعدائهم وغلبوهم على أمرهم ، وفتحوا بلادهم . صدق الله اذ يقول : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

ركز الايمان في نفوس المسلمين الاولين فانتصروا على عوامل الشر في كل مكان وغيروا الدنيا وحضاراتها باسلامهم وتقواهم ، وجاهدوا في الله حق جهاده لانهم يعتقدون انه افضل الاعمال عند الله وانه يكفر عنهم خطاياهم وذنوبهم ويرفعهم عند ربهم الى الدرجات العلا » .

وقد بين الرسول اسلوب الجهاد فلابد معه من ايمان عميق ولابد من صبر على متاعبه ، ومن صبر في لقاء الاعداء فلا فرار من المعركة ولا هروب ولا ادبار وانما اقبال دائم « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وقد بين القرآن الكريم ان الذى يتولى يوم الزحف فعليه غضب الله ومأواه جهنم وبئس المصير . وان الذى يولي الاعداء دبره من أجل ان ينضم الى جماعة يتقوى بها على أعداء الله أو يأخذ موضعا اخر في ميدان القتال من أجل خطة يختطها وفيها النصر فلا بأس بهذا ، والامر بعد ذلك كله لله والنصر من عند الله « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » .

والاجر على قدر المشقة والجهد والجهاد ، ولكن الجهاد له اجر كبير عند الله . ولقد اتى النبى (ص) رجل

مقنع بالحديد فقال يا رسول الله أقاتل او أسلم فقال : أسلم ثم قاتل ، فأسلم ثم قاتل فقتل فقال رسول الله (ص) عمل قليلا وأجر كثيرا .

والمسلمون الاولون ما كانوا يتركون الجهاد الا لعذر قاهر يمنعهم ، فاذا لم يكن ثمة عذر ألقوا بنفوسهم يجودون بها رخيصة من أجل اعلاء كلمة الحق والخير ، ومن اجل الرفعة بالبشرية واخراجها من ظلمات الجاهلية والشرك الى نور المعركة والحق ، والى توحيد الله الذي خلق السموات والارض ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، ولم يكن لهم مطمع في هذه الدنيا الفانية ، فما كانوا يأبهون لها لان اصحاب المقاصد الكريمة يستعذبون الالم والقتل والعذاب في سبيل الوصول الى اهدافهم السامية ، فاذا استشهدوا فقد أدوا رسالتهم في هذه الارض ، واذا انتصروا على اعداء الله من المشركين واعداء الحياة الفاضلة فقد بلغوا مأربهم ، ووصلوا الى اهدافهم وغاياتهم ، والشهيد يرزق عند ربه ويتمنى أن يرجع الى الارض ليقاتل من جديد ويقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة ، يقول ص : « ما أحد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة أو لما يرى من فضل الشهادة » .

والانسان الذى يعيش من أجل هدف وغاية انسان سعيد يحيا حياة كاملة فيها شرف وعزة وكرامة . وقد أوجد الاسلام هذه المعاني في نفس المسلم وارتبط بها

بطريقة محددة المعالم فما خلق الانسان ليأكل ويشرب وانما خلق لمعان كريمة تسعده وتسعد غيره من البشر ، وترفعه وترتفع به الى أعلا عليين · عرف المسلم هـــذه المعاني فأخذ نفسه بها وجاهدها وجاهد في الله حـــق جهاده فاجتباه ربه واختاره ليكون خير خلق الله · فلمـا تنكب المسلمون الطريق ضاعوا في الزحام ، فهـــل آن للمسلمين أن يأخذوا انفسهم بتعاليم الاسلام من جديد وان يجاهدوا انفسهم وأعداءهم ، انهم ان فعلوا فسيعتدل ميزانهم ويرفع الله الضير والاذى عنهم ، ويمنحهم قيادة العالم من جديد الى السلام والكمال والخير ·

الثقة بالله والثقة بالنفس

يقول الله تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

الثقة بالله والثقة بالنفس هما أساس النجاح، والذين يتقدمون هم الذين يثقون بالله وبأنفسهم . تجدهم في أشد حالات المحن مبتسمين مستبشرين مؤملين في الله ، وأصدق مثل لذلك رسول الله (ص) اذ كان في معركة من المعارك ومع التعب الشديد ركن الى ظل شجرة واستلقى تحتها يرتب في ذهنه أبعاد المعركة ويفكر في أمرها . وانصرف بذهنه كله اليها ولم يشعر الا ومشرك من المشركين قد وضع ذبابة سيفه في عنقه وهو يقول : « من يمنعك منى يا محمد ؟ فنظر اليه الرسول (ص) بثقة وبايمان وهو يعلم أن كل نفس ذائقة الموت ، وهو يعلم أن الله ناصره وان أمره بيده سبحانه وتعالى وقال للمشرك : « يمنعني الله تعالى منك » ، فارتعدت فرائص المشرك لهذه الكلمة المدمدمة وسقط السيف من يده ،فأسرع اليه الرسول(ص) ووضعه

في رقبة الرجل وهو يقول : « من يمنعك منى أيها الرجل؟» فقال : لا أحد غير اني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك» فعفا عنه الرسول ، فلما رجع الرجل الى قومه قال لهم : « جئتكم من عند خير الناس » . ذلك مثل على الثقة بالله وبالنفس ، وما أحوجنا اليهما في مرحلتنا هذه التى نعيش فيها ، ما أحوجنا الى العقيدة المتينة السليمة التى تعصمنا من الزلل وتمنعنا من الخطأ وتعطينا الآمال الكبار في الله وفي أنفسنا وفي بعضنا البعض .

ان غزوة بدر الكبرى منحت المسلمين آمالا كبارا في النصر الاعظم على أعداء الله من المشركين ، وفتحت لهم الفتح المبين . فأقوام حفاة عراة جياع لا يحملون من الدنيا الا الايمان الخالص بالله والايمان الخالص برسول الله (ص) القائد الاعظم خرجوا يطلبون احدى الحسنيين اما بالنصر واما الشهادة في سبيل الله ، فلما نظم الرسول صفوفهم ورآهم وهم جياع عراة تألم لحالهم باكيا ناظرا الى السماء قائلا : « اللهم انهم جياع فأطعمهم ، اللهم انهم عـــراة فاكسهم » . وينزلون الى المعركة لا يأبهون لجوع أو لعرى، وانما يطلبون النصر أو الشهادة في سبيل الله اعتمدوا على امكانياتهم الضئيلة وعلى صلابتهم في الحق ، وعـــلى الايمان الذى يزلزل الجبال ويحطم الظالمين ،، وما هي الا جولة على أعداء الله ، وصولة من الحق على الباطل فأزهق الباطل وانمحى وأسروا هؤلاء الذين جاءوا لا يؤيدون عقيدة ولا يعملون من أجل غاية ،واذاقوا الموت الزؤام لمن أرادوا الفخر بحربهم هذه أو التباهي بها ، فأرغمت أنوفهم في

الرمال وتم النصر للمسلمين على اعدائهم من المشركين ، وفي ذلك يقول الله تعالى « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . »

لو نظرنا الى هذه الآيات لوجدنا ان الله يأمر فيها بتقوى الله ، وتقواه توءدي الى معرفة حقه سبحانه وتعالى علينا وهى سبيلنا الى شكره والاخلاص له ، وتقوى الله تعطينا الثقة الكاملة به وبأنفسنا فلا ملجأ لنا من الله الا اليه ولا كرامة لنا في هذه الدنيا الا اذا استمسكنا بحبله المتين ، ولا خروج للانسان من محنة الا اذا اعتمد عليه ذاكرا أن الامر كله اليه شاعرا بمسئوليته كانسان يعيش لغاية ويعمل لها ويسعى الى هدف كريم في هذه الحياة ويربى ضميره التربية التى تليق بانسانية الانسان وبتكريم الله للانسان « لقد كرمنا بنى آدم » وتتكرر التقوى في الآية الثانية ومعها الصبر فيقول الله تعالى (بلى أن تصبروا وتتقوا) .

فالصبر حبس النفس على ما تكره ، والنفس تحب الحياة ، وتخشى الموت ، ولكن النفس المؤمنة بربها تتمنى الشهادة كما تمناها سيد الخلق (ص) فود ان يقتل في سبيل الله ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيا اكثر من مرة

كي ينال ثواب الشهداء ، وكي يكون حيا عند ربه يرزق ، محققا قوله سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

بتقوى الله مع الصبر والايمان والثقة بالله وبالنفس نكسب الحياة ونتغلب على الاعداء .

محاولات اليهود في هدم الاسلام

مُني العرب في جاهليتهم بطائفة من اليهود قدموا اليهم لاجئين من مختلف الاقطار فرارا من العسف والاضطهاد ، فاستقبلهم العرب بما عهد فيهم من كرم وحسن وفادة ، وتعاملوا معهم وصادقوهم ، ولكن اليهود قابلوا ما لقوه من العرب بالجحود والنكران ، ولم يعطوا للجوار حقه ، ولا للمعروف ما يستحقه من شكر وعرفان للجميل ، ولم يكن شأنهم كشأن اللاجيء المتواضع ولا شأن المواطن الصالح ، وانما عتوا وأستكبروا استكبارا ، وأستعلوا على العرب في عقر دارهم ، ولم يجرؤ العرب على مناصبتهم العداء واخراجهم من بلادهم لان اليهود احتاطوا لذلك ، فأقاموا في قلاع وآطام محصنة ، كما أنهم كانوا متضامنين اجتماعيا واقتصاديا ، وكانوا يعملون دائما على اشاعة نيران الفتنة والعداوة والبغضاء بين القبائل المختلفة مع اثارة النزعات الاقليمية والعنصرية والعصبية ، فاذا احتاجت قبيلة للسلاح أمدوها به بالثمن ، وساعدوا القبيلة الاخرى أيضا . وصدق الله العظيم اذ يقول فيهم : « كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض

وأصدق مثل على أفعالهم الشنعاء ما فعلوه مع فسادا والله لا يحب المفسدين » .

قبيلتى الاوس والخزرج بالمدينة حتى كادت أن تفنى القبيلتان ، واستمر القتل بالقبيلتين في يوم بعاث قبل اسلامهم بقليل ودان الامر لليهود .

وجاء الاسلام والامر كما ذكرنا . ضياع للعرب في المدينة وقتال دائم بين القبائل واليهود يرغدون ويجمعون المال والذهب ويكدسونها وحالتهم الاقتصادية منتعشة دائما ، واسلوب حياتهم ايجاد الخلافات بين القبائل واشعال النار فيما بينها .

فلما تعرض الرسول (ص) في بيعتى العقبة الاولى والثانية لبعض العرب من يثرب آمنوا به وصدقوه ونصروه ، واعتقدوا أنه المنقذ الذى كانت تتحدث عنه اليهود وتستفتح به على الذين كفروا فينصرهم الله على اعدائهم من مشركى العرب « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

انتهى المطاف برسول الله (ص) الى الهجرة الى المدينة ، وصنع معاهدة مع اليهود الذين يسكنون فى أجزائها ، وكان يرجو من وراء ذلك أن يعيش المواطنون جميعا في المدينة بسلام ومحبة ووئام كل وما يعبد ، وكل وعقيدته ما دامت تتجه الى السماء ولها كتاب منزل ، ولكن اليهود لن يرضوا عن ذلك ابدا لانهم يؤمنون بالتفرقة ، وهم يستفيدون من العداوات والمعارك والاختلافات والجو المضطرب ، فناصبوا الرسول ودعوته

العداء ، وكانوا على الاسلام حربا وكانوا أشد عداء من الجاهليين الوثنيين ، واثاروها حربا جدليةففشلوا فحاولوا محاولة اخرى بتقطيع الاواصر منجديد بين الاوس والخزرج بسبب شاس بن قيس الذى قال شعرا يحرك به أضغان القبيلتين ، ولجأ القوم الى السلاح • خرج اليهم الرسول مخاطبا اياهم قائلا : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله بالاسلام وأكرمكم به واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم ! »فهدأ القومواقبلوا يعانق بعضهم بعضا باكين مستغفرين ، وتنزل آيات ربنا تقول : « قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون • يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم • يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون • واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكمآياته لعلكم تهتدون » •

لم ييأس اليهود بعد هزيمتهم في الحرب الجدلية ، ولا في الايقاع بين القبائل التى اسلمت مع رسول الله

(ص) وانما لجأوا الى سلاح اثارة الشكوك في الاسلام نفسه ، فعمدوا الى اضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وزعزعة ثقتهم بالاسلام ، وذلك باثارة الشكوك في قلوبهم وتلقينهم بأن ما في الاسلام انما هو تحريف لبعض ما جاء في التوراة ، وان في القرآن تناقضا ، وغير ذلك شبهات تصدى القرآن للرد عليها وافحامهم وافحام الجميع ان الاسلام دعوة صريحة وصحيحة للرجوع للدين الحق ولفطرة الله الذى فطر الناس عليها · وان ماجاء به الاسلام جاء به كل الانبياء والرسل ، وأنهم جميعا ينتمون الى أصل واحد وان أفضل ماقاله الرسول والنبيون من قبله لا اله الا الله » ·

ولقد ذكر القرآن الكريم محاولات اليهود في صد المسلمين عن الاسلام بقوله سبحانه وتعالى : « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون · يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » · بل أكثر من هذا أنهم لم يستطيعوا تخريب الاسلام من خارجه فليدخلوا فيه ليخربوه من داخله ، فاذا دخلوا اظهروا الطاعة ظاهريا ثم ينكصون على أعقابهم مروجين ان الاسلام ليس دين الحق والبر وأنهم اخطأوا بالدخول فيه ، ثم يتأثر بهم ضعاف الايمان من العرب وبذلك يحطمون الاسلام تحطيما ، وينص القرآن على ما

دبروه بقوله : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنـــوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، واكفروا آخره لعلهم يرجعون » . ولم يستجب المسـلمون لدخولهم ولا لخروجهم فبدءوا يفكرون من جديد في محاولة أخرى لهدم الاسلام . وباءت محاولاتهم كلها بالفشل .

دعاة الهزيمة

في أيام رسول الله (ص) وفي غزوة أحد بالذات أشيع أن رسول الله (ص) قد قتل ، فجلس بعض الناس يبكون ، وألقوا السلاح فوقف صحابى جليل يقول اننا لم نحارب من اجل رسول الله (ص) وانما نحن نحارب من أجل العقيدة التى جاء بها رسول الله من عند ربه ، ثم قال : يا قوم لماذا الجلوس ؟ قوموا الى جنة عرضها السموات والارض • ان كان رسول الله قد قتل فموتوا على مامات عليه • وتشجع الناس وقاموا من اجل العقيدة والشهادة في سبيل الله • وقال هذا الصحابي الجليل وهو يرمى بنفسه في المعركة : اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه ، وابرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ، وألقى بنفسه في المعركة وأبلى فيها أحسن البلاء حتى استشهد ، وطعنه المشركون بضعا وثمانين طعنة بسيف أو برمح ، فلما انتهت المعركة لم يعرفه أحد لكثرة التشويه الذى لحق وجهه ، ولم تعرفه الا أخته ببنانه •

وهكذا المسلم ، يعمل دائما من أجل فكرة وعقيدة ،

ويستميت في سبيل عقيدته ، لا يستمع للشائعات ولا يخنع لها أو يجلس باكيا أو يائسا لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . يدافع المسلم ما استمسك السيف في يده ولا يسلم أبدا وانما هى احدى الحسينين : النصر أو الشهادة . ويقاتل حتى تصير كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، لا يفرط في أرضه ولا عرضه ولا شرفه ولا كرامته ولا عقيدته التى ارتضاها الله له ، ويعمل دائبا في جماعة من أجل النصر وتركيز العقيدة لا يستكين ولا يستذل .

وتلك امرأة أخرى في غزوة أحد أيضا لم تستمع للشائعات ، وانما اتجهت رأسا الى المكان الذى تظن أن رسول الله (ص) فيه حتى تقوم بواجبها كاملا تجاه رسول الله والعقيدة الاسلامية ، وأمسكت سيفها ورمحها تدرأ الاذى عن رسول الله (ص) وتقاتل مقاتلة الرجال الشجعان، ولم تولول أو تبكى أو تهرب من الميدان ، وانما اندفعت ترجو النصر أو الشهادة وتحمى رسول الله بكل ما أوتيت من قوة ، ولا تدع للاعداء مجالا حتى يصلوا الى رسول الله حتى قال عنها سيد الخلق عليه السلام « لمقام نسيبة اليوم خير من قيام فلان ومن مقام فلان ومن مقام فلان » .

فالرجال اذن في عهد رسول الله (ص) كانوا على قلب رجل واحد يقاتلون أعداء الله من المشركين والكفار واليهود ويعملون من أجل ان تكون كلمة الله هى العليا وكلمة

الذين كفروا السفلى • لم يركنوا للكسل أو الخور أو الضعف والتخاذل ، ولم يكن المسلم أبدا من دعاة الهزيمة ومن ناقلي الاشاعات ، وانما يقتلها بالعمل والجد ، وانما يقضى عليها بمزيد من الكفاح والجلاء في سبيل الله والمبدأ والعقيدة ، يؤمن بقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » •

ومن اتباع خطوات الشيطان ان نؤذى بلدنا ومواطنينا وعروبتنا بالاشاعات ونقلها والاستماع اليها وأن نكون أبواقا للعدو بغفلة أو بتعمد ، وأن نصدقه ونكذب قومنا ، وان نسىء الى روحنا المعنوية فنثبطها ونشيع التخاذل بالانصات الى اذاعاته واساليبه القذرة ومخططاته الرهيبة • ان العدو لن يتركنا الا اذا ركعنا وسحقنا باذلاله وخسته ، ومرغ أنوفنا في الرمال • فهل يرضى انسان به مسكة من الانسانية أن يركع لاعدائه وأن يسحق تحت أقدامه ، وهل يرضى عربى أن يذل قومه هل يرضى مسلم أو مسيحى ان تنتهى عقيدته الى الابد ؟ قد يكون الجواب لا ولكن ما وسائلنا لهذا ؟ وسائلنا ان نكف عن الاستماع الى اذاعات الاعداء وان نمحص كل رأى نسمعه ، وان نقضى على الاشاعة فى كل مصادرها ومن أى اتجاه أتت ، وان نعرف اعداءنا من الرتل الخامس المنبث بيننا وأن نسلمهم الى السلطات أو

ننبه عنهم حتى يرعوى غيرهم فيتقون الله في البلد الـذى رعاهم وآواهم وأطعمهم والذى ـ لا قدر الله ـ وغلب على أمره ، فسيكون الرتل الخامس هو أول من يهـان وأول من يقضى عليه .

ولا تلقوا بأيديكم الى التهلـكة

الشعوب القوية هي التي تعمل من أجل النصر مجندة كل طاقاتها وامكانياتها البشرية والمادية ، لا تبخل من اجل المعركة باى جهد يبذل ، ولا بالمال وهو عصب الحياة ووقود المعركة ، ولا تبخل بالرجال تدفع بهم الى اتـــون المعركة .

والشعب الذى يعرف مسوءوليته يساعد على النصر بكل امكانياته وطاقاته فالشباب يتدرب على حمل السلاح والفتيات يتدربن على التمريض ، والنساء يقمن بحياكة ملابس الجنود ويكن خلف الصفوف الامامية يشجعن الابناء والاخوة، واذا احتيج اليهن في حمل السلاح حملن السلاح كما حدث في غزوة أحد عندما حملت نسيبة بنت كعب الانصارية السلاح تدافع عن رسول الله (ص) وتدرأ عنه الاذى حتى قال رسول الله (ص) عنها : « لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان وفلان ؟

ولقد كانت النساء في زمن الغزوات يحملن قـــرب الماء يسقين الجرحى ، وكن يقمن بتضميد الجـراح لان المعركة معركة الجميع ولابد ان يشارك فيها الجميع كل

وما يستطيع .

واصحاب الاموال يبذلون أموالهم من اجل النصر ، وهم عندما يبذلونها يحافظون عليها بهذا البذل لان الاعداء لو انتصرو فان الاموال لن تبقى في ايدي الناس [ان الاعداء يستولون عليها ويساوون بين الناس في الفقر الشديد وفي الحاجة والمسكنة ولذلك نقرأ الاية الكريمة التى تقول : « وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين » .

نقرؤها كاملة فنجدها تتحدث عن الانفاق في سبيل الله ، وسبيل الله الجهاد والمحافظة على الجماعة وعلى أفرادها وعلى العقيدة والذود عنها ، فاذا لم نبذل ولم ننفق ألقينا بأيدينا الى التهلكة فاستولى علينا الاعداء وأخذوا ما بأيدينا وأهلكونا وتصرفوا في خيرات بلادنا ، واستباحوا حرماتنا ، وضايقونا في رزقنا وضيقوا الخناق والمسارب علينا ، ولا ينفعنا عندئذ مال ولا بنون ، ويومها نعض بنان الندم شاعرين بالحسرة والتقصير تجاه أنفسنا أولا وأسرنا وتجاه الامة والجماعة .

وليس من الاحسان أن نبخل بالمال نبذله وبالدماء نتبرع بها للجرحى ، ولا بالزائد عن حاجتنا نعطيه للذين شردهم الاعتداء فباتوا في العراء لا يجدون المأوى ، ولا يجدون الطعام ، وليس من الاحسان أن يعيش الانسان مفكرا في نفسه ممتعا لها غير شاعر بالمصير الذى ينتظره فيما لو استباح الاعداء أرضه وعرضه وشرفه وماله .

ان الوعي الحقيقي يدفعنا دفعا الى البذل الدائم

والعطاء الكثير ، ولقد سبقنا بالاحسان والبذل الـــذين كانوا حول رسول الله في غزوة العسرة اذ تبرع أحـدهم بكل ماله ، وتبرع آخر بنصفه وتبرع ثالث من الصحابة بتجهيز فرقة كاملة على حسابه بسلاحها وعتادها وبخيولها · وبذلك انتصر الاسلام على أعدائه بالبذل والعطاء وتقـديم النفس والنفيس في ســبيل الله والله يحب المحســـنين ويأمرهـــم بالاحسان فيقول : « وأحسنوا ان الله يحب المحسنين · »

ان عدم البذل والانفـــاق القاء بأيدينا الى التهلكـة والضياع والبوار والتشرد وتمكين لاعدائنا منا · من أجل ذلك ينبغي أن نقضى على الشح في النفوس وأن نطهـــر أموالنا بالبذل وبالبذل الكثير ، وأن نعمل العمل الدائب بكل الامكانيات والطاقات · ان عدونا في اللحظة الاولى التي اعتدى فيها علينا تبرع أحد أثريائه في أمريكا بمائة مليون دولار ، وان الصهاينة في كل مكان يدفعون بطريقة دائمية أموالا شهرية ، غير ما يأخذونه من الذين يعطفون على حركتهم في كل مكان من أوربا ولهم شعارهم المشهور « ادفع دولارا تقتل عربيا » · ونحن نهيب بالمائة مليون عربي والخمسمائة مليون مسلم أن يكون شعارهم (ادفع دولارا أو ما يساويه تسترجع الوطن السليب ، وتسترد كرامتك وعزتك وشرفك) ·

ليكن شعارنا هذا ان النصر لا يأتي بطريقة عفوية ، وانما بالعـــرق والكفاح · بالبذل والعطـاء · بالنفس والنفيس ·

وبالتقشف وعـــدم الرفاهية نكسب المعـــركة ٠ وبالحاجات الاولية وحدها ننتصر ٠ أما الزائد عن حاجتنا فلنمتنع عنه في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا ٠ ان النصر قريب لو تضافرت الجهود وأخذنا أنفسنا بما يرفع من كرامتنا وعزتنا ٠

التهرب من المسئولية

التهرب من المسؤولية خلق ذميم ،والذين لا يشعرون ولا يحسون بواقعنا المر من الواجب عليهم أن ينزووا ، والـــذين لا يشعرون بالنكسة أصابتنا في صميمنا ولا يتألمون لما حل باخوانهم في القـــدس أو في سينـــاء أو القنيطرة يحتاجون الى هزة قوية من مواطنيهم ، وتوعيـة شديدة حتى يفيقوا الى الخطر المحيط بنا .

ما زال في شعبنا من يلهو في وقت الجد ، ويذهب الى الملاهي كأننا في سلم ، ومن يعيش الحياة كأن لـم يحدث شيء في بلدنا ، هؤلاء وأمثالهم ينبغي أن يفهموا الواقع على حقيقته حتى ينفعلوا بالاحداث وحتى يحولوا ثمار الرفه الى اولئك الذين يعيشون في العراء وقد طردهم اليهود شر طردة بعد أن اعتدوا عليهم وسلبوهم كل ما يملكون ، واستباحوا ديارهم فحطموها وساووها بالارض وصنعوا الارهاب معهم كي يفروا بجلودهم ، ولم يراعوا شيخا مسنا كبيرا أو امرأة عجوزا أو طفـــلا صغيرا أو حاملا . لم يراعوا أبسط قواعـــد الانسانية معهم وانما عاملوهم بوحشية يندى لها جبين الانسانية ويكفهر لهـا

وجه الارض والسماء ، ولا يرضى عنها رب الخلق أجمعين.

من أجل هؤلاء ينبغي أن نغير أسلوب حياتنا ، وأن نجمع لهم المال كي نشعرهم أن الانسان ما زال بخير وان العربي أخ للعربي وأن المسلم أخ للمسلم يتألم لمأساته ويشعر بالحزن لما أصابه ، وقد أصبنا في صميمنا من جراء هذه النكسة . ليس معنى ذلك أن نيأس أو أن نكون سلبيين ، فالمآسي هي التي تخلق الرجال وتشد من عزائمهم وتجعلهم يتجهون اتجاها ايجابيا ، هذا الاتجاه هو الذي يرفعهم ويدفع بهم الى تغيير أسلوب حياتهم تغييرا جذريا .

لا ملاهي بعد اليوم ولا كماليات وانما ينبغي أن نشد الاحزمة على البطون ونحول الفائض والزائد من دخلنا الى كسب المعركة وانما نحول الزائد والفائض من أجل اخواننا الذين شردوا وطردوا وأصابتهم النكسة في أنفسهم وأموالهم وأولادهم . هم يحتاجون الى اليد الحانية الرقيقة ويحتاجون الى الشعور الانساني والى المؤاخاة الحقة ، والى البذل والفداء جزاء تضحياتهم لما حل بهم من نكبات .

والحرب لا تكسب بالكلمات تقال ، ولا بالانفعال العاطفي السلبي وانما بالانفعال الايجابي . الانفعال الذي يزيل آثار العدوان والنكسة .

هناك أشياء يمكننا هنا أن نستغنى عنها من ملابس مستعملة وأغطية فلندفعها الى اخواننا المنكوبين ،ولنعينهم على تحمل النكبة ، ولنتضامن كرجل واحد وقع به الضير

والضر . لا يكفي أبدا أن نمصمص الشفاه أسى وحسرة ، ثم نستأنف حياتنا كما في أيام السلم غير مبالين بما وقع كأنه لم يقع .

المعركة طويلة وشاقة وعسيرة ومستمرة ، والذين يظنون أنها معـــركة ساعات أو أيام أو شهور واهمين ، وهذه المعركة تقتضى منا جميعا أن نغير وأن نبـــدل في أسلوب حياتنا من أجلنـــا أولا ، فاسرائيل لو تمكنت – لا قـــدر الله – فستحتل أرض العرب جميعا ، ولو تقاعسنا سيكون مصيرنا كمصير الذين نكبوا في القدس وسيناء وغيرهما ، ولن ينفعنا المال ، أو الرفه والحيـاة الهانئة الوادعة ، وسيصدق فينا حينئذ قول الله تعـالى « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيهـــا فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . » سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا .

وارادة الانسان الحقيقي تظهر في الازمات والشدائد والملمات ، والانسان الحق هو من يستطيع أن يتغلب على نوازعه وشهواته وأن يضـــع امكانياته عند الخطر في سبيل الله وفي سبيل أمته ووطنه ، والانسان الحق هو من يملك البادرة ويسعى لها سعيها وهو مؤمن ، ويعمل من أجل النصر . النصر على نفسه أولا وعلى أعدائه ثانيا.

الى الـــذين ما زالوا يعيشون بأسلوب ما قبـل النكسة أوجه هذا الحديث علهم أن يرعووا .

النضال الحقيقي

النضال الحقيقى يبدأ من الداخل ، فاذا تغلبنا على عوامل الشر فينا أمكن ان نفعل المعجزات مـــع غيرنا ، وامكن ان ندفع بقوى البغى والعدوان الى هوة سحيقة لا قرار لها • النضال الحقيقى يبدأ من الفرد فاذا تغلب على شهواته ومطالبه الحسية ، واذا كا نله هدف وغاية يسعى لها وصل الى اعظم ما تتمناه منه الامة ، واذا تغلب على الجشع والطمع والانانية البغيضة وسعى نحو عقيدة سليمة ، ونظرة انسانية في الحياة تمكنا بهذا من القضاء على كل الشرور والموبقات • واذا قضينا على التفسخ في الاخلاق والميوعة في التصرفات ، والماديـــة في المعاملات واستطعنا ان نعود الى أصـــالتنا وتقاليدنا الساميـة السمحة لامكن لنا ان نقود المعركة من نصر الى نصر •

ان أمتنا بحاجة الى هزة قوية حتى لا تركع عـلى قدميها • وقد رمانا الغرب وحضارته الاوروبية بكل ما يقتل حيوية الانسان ويدفع به الى مراتـــع الحيوانيـــة والانحلالية والانهزامية والسلبية •

فعلى صعيد الثقافة أشاع الجنس على انه أدب رفيع

والخيانة الزوجية على أنهـــا الحياة الواقعية والعنصريـــة ضد الرجل الاسود على انها من نتاج فلسفة البقاء للاقوى وصنع الافلام التى تمجد الجريمة على انها الذكاء المعاصر ، ورعاة البقر الذين يطردون الزنوج من ارضهم على أنهم اصحاب الحق ما دامت القوة معهم ، فاذا أدمن ابناؤنا روءية هذه الافلام ركز في اذهانهم ان الابيض اهم مـــن الاسود ، وان القوى هو الذى يملك ولو كان على باطل ·

وفي المدى البعيد قد لا يشعر ابناؤنا بحق عرب فلسطين في ارضهم لانه سيشعر في اللاوعى العقـــلى بأحقيتهم وعقله الباطن سيصنع المقارنة بين رعاة البقر والزنوج ، والمقارنة بين الصهاينة وعرب فلسطين ·

واذا قضى على ناشئتنا فقل على أمتنا العفاء ·

ان الحرب النفسية يشنها أعداؤنا علينا لابد من وضع حد لها بمقاومتها بالفكـــرة السديدة ، والتفكير المتزن بالثقافة التى تنبع من صميمنا · وآدباوءنا وكتابنا وشعراؤنا وفنانونا عليهم ان يتنبهوا قبل الطوفان وعليهم الا ينخدعوا في اساليب الحضارة الاوربية او ينبهروا بها ، او يصنعوا افكارهم ويقيسوها بالميزان الاوربـى ، او يبنوا انماطا من الادب على مستوى الحضارة الاوربيـة او الفكر الغربى ·

لقد أثبت الفكر الغربى انهزاميته خصوصا بعـــد حربين عالميتين ونتائج هذه الانهزامية نراها على الصعيد الفكرى والمسرحي وعلى صعيد الواقع فشباب اوربا الان لا تعرف ذكوره من اناثه بتقاليعه التى اخترعها باســم

الحرية وتحقيق الذات . « وخنافس » انجلترا مثل لذلك والملابس الرجالية التي تلبسها الفتيات او القصيرة جدا التي تعتبر نوذج العصر مثل ثان واسدال شعور الشباب مثل ثالث ، والمسرح اللامعقول مثل رابع ، وفلسفة سارتر وكهوفه والادب التشاؤمي والانحلال يجتاح كل اوربا ، ولا نجاة لنا في بلادنا العربية الا بالتقشف واخذ النفس أخذاً نحو قيمناوتقاليدنا وعقائدنا السامية ، ومقاطعة كل ماهو من نتاج الحضارة الاوربية والعودة سريعا الى حضارتنا الزاخرة بالقيم وبالمثل الانسانية الرفيعة . ان رسول الله (ص) يلعن المتشبهين من الرجال بالنساء والعكس فيقول « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » .

ولقد حث الرسول على التخشن في انماط الحياة فقال (ص) « اخشوشنوا فان التنعم لا يدوم » . وكان الامام علي عليه السلام يعجبه من الطعام ما خشن .

وخشى الرسول على امته كبر البطن ومداومة النوم والكسل فقال (ص) « أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل » .

ومن هنا يبدأ النضال الحقيقي مع انفسنا قبل ان يجرفنا التيار وقبل الضياع ومن هنا ينبغي ان نأخذ أنفسنا أخذا بما اخذ السلف الصالح به انفسهم ، فالذين يريدون الخير لوطنهم وأمتهم يعملون دائبين من اجل النصر والنصر آت لا ريب فيه ، مع ترك الرفه والكسل ، ومع

مقاومة انفسنا ومقاومة الشر في مجتمعنا ، ومع التخطيط من أجل شبـــــابنا ومن أجل جيلنا الجـــديد ومـــــن اجل مجتمع افضل يشعر بعزته وكرامته ويشعر بأمته وتقاليدها وأصالتها ومن أجل ان تسير الحياة بنا الى الافضل والاكرم ٠

نظرة الى داخلنا

عندما تراجع الامة نفسها في فترات الانتصار او في النكسات وتجد في نفسها الجرأة على مواجهة عيوبها والقدرة على اصلاحها ، والاستجابة الكاملة لكل ما هو خير ، وعندما يعرف الشعب اسباب الهزيمة او الانتصار بلا تهرب من المسؤولية عند الهزيمة وبلا غرور عند النصر ، فلا تميته الهزيمة ، ولا يبطره الانتصار ، وانما يضع لكل شيء فلسفة ويحاول ان يستفيد من تجاربه ٠

عندما تفعل الامة ذلك ويوءمن الشعب بأن الحياة عسر ويسر ، شدة وفرج ٠ انتصار وهزيمة ، خير وشر ٠ اقول عندما تؤمن الامة وافراد الشعب بالمواجهة وربط الاسباب بالمسببات فاعتقدوا ان هذه الامة أمة ناجحة لن تركع ابدا أمام أعدائها ، ولن تستذل أبدا بالحديد والنار ، ولن تضيع الحيوية في الشعوب المكافحة الصابرة الصامدة التى تمر بها المآسى فتزيدها صلابة وقوة ، وتستفيد من الايام السوداء الحزينة ذخيرة لفجر باسم وحياة حافلة بالامجاد والفخار ٠

والشعوب القوية هى التى تعمل اكثر مما تتكلم ،

وتقاوم اكثر من الركون الى النوم الذى يسلمها الى الفناء والموت ، والمقاومة تبدأ من داخل لانسان لا من خارجه ، وأعادة النظر في اسلوب حياته ، فلابد من ايمان بالنصر · ولابد من الايمان بالله وبحقنا في الحياة ، ولابد من تغـــير جذرى لاسلوب حياتنا فلقد طال بنا العهد على عادات عفا عليها الزمن وانتهى وقتها ما عادت تصلـح أسلوبا للحياة · فلقد كنا نخدع في الماضى بالمظاهر الكاذبة ، وكنا نهتم بالقشور اكثر من اللباب · وكانت حقيقـة أنفسنا ضائعة مضيعة ـ فالقوة في نظـــرنا الضيق في المظهر الفارغ من سيارة وقصر ومال عظيم · المهم أن المال مهم في نظرهم وذلك يكفى · يكفى لان يأخذ الصدارة في المجتمع ،واذا كان الامر كذلك فليتصرفوا كمـــا يشاءون ويريدون · ونسينا ان الانسان يقاس بما فيه من قيم وخلق تقوى ، وأنالانسان الحق هو من كانأقرب الى مجتمعه يفكر في اصلاحه ويعمل من اجله ، يبـــذل معرفته وتجاربه ويبذل قوته فيسبيل اتقان عمله الذى يعود في اخر الامر على الامة بأسرها ·

والاسلام جاء بقيم جديدة اخذ المسلمون انفســهم بها ففازوا ، فازوا بتغلبهم على انفسهم وشهواتهم اولا ، وفازوا ثانيا بالقضاء على التقاليد التي ما انزل الله بها من سلطان ، والتى توءخر المجتمع اكثر مما تفيده وفازوا ثالثا بتحقيق حلم الانسانية الاكبر الاخاء وشعور المسلم بانه لبنة في صرح شامخ قوى ، لا تزلزله الاعاصير ولا تعبث به الرياح الهوج ، انه أسس على تقوى من الله

ورضوانه ·

ولقد مرت بنا النكسة الاخيرة فهزتنا الى الاعماق ، وبدأنا ننظر الى الحياة بعيون مفتوحة وعقول متفتحة ونفوس صهرها الحزن فأظهر خير ما فيها من قيم كان الصدأ المادي قد غلفها وضيع معالمها ، وكانت القيم الزائفة التي رمانا بها الغرب مع احتلاله لنا قد غلبت عليها · لكن الاصالة تظهر عند الشدائد ،والقيم الزائفة تختفى عند الامتحان · انما مثلنا كمثل رجل عاش في الظلام لفترة طويلة ثم اخرج فجأة الى وضح النهار فهو يقابل الشمس بردائه يضعه على عينيه لفترة محدودة ثم رويدا رويدا يتعود النظر الى الشمس ووضح النهار ، ويبدأ العمل فيهما وهما مسلطان عليه بوضوح الهدف ، وبالفكرة الواضحة ، وبالاسلوب المرتكز على الايمان ·

لم نكن نخطط في الماضى لان الاستعمار كان يفكر بالنيابة عنا ، وقد شغلنا بتوافه الامور وبمظهريات الحياة ، وشغلنا بانفسنا وبذواتنا وبالكبرياء الفارغة · وبالمظاهر الخادعة عشنا وبالتنافس لا على مصلحة الوطن ، تكالبنا وتضاربنا وفرحنا بالفرقة وبالجماعات الصغيرة وبالحزبيات والعنعنات ونسينا ان مجد الامة الاكبر هو مجد لكل فرد من ابنائها ، واكثر من ذلك نسينا القيم التى جاء بها رسول الله (ص) واتخذها الاسلاف أسلوبا لحياتهم فأكدوا معانى كثيرة وطيبة في الارض · نسينا وطال علينا الامد واستنمنا فكانت النكسة الاخيرة التي أفقنا على نتائجها

الخطيرة وأسبابها المريعة وعرفنا ان طريقنا وعر وشاق يحتاج الى عرق ودموع ودماء • يحتاج الى تخطيط عظيم يبدأ من انفسا • فلنراجعها بصراحة ولنقض على كل سلبية أو جمود فيها ، ولنراجع التقاليد فما كان مرتبطا بقيمة من قيم المجتمع الفاضل أبقينا عليه وابرزناه ، وما كان مرتبطا بجاهلية عمياء او بشكلية او مظهرية او بتقليد للغزاة الذين مروا بأرضنا وتركوا بصمات اصابعهم في تقاليدنا قضينا عليه وأزحناه من طريقنا بالايمان والمراجعة ، وبالتخطيط المحكم وبتضافر الجهود مع الاخاء التام تنقلب النكسة الى فرح •

ان أملنا كبير في شعبنا • والشعب الذى صنع المعجزات يوما لابد وان فيه القدرة على عمل جديد ومعجزة جديدة •

المحتوى

الاسلام قيم ومبادىء ٣
الاخاء أساس حضارتنا ٨
اختر صديقك ١٣
في المعاملات ١٧
أدب المجالس ٢٢
صراع بين الحق والباطل ٢٦
استفت قلبك ٣٠
لا معنى للتعصب ٣٤
نحو البناء ٣٩
هل يراها ٤٨
محمد (ص) النموذج الكامل للانسان ٥٧
لن نيأس ٦٦
عالم المستضعفين ٧١
أمثلة من الايثار ٧٥
ضمان للاستقرار ٧٩
التعامل بسماحة ٨٣
صلاح الفرد صلاح للجماعة ٨٨

مسوءولية المسلم اتجاه العمل ٩٢
اتقوا الله واعدلوا بين ابنائكم ٩٦
بالكلمة الطيبة تقطع رحلة الحياة ١٠٠
حق الفقراء في أموال الاغنياء ١٠٥
حق الفقراء فى مجال التطبيق ١١٠
الاسلام تكامل وتكافل ١١٤
الاسلام ضمان للاغنياء والفقراء ١١٩
لو شعر الناس بهذا الشعور ١٢٣
بالكلمة الطيبة نكسب كثيرا ١٢٨
بشرية محمد عليه الصلاة والسلام ١٣١
الاسلام ورعايته للطفولة ١٣٥
العلم وسيلتنا الى الحياة الكريمة ١٤٠
قوة النفس ١٤٤
البر والاثم ١٤٧
أشياء تفسد المجتمع ١٤٩
ولا تقتلوا أنفسكم ١٥١
الغيب يعلمه الله ١٥٥
أدب الطعام ١٥٩
حق الطريق ١٦٣
طبيعة الرجال وطبيعة النساء ١٦٨
لمن الصداق ؟ ١٧٤
الحق أحق أن يتبع ١٧٧
كنتم خير أمة اخرجت للناس ١٨٢
خذ العفو ١٨٧

الاخلاق الحسنة أساس ١٩٢
مطابقة العمل للقول ١٩٧
اسرارنا وديعة غالية ٢٠٢
وكذلك أخذ ربك ٢٠٦
المحن تصنع الرجال ٢١١
ايجابية الصيام ٢١٥
الصبر على المصائب ٢٢٠
اتقوا النار ولو بشق ثمرة ٢٢٤
ثلاثة أقسم عليهن ٢٢٨
قوانين ثابتة للحياة ٢٣٢
نحو علاقة جديدة بربنا ٢٣٦
الصيام في الاسلام والاديان الاخرى ٢٤٠
لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ٢٤٤
الاشاعة ٢٤٩
جزاء الشهداء ٢٥٣
الجهاد بالمال والنفس والكلمة ٢٥٧
امنيتان عزيزتان : الايمان والجهاد . . . ٢٦١
الثقة بالله والثقة بالنفس ٢٦٦
محاولات اليهود في هدم الاسلام ٢٧٠
دعاة الهزيمة ٢٧٥
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ٢٧٩
التهرب من المسئولية ٢٨٣
النضال الحقيقى ٢٨٦
نظرة الى داخلنا ٢٩٠

ثمن النسخة ١٥٠ فلس

956
Ir24
5

COLUMBIA UNIVERSITY
0026812592

SEP 20 1974